المارد الأسود

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الرواية: المارد الأسود

اسم المؤلف: عبد الرحمن محسن عمارة

التدقيق اللغوي: ياسر عوض

تصميم الغلاف: محمد دربالة

الإخراج الداخلي: خالد محمود

رقم الإيداع: ٢٢٨٨٢ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٣٧٢-١-٢



ش- حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية


01020439639


massar.pub1@gmail.com

المارد الأسود





إهداء

للداعم الأكبر في هذا العمل وأكبر دافع يحثني على الاستمرار.. لأختي منى.. التي يجب أن يشكرها كل قارئ أحب هذا العمل.. لأنها بعد فضل الله تعالى هي إحدى أسباب استمرار هذا العمل حتى يرى النور.

" يقولون أن الشياطين هم أبناء الغراب "

المارد الأسود

الفصل الأول : موت القاسم

الموت... كثيرًا ما كنت أتساءل عن معناه.. فلسفته.. والشعور الذي ينتابك حينما يأتي إليك... كان دائما ذا معنًا غامض بالنسبة لي... هناك من يموتون من مرض.. جراح بليغة.. ربما الحزن الشديد والاكتئاب قد يدفعك إليه.. هفوات حمقاء.. يجتمع مع كل هذا الألم بكل أنواعه.

كل ما رأيته من عظمة الموت وجلاله واستغراقي بالتفكير بشأن هيبته ومدى الرهبة منه قد تلاشى حالما لاحظت أن الأمر دائما لا يستغرق سوى لحظةٍ سخيفةٍ فقط ينتهي بها كل شيء... قد جعلني ذلك أشعر بأنه... " أحيانًا يبدو الموت تافهًا للغاية ".

لكن هنالك شيء واحد يتكرر مع جميع من هم على وشك الموت وهو أنه... " لن تدركَ مدى رغبتك في الحياة حتى يأتيك المهات ".

هاتين العبارتين السابقتين كان كثيرًا ما يرددهما (القاسم القيرواني) حتى أتاه ذلك اليوم الموعود والذي لم يتخيل أبدًا أن رغبته القوية بالعيش والتمسك بالحياة ستكون بتلك القوة وهو الذي كان يقول بأنه لا يهاب الموت لكن ذلك أمر متوقع فالحياة ومرور الوقت كفيلان بتغيير الطبيعة التي أنت عليها.

اشتعلت الحرب بين الحاكم (نور الدين) والمجون على البرنقاع وكان القاسم القيرواني أحد أعظم العقليات العسكرية في هذا العصر وكان له دور

مؤثر للغاية في أحداث تلك الحرب وفي سيرها نحو الخسارة أو النصر... واليوم... أمر الحاكم نور الدين بإعدامه...

بدأت المعضلة التي أنهت حياة القاسم بأن دخل على الحاكم أحد الجنود (عمر) بعد أن قبضوا على رجلين من المجون ووجدوا معهما رسالةً مفادها تقدير جهود القاسم الكبيرة التي بذلها مع المجون ومكافئته العالية التي سيحصل عليها بعد مهمته الأخيرة لهم.

في تلك اللحظة قد تقلب وجه الحاكم واستشاط غضبًا واتسعت عيناه.. متعجبًا.. حانقًا.. على ذلك الرجل الذي كان يعتبره أقرب الناس إليه وصديقه الذي شاطره حلو الحياة ومرها فاغتاظ كثيرًا بعد أن طعنه في ظهره وخانه...

وصاح الحاكم قائلا:

- " أتمازحني يا هذا؟! كيف يفعل القاسم ذلكً؟!!.. أخبرني!!!.. إنه صديقي الذي لم أعهد له مثيلًا كيف يخونني؟!! رد علي!!! "

بدا على الجندي علامات التوتر والقلق على وجهه و رد على الحاكم و هو يتلعثم:

= " فِ.. فِ.. في الحقيقة يا سيدي هذا ما ورد في الرسالة من بعد.. بعد.. بعد ما قَضبنا على هذين الرجلين ويو.. يو.. يوجد بعض الجنود الذين قد لاحظوا بعض العلامات المريبة على القائد القاسم مؤخرًا "

فصاح الحاكم: - " إذن اذهب وأحضرهم إلي ليدلوا بشهادتهم على ما تراه مريبًا.. اذهب!!! ".. مشيرًا إلى الباب بإصبعه فذهب ذلك الجندي (عمر)

مسرعًا وقد أحضر خمسة جنود آخرين ليشهدوا.

قال الحاكم بنبرة يعتريها الغضب العارم: - " أقسموا قبل حديثكم بأنكم ستصدقونني القول وبأن ما رأيتموه كان رأي العين ".

فأقسم كل واحد منهم وتحدث أحدهم " مولاي قد لاحظت أنا ورفيقي أنه في الآونة الأخيرة قد أخذ قائدنا القاسم القيرواني يتردد علينا كثيرًا ليذهب خارج الأسوار بحصانه في وقت متأخر من الليل بعد أن بدأت المناوشات مع المجون ببضع أسابيع و نحن لا ندع أحدًا يقترب من البوابة دون أن نعرف من هو "

وقال أحد آخر " وقد كان يتردد بين الفينة والأخرى على زنزانة أُسر بها بعض المجون وكان يطلب مني أن أخرج لأتركه وحده معهم "

وسرعان ما قال الأخيران بأن قائدهما القاسم كان أحيانًا يطلب منهما رفع بعض الحمولة ونقلها إلى غرفته.. وقد قاما بتفتيش تلك الغرفة بعد معرفتهما بأمر الرسالة فوجدا بها كمًا كبيرًا من الأموال والذهب.

بعد هذا كله وضع الحاكم يده على جبينه مغمضًا عينيه قائلًا لهم بنبرة حزينة:

" اتركوني وحدي لا توجد كلمات تجتمع على لساني لأرد عليكم اجعلوا هذا سرًا بيني وبينكم... فقط اتركوني "

بعد هذه الكلمات سادت طمأنينة في قلب ذلك الجندي عمر وقد خرج هو ومن معه.

لم يمضِ الكثير وصار الوقت ليلًا وقد أمضى الحاكم تلك الليلة مع

إحدى جواريه (ليلى) التي حازت مكانةً كبيرة لديه في الفترة الأخيرة وكثيرًا ما كان يتحدث إليها ويشكوها حاله وهمومه كلما هم به خطب وقد حكى لها ما مر به في هذا اليوم وقال لها في منتصف حديثهما:

- " إني حائر أريد أن أبعث إليه لأراه وأحدثه أريد أن أحدثه بشدة "

= " كلا لا تفعل هذا فأنت بذلك ستكشف له بأنك قد علمت ما حدث وقد يتخذ تدابيره فيهرب ويفلت منك "

- " لكني لا أصدق كيف قام هذه الفعلة بعد كل هذا العهد الذي بيني وبينه!! "

= " لا تستغرب ذلك فإن الأخ قد يخون أخاه والرجل قد يخون زوجته فلا تعجب من صديق يخون صديقه!! "

- " ماذا أفعل؟... لا أستطيع التفكير ولا أستطيع نسيان ما كان بيني وبينه "

= " انسَ ذلك فهو من بدأ الأمر واعلم أنه إن أفلت منك سيجعلك أضحوكة... مُر بالقبض على ذلك القروي حالًا وليكن إعدامه غدًا أو بعد غد واقتل أهله ودمر قريته لتجعله عبرة لغيره ومن يحاول أن يتلاعب بك "

- " معك حق هو الذي بدأ بالأمر وهو من جلب ذلك لنفسه... سأقوم بذلك وسأريه!!.. سأريه وأري غيره من هو الحاكم و ما هي عقوبة خيانتي!!! "

أصدر الحاكم أوامره وقُبض على القاسم القيرواني في تلك الليلة وزُجّ في السجن كما أُرسلت كتيبة من الجنود في نفس الليلة إلى قريته.

في صباح اليوم التالي انتشرت أخبار إعدام القاسم القيرواني... سادت الدهشة على وجه كل من سمع هذا الخبر بل وتزيد عندما يعلمون أن الإعدام سيكون بعد غدٍ وقت الظهيرة في ميدان السوق على الملأ... مر الوقت على القاسم في زنزانته وكأنه أمد بعيد وكانت كل لحظةٍ وكأنها سيف يجرحه حتى حان الموعد.

دخل الجلاد إلى زنزانة القاسم فجذبه إليه وجعله يمشي أمامه يجر أصفاده ببطء.. كان القاسم يحدث الجلاد ويتفوه بكثير من الكلام فلا يرد عليه... ثم صمت القاسم لبعض الوقت بعدها كسر الهدوء بأن قال:

- " أتعلم؟.. إني أخذت من هذه الدنيا ما قد كتبه لي ربي و إني راض بقضائه ولكني ليلة أمس تمنيت لو أني أرى ابني يكبر أمام عيني وهو يراني أبا رائعًا.. تنميت لو أني لاعبته قليلًا قبل أن أموت.. تمنيت لو أني رأيت ضحكته وسمعته يناديني ويقول لي أبي لمرة أخيرة " ثم صمت لبرهة وأكمل قائلا " تمنيت لو أني قبلت جبينه واحتضنته قبل أن أموت... هل هذا كثير على شخص مثلي ليتمناه؟ "

رد عليه الجلاد في هذه المرة قائلا: = " اصمت أيها الوغد وكفاك تذمرًا لقد سئمت منك ومن هرائك فقط تقدم ولا تتحدث "

فرد القاسم بصوت غليظ:

- " ليس لك الحق في أن تسكتني يا هذا... سأتفوه بما أريد وقتما أريد... حسنًا.. لقد توقعت أن شيئًا كهذا سيحدث معي ولكن ما لم يخطر ببالي هو أن الحاكم سيكون هو الفاعل... لا يهم في الواقع موتي سيكون أفضل له... سيكون الأفضل لابني لو مت الآن وإلا كان سيعاني كثيرًا.. فمن الأفضل

له ألا يعرف حقيقتي "

بالرغم من أن الخبر قد أُعلن منذ يوم واحد إلا أنه في يوم الإعدام كان هناك حضور كبير من كل مكان و لم يتسع ميدان السوق لكثير من الناس... لم يكن يعلم أحدٌ حتى الآن جرم القاسم، فأخذ الناس يتحدثونَ ويتفننون في استبيان أسباب إعدامه إلى أن وصل الجلاد ومعه القاسم فعم الصمت على الحضور.

وُضع رأس القاسم على المقصلة وكان يقف بجانب الجلاد رجل يحمل معه ورقة كبيرة ثم تقدم ليقف أمام المنصة وأخذ يقرأ للناس جرم القاسم وكيف خان البلاد واستغلاله للحاكم وبيعه نفسه للمجون مقابل ثمن بخس وبالطبع لم يخلُ كلامه من سب القاسم وقذفه بمختلف أنواع الشتائم للتحقير من ذلك الوغد... ما إن سمع الحضور ذلك حتى علا صوتهم أيضًا بذم القاسم وسبه فنال قدرًا لا يستهان به من الشتائم فأخذوا يلقبونه بالمجرم والحقير وبابن العاهرة فبالطبع لم تسلم أمه وزوجته ولا أي من أهله من السب أيضًا وأخذوا يحثون الجلاد على التعجيل بقطع رقبة القاسم.

و سرعان ما هوى النصل عليها ففُصل رأسه عن جسده وبعدها علت صيحات القوم فرحًا بموت ذلك الوغد... وأشادوا بحاكمهم و حكمته و براعة الجند وحنكتهم أيضًا وكيف أن هذه البلاد قوية وأخذوا يتحدثون وأفواههم تمتلئ فخرًا بأن هذه البلاد لن تسقط أبدًا.

بعد كل هذا الكلام والفخر وما إلى ذلك لم يمض إلا شهر ونصف وقد خسر الحاكم نور الدين ضد المجون واستولوا على البَرنقاع وقد تتساءل الآن كيف آلت الأحداث إلى ذلك؟...

بدأ الأمر بشيءٍ مثير للريبة إذ أنه بعد بضعة أيام لاحظ من في القلعة اختفاء الجندي عمر وكذلك الجنود الخمسة وأيضًا اختفت معهم الجارية ليلى...

قد وصل بعد عدة أسابيع من اختفائهم رسولان من المجون دخلا على الحاكم وقد طلبا منه أن يحدثاه بمفردهما وبعد كثير من الإلحاح وافق الحاكم فخرج الحراس وخلا بهم المكان ثم أخبرا الحاكم بالرسالة...

وقد كان ما في الرسالة سخرية من الحاكم نور الدين واستهزاءٌ به وبدأ يعلو صوتا هذين الرسولين بالضحك عليه وهو يضع يديه بين رأسه يستمع لما يقولانه، وتظهر على وجهه علامات الخيبة الشديدة.

إذًا ما هو ذلك المثير للسخرية إلى هذه الدرجة؟!!... في الواقع كان القاسم مشكلةً كبيرةً لدى المجون وكان كالشوكة في حلقهم وقد أرادوا أن يتخلصوا منه بأي طريقة فحاكوا تلك المكيدة للإيقاع به وكان عمر ومن معه والجارية ليلى هم الخونة... هذا الواقع إنه مثير للسخرية بالفعل.. نعم.. حقًا من المثير للسخرية أن تتسبب حماقتك وعجلتك بمقتل أحدٍ لا ذنب له.

قد اتفق المجون مع عمر بعد أن وعدوه بالمال والجاه والسلطة وما جعل عيناه تتسع من الذهول وقد اختاره المجون بعد أن جاءتهم أخبار أنه جشع بطبعه فكان سهلًا إغواؤه... كان عمر مقربًا من القاسم فكذب عليه عندما كانا في المعسكر وأخبره بوصول رجل من البلاد بينما لم يكن موجودًا ذكر له أن امرأة القاسم الحامل مريضة للغاية وقد سقط منها طفلها ميتًا فأسرع القاسم وعاد إلى القلعة مع عمر وبعض رجاله بعد أن أخبر جنوده في المعسكر بالمخطط الذي عليهم فعله أثناء غيابه...

عندما عاد القاسم ومن معه قام عمر بتنفيذ خطته مع المجون على الفور... كان من المتطلبات الضرورية القبض على القاسم في يوم وصولهم بالذات لأن القاسم كان سيذهب إلى قريته ليرى زوجته باليوم التالي وهم لم يريدوا أن يتركوا فرصةً للملك ليفكر في الأمر و يقلبه في رأسه فيفعل شيئًا يمنع ما يريدونه فكانت الجارية (ليلى) هي الورقة الرابحة التي ستحقق ذلك وقد كان أصلها من المجون فتعاونت معهم بكل سرور وصدر رحب خاصةً أن المكافئة لم تكن هينةً على الإطلاق وسار الأمر كما خططوا تمامًا وهربوا بعد ذلك ليتلقوا جائزتهم... فإذا بهم يُذبحون.. وكانت حجة المجون بسيطةً للغاية إذ قال قائد المجون لعمر الذي كان يعترض ويتذمر : " لقد عضضت اليد التي أحسنت إليك فكيف أضمن ألا تعض يدي... وأيضًا لم يكن لدي أي نية منذ البداية أن أدفع لك ما وعدتك به.. سأذبحك فقط فهذا أبسط وأوفر أليس كذلك؟!! " ... نعم يا رجل.. إن الأمر بهذه البساطة، فهم ليس لهم أحد يلجؤون إليه على أي حال بمعنى أنه ليس هنالك عواقب من التخلص منهم فما الذي سيجبر المجون إذًا على الدفع لهم... بعد ذلك علت صيحات عمر هلعًا وقد كان الوحيد الذي تم تعذيبه بينهم قبل قتله في النهاية.. قد نال في آخر الأمر نهايةً بائسةً لوغدٍ حقيقي.

لكن ماذا عن الحاكم؟... لم يشعر الحاكم بخيبة الأمل و الحزن و البؤس بهذا القدر من قبل.. كما كان يشعر كأنما روحه تتصعد إلى حلقه من شدة الذنب الذي كان يشعر به.. كانت تتوالى عليه أخبار الخسائر ولكنه لم يكن يبالى وانطوى على نفسه وعزلها في غرفته ولم يعد يتناول الطعام، فظن جميع من في القلعة أنه قد أصيب بمرضٍ غريب ليس له علاج.

حزن الحاكم حزنًا شديدًا ولكن حزنه لم يمنع كبرياءه من إظهار حقيقة

أن القاسم مات مظلومًا وفضل أن يبقى الأمر هكذا.. خاصةً بعد أن وصله نبأ الهزيمة التامة واستيلاء المجون على البرنقاع فلم يقدر على تحمل نظرة قومه إليه بعد أن يعرفوا أنه قتل أعظم قائد في بلاده وأعز أصدقائه بسبب حمقه وسذاجته... لكن الزمن كفيل بالتئام الجروح ومع ذلك فهو لا يمحوها تمامًا، وبمرور الوقت تحسن حال الملك بالرغم من أنه لم يعد كما كان في الماضي لكن ذلك كان أفضل مقارنةً بما مر به منذ مدة.

كتب المؤرخون عن أكبر خائن في تاريخ هذه البلاد القاسم القيرواني وعن تسببه بالخسارة الفادحة في إحدى أهم الأحداث في هذه البلاد... عاش الناس وهم يمقتون القاسم ويكنون البغض الشديد له ولأهله وكذلك يعيبون من يشابهه في الاسم.

حاول قراءة تاريخ هذه البلاد وستجد القاسم يتربع على أسمى أنواع المراتب من الحقارة والدنو، وكان ذوو السلطة ومن يحقدون على القاسم يبدعون في تأليف الإشاعات حوله وتشويه سمعته، وكانت تلك الإشاعات تسجل عنه على أنها حقيقة مثل أنه كان.. سكيرًا.. زير نساء.. ذو ميول شاذة.. ابن زنا.. صدق ذلك فهذا من طبيعة البشر.. هم أساتذة في تضخيم الأمور وتهويلها.

لم يلقِ أحد بالًا للقاسم عندما أقسم أنه مظلوم وهو يصرخ عندما قبضوا عليه في تَلك الليلة وكاد أن يتقطع حلقه... كلما تكلم كذبوه... سمع قذفهم له وسبه والتطاول على أهله بأشنع الألفاظ عندما كان على منصة الإعدام... سخروا منه عندما سمعوا قوله " سأشكوكم إلى الله... هذا كفيل بكم " بأنه كيف يخرج من رجل مثله هذا الكلام وأقسم الكثير منهم أن مصيره

الجحيم... معظم الناس يحبون تصديق الكلام البذيء والفضائح دون تبين ويلقون الكلمة دون أن يحسبوا لها حسابًا، فلا ضير إذًا من التعدي على ذلك الوغد القاسم ولو ببعض من الشتائم...

نسا هؤلاء القوم أو بالأدق تناسوا أن يسجلوا أعماله العظيمة السابقة وعن كونه فخر هذه البلاد سابقًا... هذا أيضًا من طبيعة البشر فحالما تخطئ هم لا يعرفون أي شيء عن محاسنك فالناس لا يعدون عدد ما أصبت به بل يعدون فقط عدد سقطاتك.

أخبرني ما هو التاريخ؟... التاريخ هو ما تم تسجيله عن الماضي عن طريق معاصريه لكن ليس بالضرورة أن يكون التاريخ هو ما حدث تمامًا في الماضي وليس كل التاريخ صحيحًا فكثيرًا ما يتم الأخذ والاعتراف بالتاريخ الكاذب فقط لنزوةٍ أو رغبةٍ في إخفاء الحقيقة أو تشويهها.

حسنًا والآن لنرجع بالوقت بعض الشيء إلى اللحظة التي تحدث فيها الحاكم نور الدين مع الجارية ليلى...

في تلك الليلة كان الحاكم قد أمر أيضًا بإرسال كتيبة من الجنود إلى قرية القاسم فاستعد الجنود وانطلقوا في نفس الليلة وقد كانت قرية القاسم بعيدةً عن المدينة بعض الشيء ولم يكن يجاورها كثيرٌ من القرى الأخرى فكانت كثيرًا ما تتأخر الأخبار حتى تصل إليهم.

وصل الجنود بعد بضعة أيام في إحدى الليالي إلى قرية القاسم وبحث الجنود عن زوجةِ القاسم وابنه فلَم يجدوهما فأخذوا يسئلون أهل القرية عن مكانهما فأجابوهم بعدم المعرفة... استغرب الجنود عن مغيب زوجة القاسم وابنها في هذا الوقت من الليل كذلك قد زاد تعجبهم بعد أن قال بعض أهل

القرية أنهم رأوا زوجة القاسم بعد عصر اليوم...

شكّ الجنود بأن أهل القرية قد وصلهم الخبر وأن بعضهم يتسترون عليهما فأخذوا يهددونهم فأجابوهم مرة أخرى بعدم المعرفة فاستشاط الجنود غضبًا ظنًا أنهم مصرون على عدم إخبارهم مع أن أهل القرية لم يعلموا أين هما بالفعل فقرر الجنود أن يدمروا القرية حتى يخبروهم بمكانهما.

لم تكن زوجة القاسم والتي كان اسمها (درة) في بيتها في تلك الليلة لأن ابنها (مالك) قد اشتد عليه المرض، وقد كان صبيًا لا يتجاوز العاشرة، فقررت الذهاب إلى طبيب عجوز كان صديقًا لوالدها المتوفي وكان بيته يبعد عن حدود القرية قليلًا... وعندما كان يتفقد حال مالك لم يمضِ كثيرٌ من الوقت إلى أن اقترب الجنود من منزل ذلك العجوز وقد لاحظ متدربه اشتعال القرية ورأى الجنود من بعيد يسرعون على خيولهم إلى المنزل فأسرع وحذر الطبيب وامرأة القاسم وأخذ يُعِدُّ العربة للهروب...

أسرع الطبيب وركب العربة ثم حملت أم مالك ابنها ووضعته في العربة أولًا وبينما هي تصعد سمع ذلك المتدرب صيحات الجنود فارتعد و تملكه الخوف وانطلق بالعربة فوقعت أم مالك وهي تصعد ثم أصابها سهمٌ من الجنود في كتفها وكانت تصرخ وتطلب منهم أن ينتظروها ولا يتركوها وحدها، وقد كان هناك متسع من الوقت لإنقاذها لكن ذلك المتدرب الأحمق الجبان كان شديد الحرص على نفسه ولم يمانع تركها في سبيل أن يعيش.

ساد الرعب على وجه الصغير مالك وكانت عيناه تفيضان بالدموع وتنهمران بالبكاء وهو ينادي أمه وهي كانت ملقاة على الأرض ترفع يدها نحوه وهم يبتعدون كثيرًا عنها وسرعان ما اقترب جندي إليها وهوى

السيف على رأسها أمام عيني مالك فلم يتمالك نفسه وكاد يقفز إليها فأسرع الطبيب و أمسك به وجذبه إليه ووضع يديه على كتفي مالك قائلًا:

– " اسمعني يا مالك أعلم أن هذا قاس عليك يا ولدي وأنه كثيرٌ عليك لكن هؤلاء القوم لا يريدون لك خيرًا وسيقتلونك فور أن يعرفوا من أنت.. الآن أنت لست مالك... أنت طارق أو زيد أو أي شيء آخر فلتكن طارق ولتأخذ اسمي أنت الآن طارق بن هشام القاصي... إني أخاف عليك يا ولدي وإن قلبي ليتقطع من أجلك لكن هذه هي الحياة وقد عرفت بؤسها في صغرك.. أرجوك لا تتهور فأكثر ما قد تريده أمك في هذه اللحظة هو أن تعيش أنت "

= "ولكن... ولكن...." رد عليه مالك وهو يجهش بالبكاء والدموع تنهمر من عينيه فضمه الطبيب إليه واحتضنه واضعًا يده على رأسه

– " اهدأ يا صغيري... أرجوك اهدأ... إني أعرف والدتك وأهلها وسآخذك إليهم "

وكان مالك يصرخ وهو يمسك بثياب الطبيب ولا ينقطع عن البكاء والعربة تستمر في المسير تختفي عن أنظار الجنود شيئًا فشيئا.

استطاع ثلاثتهم الهرب وأوصل الطبيب مالك إلى خالته ومضى هو ومتدربه في طريقهما... لكن بالنسبة لمالك فيمكن القول أن حياته في هذه البلاد قد انتهت فمجرد تغيير اسمه لن يمنعَ الناس من معرفته فهناك رجل من القرية كان يجيد الرسم وعرض على الجنود أن يرسم أم مالك درة وابنها مقابل أن يتركوه بدون أذى وانتشرت ملصقات في أنحاء البلاد تحمل صورة مالك وتشمل أن هناك مكافئةً كبيرةً لمن يقبض عليه ويسلمه حيًا.

عاش مالك مع خالته أسبوعين منذ الحادثة ولم يبارح ذلك المنظر بال ذلك الصبي الذي لا يعي شيئًا... علق برأسه منظر والدته وهي تُقتل أمام عينيه... انطوى ذلك الصبي على نفسه وأصبح قليل الكلام نادرًا ما يبتسم.. لم يعد ذلك الصبي المبتسم كثير اللعب والحديث والحركة، وفي إحدى الليالي في وقتٍ متأخرٍ بعد نوم مالك وطفلي خالته حدثت (جويرية) خالة مالك زوجها قائلة:

- " كيف ذلك يا محمود؟!! لا يحق له لا يحق لذلك الشخص أن يذهب إلى القاضي ليطالب بالمال!!.. ألم يتفق معك بأن ترد إليه المال بعد شهر؟!!! "

= " لقد خدعني يا جويرية ولا أعرف ماذا أفعل "

- " اذهب إليه وحدثه وحاول أن تقنعه وتفهم منه ما حدث "

= " هاه.. لقد ذهبت إليه من قبل ولا أحتاج منك أن تخبريني بذلك... إنه مخادع محتال هذا كل ما في الأمر "

- " وما الحل الآن ونحن لا نملك إلا ما يكفي قوتنا لحين بيع بضاعتك؟!! "

= " ذلك الصبي مالك... ألم تخبريني أنكِ تمقتين أختكِ وتكرهين ذلك الصبي لأنه يذكركِ بها؟... إن على رأسه مكافئة تزيد على ديني بأضعاف "

- " اخرس ولا تفكر في ذلك أبدًا أنا لن أفعل ولن أسلمه إليهم هذا خاطئ ولن أستطيع... "

= " لا شيء اسمه لا أستطيع لا تدعي أمامي يا امرأة أنا زوجك وأعرفك جيدًا سأسلمه سواءً شئت أم أبيت "

- " أنت أحمق مجرد أحمق كيف ذلك وهو سيقول بأننا أقرباؤه ونُقتل نحن أيضًا يا غبي "

= " دعي ذلك علي أنا أعرف كيف سأتصرف بهذا الشأن "

فصرخت بوجهه قائلة: - " كفاك من ذلك ولا تتحدث معي في ذلك مجددًا أيها... "

فأسرع و ووضع يده على فمها قائلًا لها و قد اتسعت عيناه: = " ما رأيك أن تختاري... حبسي أم حبسه؟!!! "

سكتت تلك المرأة للحظات بعدها وافقت على التخلص من مالك مقابل المال في الواقع لقد كانت تفكر في ذلك الأمر منذ مدة ولكنها لم ترد أن تكون هي من يعرض ذلك، وكانت تعاتب نفسها أحيانًا على ذلك التفكير... قد أصاب زوجها في أمر واحد.. ما هي إلا مدعية فقد كانت تحسد أختها درة و تحقد عليها بشدة؛ فأختها كان كثيرًا ما يتقدم الرجال إليها بالزواج وتزوجت أختها قبلها وقد كانت جويرة هي الأكبر سنًا لكن أختها كانت أمهر منها في أمور البيت و كان جيرانهن من النساء يعايرونها بها دائمًا.. كذلك قد تزوجت أختها القائد القاسم القيرواني أما هي فتزوجت التاجر محمود... كل هذا الحقد والحسد قد سيطر عليها حتى أنها فرحت نوعًا ما عندما أعدم القاسم فقد كانت تكره أختها درة أشد الكره، وعندما عرض عليها زوجها ذلك الأمر أرادت فقط أن تظهر أنها لا تريد ذلك وادعت النزاهة.

مر يوم على تلك الليلة وفي اليوم الذي يليه بعد الفجر بقليل قام محمود بحمل مالك وهو نائم ووضعه في عربته وركبت معه زوجته جويرية ثم انطلق محمود بالعربة حتى وصل إلى تلٍ في الغابة المجاورة فقام محمود وحمل

مالك خارج العربة ثم وضعه على ذلك التل.. لكن مالك استيقظ مفزوعًا عندما رأى المكان حوله فأسرع محمود وقيده فأصيب مالك الرعب والهلع وأخذ يصرخ قائلا:

- " ماذا يحدث؟!! ماذا تفعل يا خالي؟!!! أين أنا؟!! "

فردت عليه خالته ببرود وهي تعطيه ظهرها ولا تنظر إليه:

= " اصمت و اطمأن ستجد أحدًا عما قريب " ثم ذهبت إلى العربة ومعها زوجها

فقال مالك و صوته يتقطع من شدة البكاء: - " ولكن ماذا لو لم أجد أحدًا... انتظري... لا تتركيني أرجوك فأنا ليس لي أحد غيرك.. انتظري!!! "

لم تلقِ له بالا و كذلك زوجها... صعدت العربة وهو يصرخ يناديها... انطلقت العربة وهو يصرخ... ابتعدت ولم يعد يراها... وما زال يصرخ.. ويصرخ.. ويصرخ.

بعد كل هذا هدأ مالك وسكن وأخذ يبكي في صمت وهو يرى قطرات دموعه تتساقط على رجليه... مر الوقت على مالك وهو على هذا الحال حتى أتى رجل من خلفه واصطدم به فنظر إليه مالك فاتحًا فاه.

كان ذلك الرجل مشغولا بالنظر في ورقة يحملها بكلتا يده فلم يلحظ مالك وعندما رآه كوّم تلك الورقة بيده ووضعها في جيبه... ثم جلس بجانب مالك ووضع يده على رأسه وأخذ يواسيه وهو يبكي ثم فك قيده وعرض عليه أن يطعمه إذ بدت عليه علامات الجوع... وفي الطريق إلى بيت ذلك الرجل أخذ يحدث مالك ويلاعبه ويحكي له بعض القصص ويضحكه

ببعض الطرائف.

فرح مالك بذلك الرجل أشد الفرح وفتح له قلبه وبدأ يبادله الحديث فلم يفرح كذلك منذ توفيت والدته ولم يتوقفا عن الحديث حتى وصلا... أخذا يتناولان الطعام وقال ذلك الرجل لمالك بعد انتهائهما أنه سيريه شيئًا رائعًا وطلب منه أن يصعد معه فذهب معه مالك ووقفا أمام باب حجرةٍ ما وأخبره أن ذلك الشيء بالداخل ولحظة فتح باب الحجرة... أمسك ذلك الرجل بمالك ورماه بداخلها وأوصد عليه بابها بسرعة ثم قال له وهو يمشي مبتعدًا: " آسف يا صغيري ولكن المال أهم منك "

كان ذلك الرجل هو الدائن... وقد اتفق معه محمود بأنه سيترك له مالك في ذلك اليوم على التل وطلب منه أن يسلمه ويأتي بالمال ثم يقتسماه، وسيرد له محمود الدين من حصته فوافق الدائن على ذلك وأما الورقة التي كان مشغولًا بها ما هي إلا ملصق من الملصقات التي عليها صورة مالك.. فسعد الدائن برؤية مالك أو بالأحرى برؤية ذلك الكيس من المال الملقى على الأرض.

أخذ مالك يطرق على باب الحجرة ويضرب بابها بقدمه وهو يبكي ويصيح ولم يلبث مالك كثيرًا إلى أن اختفى صوته من كثرة الصراخ وأدرك أنه لا جدوى من ذلك... فانزوى إلى ركن من أركان الغرفة يكمل بكاءه ضامًا ركبتيه إلى صدره واضعًا يديه عليهما وبعد بضع ساعات سمع مالك أصوات أناس يتحدثون بالخارج فأسرع مالك وذهب إلى النافذة ليرى من بالخارج فوجد هؤلاء... هم الجنود الذين قد أتوا ليأخذوه فتوتر مالك وزاد هلعه وأخذ قلبه يدق بسرعة وضاق به تفكيره وانحسر بالقفز من تلك النافذة..

قد كان متوترًا للغاية.. ولكن فور أن سمع صوت طرق الجنود للباب عزم أمره وقفز من النافذة ولحسن حظه أن كانت هناك كومةٌ من القش أسفلها ولم يلحظ أحد صوت ارتطامه... قد تألم مالك بشدة من ذلك الارتطام مع أنه سقط على كومة القش تلك لكن ليس هناك وقت للشكوى فقام مجبرًا جسده على النهوض وحاول أن يهرب بأسرع ما يمكنه.

كان الدائن قد أخبر هؤلاء الجنود بأن مالك سيكون معه في هذا اليوم واتفق معهم بأن يمروا على ذلك البيت بعد أن وصف لهم طريقه وعند سماعه لطرق الباب في تلك اللحظة أسرع الدائن ليفتحه وأخذ يرحب بالجنود بشدة... ثم سألهم أين المال؟... فرد عليه أحدهم بأنه سيعطونه المال ولكن حينما يرون الصبي و قد كان ذلك الدائن سعيدًا جدًا و طلب منهم أن يصعدوا معه ليأخذوا مالك ظانًا أنه ما زال بالأعلى... وحينها أصابته الصدمة عندما فتح باب الحجرة ولم يجد أحدًا فقال أحد الجنود:

- " ما هذا أيها الوغد؟! لا يوجد أحد بالداخل "

رد الدائن و هو متوتر: = " اعذرني يا سيدي يبدو أنني قد أخطأت الغرفة إنه بالغرفة المجاورة فقط اتبعوني "

فأخذهم إلى الغرفة التالية وفتح بابها و لم يجد بها أحدًا فأسرع الدائن قائلًا وقد كانت تعلو وجهه ابتسامةٌ سخيفة = " صحيح!!.... لقد تذكرت.. لقد حبسته بالأسفل أنا متأكد هذه المرة هو مازال بالبيت صدقوني "

فرد أحد الجنود و قد بدا عليه الغضب : - " ما بالك؟! لما أنت متوتر هكذا أيها الرجل؟!!... آاه دعني أحزر لقد هرب منك أليس كذلك؟ "

و أكمل جندي آخر : ❊ " لسوء حظك أيها الغبي أننا في مزاج لا يسمح لنا بأن نتجاوز عن ذلك بعد أن قطعنا كل هذه المسافة "...

غضب الجنود على ذلك الرجل غضبًا شديدًا وأخذوا يضربونه ضربًا مبرحًا ثم انصرفوا وتركوه ملقى على الأرض وهو يتأوه من شدة الألم.

أسرع مالك بالهرب من ذلك البيت وكان قد ذهب في الاتجاه الذي رأى الجنود يأتون منه وكان هذا الطريق المؤدي إلى المدينة ومضى من الوقت ما مضى حتى وصل إليها... وأول شيء لاحظه هو تلك الملصقات التي تحمل صورة وجهه والمعلقة في كل مكان في أنحاء المدينة... أخذ يمشي في شوارع المدينة واضعًا يديه على وجهه حتى لمح عربة وحيدةً لا تبعد عنه كثيرًا فأسرع وذهب إليها ثم اختبئ بها وسط ما تحمله من بضاعة وقد غطا نفسه تحت غطاء تلك البضاعة.

كانت تلك محاولة بائسةٌ من مالك للاختباء لأنه لم يكن يعرف كيف يتصرف ففعل أول ما قد خطر بباله وهو اللجوء لتلك العربة حيث أن تلك الملصقات المنتشرة تعني أنه لا يمكنه الثقة بأي أحد... مر بعض الوقت ثم تحركت العربة وكان مالك لا يعرف ماذا يفعل فظل ساكنًا بها لا يتحرك حتى حل الليل وقد ابتعدت تلك العربة عن المدينة إلى مكان خالٍ تمامًا ثم توقفت العربة عند حلول الليل...

بعد مدة قليلة سمع مالك صوت ولدٍ يصرخ ويستنجد يطلب العفو فقلق مالك وفزع بشدة... لكن فضوله قد غلبه فاختلس النظر فرأى رجلًا يضرب صبيًا بقوة وسقط ذلك الصبي من شدة الضرب فأخذ الرجل يرفسه برجله ويزيد عليه ضربًا وكان حوله عدد من الأولاد والبنات الصغار

يقاربون مالك في العمر... قد كانوا مكبلين بالأصفاد يملؤهم الرعب من أن يُفعل بهم مثل صاحبهم، وقد فزع مالك عند رؤيته لذلك أشد الفزع ولكن ما زاد وملأ قلبه رعبًا وهلعًا هو معرفته لذلك الرجل عندما رأى وجهه... أسرع واختبئ في مكانه تحت غطاء البضاعة وهو يتنفس بسرعة وقلبه تتسارع نبضاته لأن ذلك الرجل الوغد.. ذلك الرجل كان الدائن الذي هرب منه.

فلنقل إن مالك تعيس الحظ للغاية لوقوعه في هذه المصيبة، قد كان ذلك الدائن تاجر رقيق وكان كثيرًا ما يحمل معه بضاعةً في العربة من الزيوت والحبوب أيضا كي يسترزق منها كذلك... كان تاجر الرقيق ذاك يخطط منذ البداية بأن يسافر لأداء تجارته وأن يبقيَ المال لنفسه دون أن يقتسمه مع محمود وزوجته، وبعدما ذهب الجنود من عند ذلك الرجل أخذ يسب ويلعن ذلك الولد مالك وهروبه الذي جعله يخسر المال وتسبب في ضربه من أولئك الجنود الأوغاد... ولم يفارق ذلك باله...

كان حانقًا شديد الغيظ يتمنى لو أمسك ذلك الوغد مالك وأعطاه ما يستحق من العقاب، حتى حل الليل وتوقفت العربة وأكثر من شرب الخمر وأخذ يهذي ويسب حظه والعالم وذلك الولد مالك بالذات حتى قاطعه أحد الصبية من الرقيق بفعلة أغضبته فأخذ يضربه بشراسة... صبّ عليه جام غضبه وحسرته وخيبة أملِه في ضربه وهو يقول صارخًا: " لقد أضعت كيس المال ذلك من بين يدي و لم يبقَ لي إلا أنتم يا أكياس القمامة "، وظل يضرب ذلك الصبي بقوة حتى نزف من شدة الضرب وعندما تعب أخيرًا قال للصبي بأن يخرس ولا يصدر صوتًا وإلا قتله ومزق جثته ورماها للكلاب فوضع الصبي يده على فمه يكتم أنينه وآهاته والدموع تنهمر من عينه لا تتوقف.

كان مالك فزعًا بشدة وانتابه الرعب بعدما رأى ذلك الرجل وذلك المنظر... لم يدرِ ماذا يفعل ولكن الذي أدركه بعد قليل من الوقت هو أنه ليس بيده شيءَ.. لا يستطيع فعل شيء على الإطلاق فقط سيكمل اختباءه وليرى كيف ستؤول الأمور... بعد كل هذا التفكير ظل مالك لا يحرك ساكنًا في مكانه وانتظر اليوم التالي.

كان تاجر الرقيق لا يدخل الصبية إلى العربة بل يجعلهم يمشون على أقدامهم بجوارها وكان يجعلهم ينامون في العراء... أما هو فكان معه غطاؤه ووسادته الذين ينام بهما داخل العربة وكان عندما يريد أن يأكل يتركهم يتناولون طعامهم بالخارج وهو يدخل إلى العربة يتناول طعامه... كان مالك ينتظره حتى ينتهي فيأكل بقايا طعامه ويشرب قليلًا من قربة مائه حتى لا يلحظ ذلك وكان يتغاضى التاجر عن اختفاء بقايا طعامه ظنًا أن أحد الصبية دخل إلى العربة ليأكلها... واستمر الوضع على هذا الحال حتى مر ما يقارب أربع أو خمس أيام فلم يشغل مالك نفسه بالعد... وصلوا ليلًا إلى مدينة (آلينا) تلك المدينة التي تطل على البحر والتي تنتعش بالتجارة ويأتي إليها الناس من مختلف الدول ليعرضوا بضاعتهم وقد كانت ميناءً ومكانًا لراحة البحارة في رحلاتهم الطويلة.

لاحظ مالك وصولهم إلى تلك المدينة فقرر الهروب ولكن ليس الآن... انتظر حتى اقترب وقت الفجر بعد أن غط الجميع في النوم وفي ذلك الوقت حاول أن يتسلل بخفة دون إصدار صوت إلى خارج العربة فنزل منها... لكنه تعثر وهو يمشي بأحد الصبية النائمين على الأرض فاستيقظ ذلك الصبي و رأى مالك فصرخ بوجهه قائلًا : " من أنت ؟! وماذا تفعل هنا؟!!

"... استيقظ الجميع وخرج التاجر من العربة وهو يصيح غاضبًا فقد شرب التاجر كثيرًا من الخمر ليلًا ولم ينم إلا بضع ساعات و لم تذهب عنه آثار الثمالة بعد وبمجرد أن رأى وجه مالك انتابه شعور مختلط بين الغضب والسعادة فأسرع واستل سيفه اتجه نحوه.

شعر مالك بالرعب عندما رأى وجه ذلك الرجل واتساع عينيه وبريقهما ذلك البريق الذي يظهر مدى خبث نيته وسوادها... فأسرع مالك بالهرب نحو تلك المدينة وحاول مالك أن يضلل ذلك التاجر ولكنه فشل... فقد كان ذلك التاجر عازمًا بشدة على القبض على مالك وألا يدعه يفلت منه مهما حدث، وفي أثناء هروب مالك اصطدم برجل وهو يجري فسقطا كليهما... ثم نهض ذلك الرجل ممسكًا رأسه وعندما رأىَ وجه مالك لاحت عينيه على الجدار الذي كان خلفه وقد كان عليه ملصق يحمل صورته... فأمسك ذلك الرجل بمالك وقال له:

- " أنت ذلك الفتى الذي بالصورة ياحظي الرائع لقد أسعدتني برؤيتك أيها الفتى "

رد التاجر على ذلك الرجل وهو يجري صارخًا:

= " أبعد يديك يا هذا عن الطفل إنه ملكي أنا!!! "

- " ماذا تقول أيها الأحمق أنا من أمسك به أولا ابتعد عني ولا تضايقني!! "

= " قلت لك أيها الوغد الحقير اترك ذلك الصبي وإلا قطعت يديك!!!! " رد التاجر وهو يرفع سيفه.

عندما لاحظ الرجل ذلك السيف وطريقة حديث التاجر أدرك أن ذلك الرجل مجنون فقد عقله ولا يجب أن يعبث معه... وحالما اقترب التاجر من ذلك الرجل لوح سيفه في اللحظة التي أفلت فيها ذلك الرجل مالك وتفادي ضربته بالكاد وسقط ذلك التاجر بعدما لوح بسيفه وكذلك مالك... أسرع مالك بالنهوض والجري بعيدًا عنهما واستيقظ كثيرٌ من الناس على صوت هذين الرجلين في ذلك الوقت ولاحظ الجنود الصبي مالك وهو يجري والتاجر وراءه فأخذوا يلاحقون مالك أيضًا.

زاد الطين بلة ومالك يجري يسيطر الرعب على قلبه فجميع من يجري وراءه مسلحون بالسيوف ولم يعرف مالك إلى أين يجري لم يكن مدركًا أنه يتجه بمساره هذا نحو البحر وقد حاصره الجنود وتاجر الرقيق... أخذوا يقتربون إليه من جميع الجهات أصبح لقمةً سهلة ليس هناك ممر ليس هناك مكان يتجه إليه سوى ذلك البحر.

كان مالك يقف خلف سفينة قد بدأت بالحركة لتبحر إلى وجهتها التالية بعيدًا عن هذا المكان وقد نسي البحار الأحمق أن يرفع مع رفاقه اللوح الذي يصعدون به إلى السفينة فكانت هذه فرصة مالك الوحيدة للنجاة فأسرع يصعد للسفينة... وكانت السفينة تتحرك مبتعدة وذلك اللوح يهتز ومالك يجري مسرعًا عليه، وعندما كاد يسقط ذلك اللوح قفز مالك تجاه السفينة وأمسك حافتها بيديه... لكن مالك كان ضعيفًا لكي يرفع نفسه بيديه ليدخل السفينة فأخذ ينادي ويطلب النجدة وكادت يداه أن تفلت حافة السفينة لولا أن أسرع أحد البحارة ورفع مالك بعد أن سمع صوته.

كان الجنود بعيدون بعض الشيء عن مالك وحالما وصلوا إلى موضع

تلك السفينة من الميناء كانت قد ابتعدت وأخذوا ينادون على السفينة لكن أصواتهم كانت لا تصل إليهم.

الفصل الثاني : لا شيء يدوم

بدأت للتو رحلة مالك في تلك السفينة بأن أخذه البحار الذي أنقذه وكان اسمه (علي) إلى قائد السفينة وكان القائد في هذه اللحظة يوبخ البحار الذي كلفه برفع اللوح فانتظر علي قليلًا حتى انتهى ثم أخبر علي القائد (ثابت) بأمر مالك فطلب رؤيته.

جلب علي مالك.. أتى مالك ووقف أمام القبطان وقد بدت عليه علامات الضعف وأنه غير قادر على الوقوف فسمح له القائد بالجلوس وقال له القائد:

– " من أنت أيها الصغير وماذا تفعل هنا؟ "

= " أنا اسمي طارق بن هشام القاصي " رد مالك بعدما تذكر كلام الطبيب إليه فرد بالاسم الذي أطلقه عليه بعد ثم صمت.

– " حسنًا وماذا بعد؟!... فأنت لم تخبرني بما تفعله هنا "

التزم مالك الصمت ولم يرد على القبطان.

– " يبدو أنك لست صبيًا سهل المراس وستتعبني معك... إذا ما رأيك بأن نعيدك إلى الميناء؟ " أكمل القائد وارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة.

بدت على مالك علامات التوتر ورد مسرعًا : = " كلا لا تعدني إلى ذلك المكان أرجوك أي شيء غير ذلك "

- " لما لا تريد العودة؟!!.. أليس لك أهل يفتقدونك هنالك؟! "

= " لا ليس لي أحد ليفتقدني " رد مالك وقد وجه نظره إلى الأرض وبدا الحزن العميق على وجهه.

- " ولكن للأسف ليس هناك مكان على ظهر السفينة يتسع لك وأنت لا تريد العودة إلى الميناء.. مممممم إذًا ليس هناك حل آخر ما رأيك أن أرميك في البحر؟ "

حل اليأس و الخيبة على وجه مالك ووضع يديه على رأسه ورد قائلًا : = " افعل ما تشاء يبدو أن هذا العالم لا يريدني فيه "

وضع القبطان يده على رأسه مالك و جعله يوجه نظره إليه وأخذ يضحك في وجهه:

- " ما بك أيها الصبي؟!!.. ألم ترى أحدا يمزح من قبل!!.. لم أتوقع أن تظهر هذه التعابير يجب عليك أن تنظر إلى وجهك إنه يبدو مضحكًا للغاية " وأخذ باقي الطاقم يضحك مع القبطان ويعلو صوتهم بالضحك ثم أكمل القبطان قائلًا: - " اسمع أيها الصغير أنت الآن على سفينتي ولا أريد أي عقبات في طريقي فإما أن أستغلك حتى أهلكك من العمل كل يوم أو أن أرتاح وأتخلص منك فألقيك بالبحر كما ذكرت... الخيار لك "

شعر مالك بالدهشة والتعجب عندما رآهم يضحكون وعندما سمع كلمات القبطان الأخيرة دب الأمل في قلبه وكأن الحياة رجعت إليه بعد أن كاد يفقدها وكان يخاف من أن يفرح فيخيب ظنه مرةً أخرى... لكن سرعان ما تغاضى عن ذلك الشعور فقد سئم الحزن ثم رد على القائد ثابت وهو

يبكي وكأن قلبه هو الذي يتحدث: " سأفعل ما تريد ليس هناك طريق آخر لقد سئمت من البكاء أريد أن أعيش بسلام هذا كل ما أريد "

- " جيد هذا جيد أيها الصغير ولكن لا تظن أيها الوغد أني سأرحمك ولو قليلا لأنك تبكي... ابدأ بتنظيف سطح السفينة واذهب مع حسان ليعطيك ما تحتاج هيا أيها الوغد الصغير لا أريد تخاذلًا " رد عليه القبطان بصوت عالٍ وقد ارتسمت ابتسامة على وجهه.

ذهب مالك مع حسان وبعد أن ابتعدا قال القبطان لـ(علي) الذي يقف بجواره:

- " يبدو أن هذا الصغير قد عانى الأمرين ليظهر كل هذا البؤس على وجهه... حقًا إن هذه الدنيا بمآسيها لا تعرف صغيرًا أو كبيرًا.. وذلك الصبي يذكرني بنفسي في صغري... لكن المهم الآن هو أني أريد بعض الشراب اذهب وأحضر القليل "

والآن بعد أن صعد السفينة في هذا اليوم الذي كان يهرب فيه من تاجر الرقيق والجنود لم يعد مالك بن القاسم القيرواني بل طارق بن هشام القاصي فكان هذا اليوم بداية صفحة جديدة في حياته...

ذهب علي ليحضر الشراب للقائد وكذلك شرع طارق في عمله وكان متعبًا أكثر مما كان يتخيل ومع ذلك لم يرحمه القائد ثابت وكان عندما ينتهي من مهمة يوكله بأخرى... عانى طارق في بداية الأمر ولكن مع مرور الوقت تأقلم طارق مع الأمر... لم يكن هنالك مكان لينام فيه طارق على السفينة فسمح له القائد بأن ينام معه في غرفته، وقد أحب طارق القائد ثابت حقًا وأعجب به فكان كثيرًا ما يجالس طارق ويحكي له بعض مغامراته ويشركه

في ترفيهه وكان ذلك القائد مرحًا كثير الضحك والحديث سليط اللسان.. كان له ولع بالقمار ويحب شرب الخمر.. كان سريع الغضب ولم يكن يحب أن يسخر أحد منه أو من أفراد طاقمه فكان يخوض كثيرًا من المشاجرات مع مختلف الناس وكان أغلبهم من هؤلاء الأغنياء المتعجرفين.. كان كثيرًا ما يفعل العديد من الأفعال الجنونية ومع ذلك فقد كان لحضوره هيبةً لدى تابعيه فكان محبوبًا بينهم وكانوا يحترمونه كثيرًا.

أخذ طارق من قائده بعضًا من صفاته فأخذ منه حب لعب القمار من كثرة ما كان يلعب ذلك القائد معه... قد كان القائد ثابت بارعًا في النجارة فكان إذا أصاب السفينة ضرر كان يصلحها هو بنفسه وكان يحب أحيانًا نحت أشكالٍ من الخشب فتعلم طارق تلك الحرفة منه لكن الشيء الوحيد الذي لم يأخذه منه هو شرب الخمر... قد عرف طارق الطاقم بسرعة وكانوا يعاونونه في بدايته في السفينة ولكن مع مرور الوقت سرعان ما أصبح معتمدًا عليه وقلت مساعدتهم له.

قد زار طارق عديدا من البلدان ورأى الكثير من العجائب التي تملأ هذا العالم، وأدت كثرة تعامله مع الأجانب إلى تعلمه بعضًا من اللغات، وأكسبه بقاؤه في السفينة واجتهاده جسدًا قويًا، وظل طارق على ظهر تلك السفينة ثمانية أعوام حتى بلغ الثامنة عشرة.

أتى ذلك اليوم الذي غلب فيه المرض القبطان ثابت حتى لم يستطع تحمله وفارق الحياة... كان يقول في لحظاته الأخيرة: - "بعد هذه الحياة لا أريد شيئًا منها كل ما أريد هو رحمة ربي وأريد أن أتوب إليه... كل ما أريده هو قلبًا يليق بلقاء ربي فيا ربي أرجوك لا تعاتبني بذنوبي فأنا أعرفها ولكن اذكرلي أي عمل

صالح عملته واشفع لي به يا أرحم الراحمين "... قد حزن كل أفراد الطاقم حزنًا شديدًا وأكثرهم كان طارق وقد طلب القائد من طاقمه ألا يدخلوه إليه لأنه كان يحب طارق حقًا وكان ذلك سيصعب أمر فراقه عليه... لكن طارق كان معترضًا أشد الاعتراض فأصر على الدخول ولكنهم منعوه...

كانوا يخبرونه أنه أمر من القائد وأنه ليس بيدهم شيء لفعله حيال ذلك وأخبروه بكلمات القائد حول أن ذلك سيصعب الأمر عليه، لكنه لم يقتنع بذلك حتى غضب واقتحم الغرفة واقترب من قائده وأمسك يده باديًا عليه الحزن... التفت له قائده وقال له حالما رآه: - " أخبرني طارق... هل أنت راض عني؟ "... ثم فارق الحياة بعد هذه الكلمات وتعلو وجهه ابتسامة خفيفة فرد عليه طارق باكيًا: = " أيها العجوز المحتال الوغد... حتى وأنت ميتٌ وتقطع قلوبنا على فراقك أراك مبتسمًا وكأني لم أعهد عليك حزنًا قط... بالطبع أنا راضٍ فإن لم أرضَ أنا عنك فمن غيري من البشر قد يفعل؟!! "

كان طارق ومن حوله من الرجال يبكون على فراق القائد ثابت ذلك الرجل الذي حفر لنفسه مكانا كبيرًا في قلوبهم... ثم خرج طارق من غرفة القائد ثابت وكان يواسيه علي وحسان اللذان كانا أقرب الناس إليه بعد القائد، بعد ذلك قام الطاقم بدفنه وصلوا عليه الجنازة.

تفرق الطاقم بعد ذلك... بعضهم لم يريدوا أن يتركوا السفينة وآخرون قد قرروا العودة إلى أهاليهم والعمل بالقرب منهم، أما طارق فارتحل إلى قرية اسمها (دوران) وقد عمل هناك بالنجارة... لكن ما زالت عنده عادة القمار تلك لا تفارقه فكان كثيرًا ما يلعب وتتوالى عليه الأرباح والخسائر... كان متعلقًا جدًا به لدرجة أنه كان تقريبًا يقامر كل يوم فقد أحب القمار كما

أحبه قائده وكان أحيانًا يخسر كل شيء فيقامر على حياته حتى يربح ويرد خسارته ولكنه مع حبه له فقد سئم من ذلك الحال... لأنه كان يعلم أن القمار حرام لعبه وهذا أمر مُسَلم به ولم يكن يريده قائده في نهاية عمره أن يتبع نفس طريقه ويغرق في تلك العادة... كان كثيرًا ما يؤنب نفسه على ذلك صحيح أنه يحبه لكن ذلك ليس مبررًا له بأن يلعبه، وكان كثيرًا ما يقرر تركه ولكن سرعان ما كان يرجع... ظلّ على هذا الحال حتى قرر وعزم أن يتوب عن لعب القمار فأخذ يشغل نفسه بأمور تقربه من الله وأخذ يثقف نفسه بقراءة الكتب ويشغلها بمهارات أو حرف جديدة... عاش طارق في هذه القرية عشرَ سنوات مرت عليه بسرعة وأحب هذه القرية وأهلها الطيبين وشعر فيها بالألفة وكان يعجب الناس منه عندما يسمعون أنه قد كان بحارًا وأحبوا سماع قصص رحلاته وعما رآه من عجائب وروائع... أحس طارق بالرضا عن تلك الحياة وتمنى لو تدوم للأبد فقد ظن أنه لن يجدَ في حياته مكانا دافئًا من بعد السفينة يضمه غير تلك القرية.

في يوم ما عندما كان طارق يمشي إلى ورشته اصطدم به رجل عجوز وسقط ذلك الرجل فأسرع طارق وساعد ذلك الرجل على النهوض وقد صعق ذلك الرجل وبدت عليه علامات الذهول عندما قام ذلك العجوز ورأى وجه طارق وأخذ يتحسس وجهه ثم وضع كفيه على خديه وقال ذلك العجوز له:

- " ياللهول لا أصدق ما أرى أنت تشبهه!!... تشبهه تماما!!!... من أنت يا بني وما اسمك؟ "

أمسك طارق يدي الرجل وأبعدها عن وجهه ثم رد عليه قائلًا:

= " أولًا اعذرني أيها السيد عن سقوطك فأنا لم ألحظك أما أنا فأكون طارق القاصي وأعمل نجارًا في هذه القرية "

– " أتعلم يا بني أحدًا يدعى القاسم القيرواني؟ "

صعق طارق هو الآخر عندما سمع اسم والده وبدت عليه علامات التوتر والقلق والتي حاول إخفاءها ولكنه لم يستطع ورد عليه متلعثمًا: = " كَ... كلا أيها السيد أ... أنا لم أسمع هذا الاسم من قبل "

– " ولكنك يا بني تشبهه كثيرًا أمتأكد من ذلك؟!!... إن كنت قريبًا له فأرجوك أخبرني "

= " العالم واسع أيها السيد ومليء بالبشر فمن الطبيعي أن يكون هناك أشباه لنفس الشخص وإن لم يقابلك الكثير " رد مالك بعد أن استجمع شتات نفسه

رد الرجل وقد بدت عليه علامات الخيبة والحزن: – " معك حق يا بني معك حق ولكن كنت أتمنى حقًا لو كنت تعرفه اعذرني إن أزعجتك "

= " كلا لا تشغل بالك يا سيدي فأنت لم تزعجني أبدًا "

– "إذًا وداعًا يا بني وصحبتك السلامة " وبعد ذلك مشى ذلك الرجل مع رفيقيه اللذين كانا معه.

بدا طارق منزعجًا طوال اليوم بعد ما حدث حتى أتى الليل، ولم يستطع النوم من كثرة التفكير في ذلك الرجل العجوز الذي كان يرتدي عباءة بقلنسوة كان يغطي رأسه بها وكذلك مرافقيه اللذين كانا يشابهانه في الملابس وكان من الواضح أن ذلك الرجل من معارف أبيه لملاحظته الشبه بينه وبين

والده، وما أثار فضوله وتوتره هو ما الذي يفعله ذلك العجوز في هذه القرية بالذات والتي تبعد كثيرًا جدًا عن (جاليا) موطن طارق الأصلي... قد انشغل بال طارق بالتفكير في هذا الأمر كثيرًا ولكن مرور الأيام قد جعله يتغاضى عن هذا الأمر ويتخلى عن التفكير فيه.

مر حوالي شهرٌ أو أكثر على هذا اليوم وفي حين عمل طارق في ورشته مر عليه العم رشيد وقد عرف طارق ذلك الرجل عندما كان يلعب القمار... أتى العم رشيد إليه جريًا وقد بدت عليه علامات الإرهاق ولم يكد يأخذ أنفاسه وقال لطارق:

- " طارق أحتاج مساعدتك بسرعة تعال معي لقد خسرت كل شيء... أرجوك تعال... هيا أسرع "

= " ما الأمر يا عم رشيد؟!.. ألم أقل لك أني تركت القمار ولن أرجعَ مجددا؟!! "

- " ولكن يا طارق لقد خسرت كل شيء فعلًا ولا أعرف أحدًا غيرك قد يساعدني في هذا الأمر أرجوك تعال أرجوك "

= " وأنا عند رأيي ولن أغيره... كان يجب أن تتركه أنت أيضًا "

- " أعلم ذلك أنت محق ولكن حصل ما قد حصل... أرجوك لا أحد غيرك يستطيع أن يرجع لي ما قد خسرت "

ظل طارق متمسكًا برأيه ولكن العم رشيد أكثر من التوسل والإلحاح وبعد معاناة من الحديث مع طارق قرر أخيرًا أن يساعده... طلب منه طارق عصا طويلةً فأتى بها ثم طلب منه أن يساعده على النهوض فأعانه وناوله

العصا وأخذ يتكئ عليها ثم غادرًا، وأخبره العم رشيد في الطريق عن أسماء هؤلاء الذين خدعوه وما فعلوه معه وكيف خسر بذلك الشكل حتى وصلا إلى أولئك الرجال... قد كان العم رشيد قلقًا للغاية عندما رأى طارق يمشي هكذا حتى ظن أنها فكرة سيئة بأن يأخذ طارق إليهم ولكنه كان يائسًا ولم يجد أحدًا غيره فقرر أن يسلم الأمر لله ويرى ما سيحدث.

كانوا ثلاثة رجال ليسوا من القرية وقد عرضوا على العم رشيد الذي مر عليهم بالصدفة أن يلاعبهم فقبل وتوالت الخسارات على العم رشيد بسبب احتيالهم عليه حتى لم يعد يملك شيئًا... فأخذ يطلب ويلح عليهم بأن ينتظروه ليجلب شخصًا آخر يلاعبهم وعندما رأوا طارق وهو يسير إليهم متكئًا على عصاه حتى وقف أمامهم وكانت تهتز رجله اليسرى حتى انفجروا من الضحك والسخرية وقال أحدهم ساخرًا:

- " ما هذا أيها العم؟! أهذا هو منقذك الموعود؟!!.. أنا أشفق عليه ألم تجد غيره حقا؟!! يالك من رجل بائس "

رد طارق: = " نعم أنا الذي سيلاعبك وسأرد خسارته "

- " مهلًا مهلًا.. لا تجعلني أخاف إذا ما هو التحدي سأدعك تقرر؟ "

= " سوف نتصارع والذي يسقط الآخر أرضًا هو الفائز "

فانفجر هو ومن حوله من الضحك وقال:

- " أنت مضحك للغاية يا هذا لكن يبدو أنك لا تمزح حسنًا أنت جلبت ذلك لنفسك "

= " شكرًا لك على إطراءك أيها الوغد لما لا نبدأ الآن إذا؟ "

– " انتظر... نحن إذا خسرنا سنرد إليك ما أخذناه من ذلك الرجل ولكن علام سنحصل إذا خسرت أنت؟ "

= " في الواقع لا أعلم... مممممم ما رأيك بفرحة الانتصار ألا تكفيك؟ "

– " انتهى المزاح يا هذا أنا أكلمك بجدية أخبرني علام سنحصل ؟ " رد ذلك الرجل والذي اسمه جمال وكانت قد تغيرت نظراته إلى طارق وبدا عليها الانزعاج.

= " سأعطيك ما يساوي الذي أخذته من العم رشيد ما رأيك إذا أيها الحقير؟ "

– " لا يهمني ما تناديني به طالما أن فوزي مضمون سأجعلك تتمنى لو لم تتدخل في هذا ولكن انتظر لا يمكن أن تواجهني بتلك العصا ارمها وبعد ذلك سنبدأ "

رد العم رشيد : * " ماذا تقول؟! ألا ترى أنه متكئ عليها أيها الوغد؟!! كفاك سخافة!!! "

– " لا تزعجني أيها الرجل فأنت الذي جلبته وأيضًا هو الذي اختار النزال الأمر الآن بيني وبينه فتنحَ جانبا ولا تتدخل "

غضب العم رشيد وفي اللحظة التي كاد يرد فيها على ذلك المدعو جمال أوقفه طارق وطلب منه التراجع وألقى العصا بعيد وبدأ الأمر... مشى جمال متراخيًا نحو طارق يظهر استخفافه به وعندما اقترب بدأ يلكم طارق في بطنه بقوة، ولكن طارق تماسك وأعان نفسه على الوقوف وبدأت ترتجف

رجله اليسرى بشدة وكأنها توشك على السقوط ثم تراجع قليلًا فاندفع جمال إليه واستمر بلكمه حتى كاد يوشك طارق على السقوط ولكن جمال أمسكه وقال:

- " لا تظن أني سأدع الأمر ينتهي بهذه السرعة سأستمتع بضربك وتشويهك حتى تترجاني وتتوسل إلي لأرحمك!! "

وأكمل لكمه في بطنه ثم أخذ يركله فيها بدل لكمه واستمر على هذا الحال حتى قرر أن يلكمه في وجهه وحينما وجه لكمته إلى وجه طارق عدل طارق من وقفته وبادره بأن أمسك يد جمال ولكمه طارق في بطنه فتراجع جمال:

-" حسنًا.. يبدو أنك لا تريد الاستسلام يا هذا لقد جعلتني أغير رأيي سوف أنهي الأمر وأسقطك الآن!!! "

اتجه جمال نحو طارق بسرعة وقرر أن يركل قدمه التي كانت ترتجف ولكن طارق استطاع تجنبه وتمكن من إمساك ملابس جمال وضرب رأسه برأسه ورفع طارق تلك القدم التي ظن الجميع أنها مصابة وأخذ يضرب بركبته اليسرى بطن جمال ثم وجه بعضا من اللكمات إلى وجهه ثم أمسك طارق رقبته بيده اليسرى وعرقل قدمي جمال بقدمه اليسرى ليفقده توازنه ثم دفعه بيده اليسرى ممسكًا عنقه ملقيًا به على الأرض بقوة فكان صوت ارتطامه بالأرض شديدًا... علا صوته بالصراخ حتى شعر الناس الذين قد اجتمعوا حولهم ليروا ما يحدث بالشفقة قليلًا عليه لأنه لم يستطع الوقوف... ثم اتجه طارق نحو رفيقيه و طلب منهما أن يردَّا ما خسره العم رشيد فأسرع جمال وقال لطارق وهو يصرخ:

- " ألم تكن قدمك اليسرى تلك مصابة أيها الوغد؟!! فكيف حركتها

وضربتني بها إذا؟!! لقد خدعتني أيها المحتال لن تأخذَ شيئًا!!! "

فاقترب منه طارق و أمسك ياقته ورد عليه غاضبًا:

= " أتدعوني بالمحتال أيها الوغد أنا أعرف العم رشيد جيدًا وأعلم أنكم ما كنتم لتربحوا كل هذا منه دون أن تحتالوا عليه وأخبرني ما القمار إذا؟!!.. ما القمار إلا احتيال!!!.. وليس ذنبي أنكم حمقى للغاية فأنا لم أذكر أبدا بأن قدمي مصابة فبذلك أنا لم أحتل عليك أنت من اعتقدت بحمقك أنني مصاب فقط لأني ادعيت ذلك فلما لم تأخذ بالحسبان أني أخدعك منذ البداية؟!!.. وأنا الذي كنت خائفًا من أن تكتشفوا أمر أسخف خدعة قد تمر على أي أحد قد واجهته لكن اتضح أنكم أغبياء لدرجة أنكم لم تلحظوا ذلك ولم تشكوا بالأمر أبدا مع أنه كان واضحًا... لقد انتهى الأمر الآن وبقي فقط أن تعطوني ما أخذتموه من العم رشيد وإلا لن يرحمكم أهل القرية المجتمعين حولكم فهم لن يدعوكم ترحلون من هنا قطعةً واحدة "

ذهب طارق وأعاد للعم رشيد ما خسره وقد أخذ العم رشيد يشكره حتى كاد يبكي وكان حزينًا وشعر أنه أثقل على طارق لأنه قد تعرض لضرب كثير من أجله فدعاه لتناول العشاء معه، وقبل طارق دعوته وقضيا الليل يتحدثان ويلقيان الدعابات حتى تأخر الوقت واستأذنه طارق ليذهب إلى منزله ليخلد إلى النوم.

أتى اليوم التالي ولم يستطع طارق أن ينهض ليصلي الفجر في ذلك اليوم واستغرق في النوم.. ثم قام من نومه متأخرًا عن عادته في كل يوم فصلى الصبح وأفطر ثم ذهب إلى ورشته.. وعندما فتح بابها فإذا بأحد يضربه بحجر كبير على رأسه من الخلف فأغمي عليه من أثر الضربة وعندما استفاق

وجد نفسه في الغابة المجاورة للقرية وكان ملقًا على الأرض مقيدًا... حاول أن يتبين من هم الذين يقفون أمامه فوجدهم جمال ورفيقيه... لاحظ جمال أن طارق قد استيقظ فتوجه إليه وقال له:

- " لقد أحرجتنا وأذللتنا بالأمس أيها الحقير لا تخبرني أنك ظننت أننا سندعك تفلت بفعلتك دون عقاب أيها الوغد... في الواقع إني أعذرك نوعًا ما لأنك لا تعرف مع من كنت تتعامل... نحن مجرمون مطلوبون وقد قتلنا من قبل العديد فلا مانع لدينا بأن نقتلك فلن تكونَ الأول ولا تقلق لنَ تكون أيضًا الأخير "..

لم يرد عليه طارق وظل يرمقه بنظرات تدل على غضبه العارم

- " بعد أن دمرنا ورشتك وجدنا هذا الكيس المليء بالمال أظن أنك لا تمانع أن نأخذه بما أنك ستموت الآن!!! " أكمل جمال كلامه وقد علا صوته بالضحك وكذلك ضحك معه رفيقيه.

ما زال طارق يرمقه بنظراته تلك والتي قد بدأت تزعج جمال، ويزعجه أيضًا تجاهله لكلامه وعدم رده عليه والتزامه الصمت بشكل أثار غيظه للغاية وأشعل غضبه، فأمسك طارق من شعره وأخرج خنجره من غمده وصرخ في وجهه غاضبًا:

- " لما لا ترد علي أيها الحقير؟!!.. يجب على الحثالة أمثالك أن يعرفوا من هم أسيادهم فأبعد عينيك عني ولا تنظر إلي أعلم أنك ترتجف من الخوف لا تدعي أمامي الآن أنك لا تخاف الموت.. رد علي أيها العاهر الحقير!!! "

صاح جمال في وجهه بشدة وقد أرهقه ذلك كثيرًا، وبعد انتهائه من الصياح

بدأ يلتقط أنفاسه بصعوبة... أما طارق فلم يرد عليه بل شعر جمال أن نظراته قد زادت حدة حينها لم يتمالك جمال نفسه فصاح قائلا: " طفح الكيل سوف أقتلك هنا والآن أيها الوغد الحقير الداعر!!! " وطعنه بخنجره في قلبه ثم بصق في وجهه وحمل كيس المال وغادر هو ورفيقيه بعيدًا عن طارق تاركينه حتى يموت وتزهق روحه.

ظلّ طارق في مكانه والدم يسيل منه وصدره يضيق عليه ونظره بدأ يضعف وكأن الموت يغشاه من كل جانب وزاد الدم الذي فقده حتى شعر ببرودة تسري في جسمه، لم يتوقع بأن الموت باردٌ ومؤلمٌ هكذا وأنه سيموت في مكان مثل هذا وكان يفكر " إذًا هذا هو الموت هذا ما شعر به أبي وأمي إذن... دائمًا ما كنت أتساءل حيال ذلك كنت أتساءل ما هو الشعور بالموت لم أتوقع أبدًا هذه المعاناة وأنه خبيث هكذا... هذه الحياة إنها في منتهى الغباء... لكن أنا لا أعلم لماذا أشعر أن الأمر لن ينتهيَ هنا؟.. أعلم أنني سأموت يومًا ما لا محالة إلا أنني أسمع همسًا يخبرني (ليس بعد) "

***

- " أين هو ذلك الرجل الذي تبحثون عنه؟ لقد سألنا أهل القرية كلهم ولا يعرفون أين هو.. قد سئمت حقًا من ذلك أريد العودة الآن " قالت ذلك فتاة في العشرينيات وقد كانت أميرة لإحدى البلدان.

= " لا أعلم يا سيدتي يبدو أن مكروهًا أصابه فإن ورشته كانت محطمةً كما رأيتِ " رد عليها أحد مرافقيها

- " لا أهتم لذلك لقد تعبت من هذا فلنرحل الآن "

= " لحظة أيتها الأميرة... انظر يا باسل هناك عند تلك الشجرة أترى ذلك الرجل يبدو أنه هو.. نعم إنه طارق القاصي الذي نبحث عنه "

كانت هذه الأميرة تدعى (آية) وكان يرافقها وصيفتها وطبيب يحمل صندوقًا وثلاثة حراس... قد بعثها والدها مع هؤلاء حتى يجدوا طارق ويجلبوه معهم لسبب ما، وقد أخبرها قليلًا عنه فقط ولم يعلم أحد بينهم حقيقته الكاملة إلا الطبيب... وعندما رأوا طارق أسرعوا نحوه وفور أن رآه الطبيب قال:

- " يبدو أنه لا وقت لدي لأعرض عليه ذلك سأفعلها الآن رغمًا عنه "

طلب الطبيب من الذين معه أن يتراجعوا وأخرج أدواته وفتح ذلك الصندوق بعدها أخذ يحدث طارق:

- " طارق أتسمعني؟ رد علي أتسمعني يا طارق؟ "

لم يسمع طارق ما يقوله ذلك الرجل بوضوح ولكنه عندما رأى أحدًا أمامه رفع يده نحوه فأمسك بها الطبيب ووضعها جانبًا وأخذ الطبيب يفكر " يبدو أنه سيفقد وعيه بعد قليل يجب أن أسرع... إن وجهه شاحب ويداه باردتان... لا أدري إن كنت سأنجح لكن لابد أن أحاول "

لم يعرف أحدٌ ما الذي كان يفعله الطبيب وما فائدة ذلك الصندوق ولكنهم سمعوه وهو يحدث طارق بينما كان يُعِدّ عدته:

- " اسمعني أيها الشاب أتريد أن تعيش؟ "

= " أجل "

- " ما مدى رغبتك بالعيش؟ "

= " سأفعل أي شيء حتى أعيش وبأي ثمن!!! "

- " ما الذي يدفعك للعيش لهذه الدرجة؟ "

= " ليس شيئا مميزًا فقط أريد أن أقتلهم!! "

- "من هم؟ "

= " الأوغاد الذي قتلوني!! "

- " وما أسماؤهم؟ "

ذكر طارق أسماءهم وقد سمعته الأميرة فأخبرت حراسها بأن يذهبوا ليبحثوا عن هؤلاء ويقضوا عليهم.

أكمل الطبيب : - " ماذا قد تفعل لكي تعيش؟ "

= " سأفعل أي شيء!!! "

- " حسنًا هذا جيد... أريدك أن تتمسك بتلك الرغبة بالحياة لأنك حقًا قد تتمنى الموت الآن "

وبدأ الطبيب عمله وأخذ طارق يعلو صوته بالصراخ من شدة الألم، لم يكن ذلك الطبيب يمزح لقد شعر حقًا أن الموت أهون عليه من هذا العذاب كانت كل لحظة تمر عليه كأنها دهر من العذاب.. يزداد عذابه مع كل لحظة.. يعلو صوته بالصراخ أكثر وأكثر.. لم يشعر أبدًا في حياته بألم كهذا من قبل.. يستمر بالصراخ كادت حنجرته أن تتمزق من كثرته...

ظل على هذا المنوال حتى انتهى الطبيب وعندما رأى الحراس طارق

وجدوه لا يحرك ساكنًا فظنوا أنه قد انتهى أمره وأصبح جثة هامدة... لكنهم استغربوا عندما طلب الطبيب منهم أن يحملوه ويضعوه في العربة، أليس هذا الرجل ميتا؟!! إذا ما الغاية من أخذه؟!!! ألم يكن من المفترض أن يتركوه ويرحلوا؟!!، لكنهم لم يتجادلوا مع الطبيب فحمله الحراس ووضعوه داخل العربة وانطلقوا به بعيدًا عن القرية.

الفصل الثالث : أنا الميت.. كلا أنا الخادم

جلس الحراس على العربة من الخارج وجلس الطبيب داخل العربة بجانب طارق أما الأميرة آية فقد جلست أمامهما بجانب وصيفتها وهكذا مرت الأيام طوال هذه الرحلة...

بعد مرور الكثير من الأيام والليالي عليهم قد بقي فقط بضعة أيام أخرى على وصولهم إلى وجهتهم لكن الطبيب أمر بالتوقف ثم نهض وأعطى الأميرة الصندوق وقال لها:

- " هذا الصندوق يجب أن تحفظيه جيدًا وتضعيه دائمًا نصب عينيك وإياك أن تحاولي فتحه... خذي حذرك لأنه إذا تدمر الصندوق سيموت هذا الشاب " مشيرًا بإصبعه نحو طارق.

= " سيموت؟!! ماذا تقول؟! أليس ميتًا بالفعل؟!!!... لابد أنك تمزح انظر إلى وجهه وشحوبه وكيف أنه لا يتحرك لا أريد أن أسمع حماقات!!! "

- " أتقولين حماقات؟!!... هذا الوجه الذي أمامك لا يمزح.. الأمر فقط يحتاج بعض الصبر كل ما عليك هو الانتظار حان وقت رحيلي فقد انتهى دوري سأذهب وأفارقكم الآن " رد الطبيب

= " ما الذي تعنيه بأن كل ما علي هو الانتظار؟!! أمسك يده وستشعر ببرودة شديدة لا تقل لي أنه حي كل ما أراه أمامي هو رجل ميت ولا تتركني الآن فأنا لا أعرف ماذا أفعل!!! "

- " لقد أخبرتك للتو بما عليك فعله!!... حسنا سأعيد كلامي لك... احتفظي بالصندوق ولا تحاولي فتحه واحميه من أن يدمر بأي شكل من الأشكال وإلا سيموت هذا الرجل وانتظري فمع الوقت سيتضح لك أنه ليس ميتًا هذا ما عندي والآن دعيني وشأني" ثم غادر غادر الطبيب تاركًا كل شيء لهم وخرجت تلك الأميرة تنادي عليه ولكنه لم يلتفت لها، وأصبحت خائفةً للغاية حتى أنها لم ترد أن تدخل العربة، ولكن وصيفتها قامت بطمأنتها وحثتها على الدخول فأخذت الأميرة بكلامها وصعدت العربة.

مر كثير من الوقت منذ أن غادر الطبيب ولم تتوقف الأميرة آية عن التفكير وكاد أن يقتلها الخوف والقلق، وكانت دائمًا ما تتحاشى النظر إلى طارق وتكره وجوده معها... قد مر يومان وطارق على هذا الحال حتى أنها اعتقدت أن ذلك الطبيب يخدعها وفكرت بالتخلص منه... في أثناء تفكيرها بصباح اليوم التالي نهض طارق فجأةً وجلس أمامها وكان يضع يده على مؤخرة رأسها... صُعقت عندما رأته وفزعت للغاية وأمسكت بيد وصيفتها التي كانت مستغرقةً في النوم بجانبها وأطلقت صرخةً قويةً من شدة هلعها.

لم يعلم أحدٌ الأمر الغريب الذي قد فعله ذلك الطبيب بطارق وما علاقة الصندوق بحياته وما الذي كان بداخله، قد اعتقد الجميع أن طارق ميت فصُعقت الأميرة بشدة عندما رأته ينهض أمامها، وصرخت معها وصيفتها بعدما استيقظت بصوت عالٍ عندما أشارت لها نحو طارق... أسرع الحراس وأوقفوا العربة واتجهوا بسرعة إلى خلف العربة ليتبينوا الأمر وقد تملكهم الفزع هم أيضًا عندما رأوا طارق وتفتحت أفواههم متجمدين في مكانهم لا يتحركون من الصدمة.

" أين أنا؟ وما الذي جاء بي هنا؟.... كل ما أذكره هو ظلامٌ حالك يغمرني من كل جانب ظللت فيه كثيرًا حتى انقشع شيئًا فشيئًا... لا أعلم لما رأسي يؤلمني بقوة وأشعر ببرودة شديدة؟!!.... يا إلهي أشعر أني جائع للغاية " ذلك ما كان يفكر به طارق عندما نهض، وبعدها سمع صراخ الأميرة ووصيفتها فالتفت إليهما واستغرب منهما ثم أدرك أنه كان في العربة برفقتهما وسمع الأميرة تقول:

- " من أنت يا هذا؟!! من المفترض أن تكون ميتًا!! كيف تتحرك ابتعد عني لا تلمسني!!!.. يبدو أن ذلك الطبيب كان محقًا... أنت لست ببشري أنت جني.. لا تقترب ابتعد عني!!! "

= " ماذا تقولين أيتها المزعجة الحمقاء؟!! أنا إنسان حي أُرزق مثلك تمامًا " رد عليها طارق وقد وضع يده اليمنى على قلبه وإذا به يُصدم واتسعت عيناه من الذهول فهو لا يشعر بنبض قلبه وأخذ يحرك يده يمينًا ويسارًا بتمهل ليتأكد فلا يشعر بشيء فتذكر في تلك اللحظة أنه قد قُتل على يد جمال ومن معه واتسعت حدقة عيناه وتفتح فاه وهو ينظر نحو الأرض بذهول.

- " من التي تدعوها بالحمقاء أيها الوحش الوغد... ماذا بك؟!! لماذا سكتّ هكذا؟!!... إياك أن تقدم على فعل شيء وإلا قتلك حراسي فعلًا هذه المرة!!! " ردت عليه الأميرة آية وقد بدا عليها التوتر والخوف في كلامها.

= " قلبي!!!... لا أشعر بنبض قلبي ولما أشعر بهذه البرودة؟!!!... لقد تذكرت أن ذلك الوغد قد طعنني بخنجره... ماذا حدث بعد ذلك؟!! أرجوك أخبريني "

بدأ يهدأ روع آية شيئًا فشيئًا ثم أخذت نفسًا عميقًا وحكت له كيف

وجدوه والحديث الذي دار بينه وبين الطبيب فلم يتذكر طارق أيّ كلمة من ذلك الحديث فقررت أن تستغل ذلك وكذبت في أمر ما فقالت:

- " لقد انتقمنا لك بالفعل ممن حاولوا قتلك... وأنت قد قلت بأنك مستعد لتفعل أي شيء لكي تعيش وبأي ثمن "

= " حسنًا... أكملي وماذا بعد؟ "

- " كان ذلك الثمن هو أن تصبح خادمًا لي "

انزعج طارق مما قالته تلك الأميرة ورد عليها قائلًا: = " أتمازحينني؟!! كفاكِ هراءً إني أفضل الموت على ذلك؟!! "

- " لا تدعي ذلك فأنت قبلت بالشرط وفضلت ذلك على الموت مسبقًا "

= " يكفي!!!... بدأ الأمر يصبح مريبًا سأخرج من هذه العربة!! "

- " انتظر لحظة!! "

لم يلتفت لها طارق وعزم على النزول لكنه لم يستطع الوقوف جيدًا وترنح فتعثر وسقط أرضًا على إحدى ركبتيه، كان من المفترض أن تكون صدمة خفيفة ليست بالأمر الكبير ولكنه شعر بأن ركبته قد تهشمت من شدة الألم وصاح بقوة وتعجب طارق عندما كشف عن ركبته فلاحظ أنها لم تخدش حتى، فدار في باله " هناك أمر غريب يحدث معي ماذا فعل هؤلاء بي؟!! وماذا يريدون؟!!... لما أشعر بهذا القدر من الألم؟!!... هذا كثير جدًا علي لأتحمله في يوم واحد... يا الله استرها علي واحفظني "

رأت الأميرة آية طارق وهو على الأرض يتألم فقلل ذلك من خوفها منه

نوعًا ما وقالت له:

– " سوف تأتي معنا فنحن قد ابتعدنا كثيرًا عن قريتك وكدنا نصل إلى وجهتنا وإن فكرت بالهرب فإن حراسي سيقفون في وجهك "

حينها لم يعارضها طارق وأسلم نفسه إليها فلم يكن بيده حيلة.. كان طارق يواجه صعوبة في الوقوف والمشي وكأنها أول مرة له يقف فيها على قدميه فساعده الحراس بإدخاله إلى العربة.. وصلوا بعد يومين إلى وجهتهم وذهب معهم طارق إلى قصر والدها وأعجب بجمال القصر وتفاصيله الرائعة وزخارفه وأبهرته تلك الدقة الرائعة في أجزائه كلها فهو كان نجارًا وله خلفيةٌ عن الأمر، وبعد تلك الجولة في القصر وصلا للمكان الذي استقبلهم فيه (سامر بن مراد الجارح) ذلك الشاب صاحب أعلى منزلة لدى الحاكم وأكثرهم قربًا له.

استقبلهم سامر بحفاوة وقد فرحت آية عندما رأته كثيرًا وكان سامر يبتسم لها ويبادلها تلك الفرحة ثم طلب سامر من الحارس الذي كان يعين طارق على المشي أن يأخذ مكانه ويساعده بنفسه، ولم يرضَ الحارس أن يدع شخصًا في مقامه أن يقوم بمثل هذا العمل ولكن سامر أصر على ذلك وعندما اقترب من طارق ووضع يده على كتفه همس سامر في أذنه قائلًا: " أريدك أن تضحك وتفرح الآن كما تشاء أيها الوغد فإني سأجعلك تلعن نفسك والعالم في النهاية "

تعجب طارق مما سمعه منه ونظر إليه فرآه يبتسم في وجهه وفي تلك اللحظة نادت عليهما آية قائلة: – " أسرعا أنتما الاثنان فنحن في عجلة "

فرد عليها سامر: = " حسنًا سنسرع ولكن راعِ حالة الرجل فإنه يبدو

متعبًا للغاية أليس كذلك؟ " قال ذلك وما زالت تلك الابتسامة السخيفة ترتسم على وجهه

رد طارق بصوت غليظ: ❊ " نعم هيا بنا "

من هذا قد أدرك طارق أنه لن يكونَ أبدًا على وفاق مع ذلك الشخص وأنه سيعاني في هذا المكان.

كان الليل قد حل بعد وصولهم بقليل... وقد أسرع سامر ومعه طارق إلى آية بعد أن نادت عليهما.. ثم أخبرت آية أحد الحراس بمكان الغرفة التي سيقيم بها طارق وطلبت منه أن يأخذه إليها وأكملت طريقها هي وسامر.. وصل كلًا من الأميرة وسامر إلى تلك الغرفة التي كان يُمنع أحد من دخولها إلا قلة وعندما دخلا وجدا مجد وجلال ينتظرانهما وكان هذان هما أكثر تابعي سامر إخلاصًا له، ثم جلس كل من سامر والأميرة آية... بدأت الأميرة تحكي لهم ما قد حدث معها فاستمعوا لها وكلهم آذان صاغية وبعد أن انتهت من الحديث قال سامر:

– "ليته مات كان ليكون ذلك أكثر راحةً لنا وما كنا لنكون في هذه المصيبة"

= " ما باليد حيلة فقد كتب والدي ألا أتدخل فيما يفعله الطبيب ولم يدعنا الطبيب نرى شيئًا " ردت عليه آية

– " أعلم أن والدك الحاكم قد توفى منذ مدة قصيرة وأنا حقًا حزين لذلك لكنه بوصيته تلك قد وضعنا في مشكلةٍ لم نكن في غنا عنها "

= " ماذا تريد مني أن أفعل حيال ذلك فقد حدث ما حدث وقد بدأت حقًا أشعر بالوحدة بعد رحيله فأرجوك لا تذكرني بها يحزنني مجددا "

- " معك حق... ولكن حقًا ليته لم يفعل ذلك... ليته لم يفعل... هل فقد عقله؟!! ألم يكن يعي ما المصيبة الناجمة عن فعلته؟!!... من بين كل الناس ألم يجد غيره؟!!!... ألم يجد غير طارق بن هشام القاصي ذاك ليكون حاكما من بعده؟!! ولماذا هو بالتحديد؟!!! ما المميز فيه؟!!! " قال سامر والحقد والغل والحنق يملأ قلبه وبدا ظاهرًا في حديثه.

= " لا تتحدث عن والدي بهذا الشكل يا سامر!!... وأيضًا لست الوحيد الذي يزعجه ذلك بل إنه يزعجني أنا أكثر منك فأنا التي ستتزوجه!!! " ردت عليه آية وقد بدت متضايقة ومنزعجة مما قاله

- " حسنًا حسنًا أنا آسف... ولكن ما الذي قلته له حيال سبب جلبك له إلى هنا؟ "

= " لقد أخبرته أننا وجدناه بالصدفة ثم أنقذناه وأنه سيصبح خادمًا لي مقابل ذلك... لم يرضَ بذلك بعدما استيقظ في بادئ الأمر ولكني أرغمته على ذلك حتى رضى "

- " هذا جيد فنحن لا نريده أن يعرف حقيقة وجوده هنا... لقد اجتمعت مع القادة ولم أستطع اقناعهم بالتخلص منه ولكن بعد كثير من الحديث قد اتفقت معهم بأن نخفي عنه حقيقة أنه الحاكم الجديد لنجّري له اختبارًا حتى يثبت أنه جدير بذلك وإن فشل فسنقوم بعزله... لذلك سنقوم بتوكيله بمهمةٍ يستحيل عليه أن يفعلها "

= " حسنًا وما هي تلك المهمة؟ "

- " بعد الاضطراب الذي حدث من وفاة والدك قد خسرنا (روسال)...

ومهمته ستكون أن يستعيدها "

= " وماذا لو استطاع فعلها؟ عندها ماذا سيحدث؟ "

- " لا تفكري في تلك الأمور فإنها مهمة مستحيلة وحتى لو اقترب من الانتصار فهنا يكمن دورنا في إفساد الأمور "

= " إذن ما الذي سنفعله الآن؟ "

- " سوف ندعه الآن وأنا سأفكر في مدخلٍ لحديث يجعله يقبل هذه المهمة"

= " حسنًا كما تريد "

- " لكن هناك طلب أريده منك... أريد منك أن تتقربي منه وتجعلينه يثق بك للغاية... نحن نحتاج أن نكون على دراية كاملة بما يفعل... فلذلك أريد أن نقلل من شكه وحذره تجاهك وما أحتاجه منك هو أن تخدعيه وتجعلينه يقع في حبك "

= " ما الذي تقوله؟!! محال أن أفعل ذلك... لن أقترب أبدا من ذلك الحثالة كيف تريد لأميرة مثلي أن تفعل ذلك؟!!!... كلما أتذكر ذلك الرجل أشعر بالغثيان لن أفعل ذلك أبدا!!.. اجعل أحدا غيري يقوم بالأمر!! "

- "اعذريني لطلبي الوقح... ولكن أرجوك أن تقبلي لأجلي أتوسل إليك فأنا لا أستطيع أن أطلب ذلك من غيرك فأنت أكثر شخص أثق به... صدقيني طلبي ذلك يزعجني و يؤلمني أكثر منك " وقد أمسك سامر بيدها وهو يقول ذلك.

عندها احمر وجهها وأشاحت بنظرها بعيدًا وقالت: = " حسنا سأفكر في الأمر من أجلك "

ثم خرجت بعد ذلك لتذهب إلى غرفتها.

كان سامر أحد مماليك الحاكم في صغره وقد تربى مع الأميرة وكانا قريبين في العمر فكانا أصدقاء طفولة وكانا كثيرًا ما يلعبان معًا... ثم كبر سامر وأظهر براعة كبيرة في استخدام السيف وكان مقاتلًا قويًا وقد أظهر كفاءته في كثير من المواقف فساعده ذلك في التدرج بسرعة ليصبح أكثر القواد قربًا للحاكم فأصبح هو السلطة الثانية بعده... قد أعجبت الأميرة بسامر ذاك كثيرًا وكانت تكن له المشاعر وكان سامر يعلم ذلك لكنه كان يبدي لها عدم ملاحظته للأمر وكانت الأميرة لا ترفض له طلبًا وكان أكثر شخص له تأثير عليها وعلى قرارتها.

وصل طارق لغرفته وعندما دخل إليها رأى نفسه في المرآة التي بها فلاحظ شحوب وجهه الغريب ثم أجلسه الحارس على سريره وانتظر مغادرة الحارس ثم تفحص أمر نبض قلبه لمرة لأخيرة.. لكن لا شيء قد تغير ما زال قلبه لا ينبض... ظل يفكر ويفكر بما حدث معه ولا يتوقف عن ذلك " لماذا وجهي شاحب هكذا؟!! ولماذا لا أشعر بنبض قلبي؟!! ولماذا أشعر بهذه البرودة والصداع في رأسي وبهذا الضعف الشديد في جسمي؟!!... وما الذي يريده مني هؤلاء؟!!!... لا أستطيع نسيان مقدار الألم الذي أحسست به عندما وقعت من العربة لهذا أريد التأكد من الأمر... لكني أشعر بجوع شديد وكأني أستطيع أكل مأدبة كاملة لوحدي "

وبعد وقت من التفكير دخلت فتاة على طارق وقالت له:

– " مرحبا يبدو أنك الخادم الجديد أليس كذلك؟ "

= " نعم أنا هو هل لي بمعرفتك "

– " أنا خادمة هنا أيضا واسمي (لارا) وقد طلبت مني سيدتي أن أذهب وأتفقدك اليوم وأرى ما تحتاج لأنك تبدو متعبًا "

= " شكرًا جزيلا لك... في الواقع إني جائع وأريد أن آكل... لا أريد أن أكون وقحًا بطلبي هذا ولكن هل من الممكن أن تكثري من الطعام "

– " حسنًا هل من شيء آخر؟ " قالت لطارق قبل أن تذهب فرد عليها قائلًا:

= " نعم أريد منك شيئا آخر... قد يكون ذلك غريبًا ولكني أريدك أن تجلبي إبرةً معك "

– " حسنا لك ذلك "

لم يمضِ كثير من الوقت وقد جلبت له الخادمة ما يريد وبعد أن تناول طعامه قررَ أن يتأكد من شعوره بالألم ويغرز تلك الإبرة في كتفه... قد كان مترددًا للغاية في البداية حتى عزم أمره وغرز تلك الإبرة فإذا به يصرخ بشدة فلم يكن الأمر طبيعيًا قد شعر بألم شديد.. شديد جدًا وكأن سيفًا اخترق كتفه لا إبرة وأخذ يتنفس بسرعة بعدها ونظر إلى الأرض واضعًا يده على رأسه مفكرًا " يا إلهي ماذا يحدث لي؟!! بدأت أزداد خوفا لا أعرف ماذا أفعل... أريد الهرب من هذا المكان ولكن حتى لو هربت هناك مشكلة... ذلك الصندوق... لو كان كلام تلك الفتاة صحيح عما قاله الطبيب بشأن ذلك الصندوق ستكون هذه مصيبة كبيرة... ما كنت لأصدق كلامها السخيف

ذاك أبدا حول ذلك الصندوق... لكن ما يحدث معي الآن يدفعني لأصدق هذا الهراء قليلًا... لو كان كلامها صحيحًا... حينها حتى لو هربت يمكنها القضاء علي بتدمير ذلك الصندوق في أي لحظة تريد كما قالت... يجب إذا أن أجد ذلك الصندوق وأهرب به بعيدًا عن هنا ذلك هو الحل الوحيد "

بعد ذلك قام طارق بتناول الطعام وقد شعر بعد أن أكل الكثير بأن صداعه ذلك بدأ يقل وكذلك شعوره بالبرودة لكن شحوب وجهه ما زال كما هو... قد أحس بنشاط كبير وقد شعر أن حواسه أصبحت أقوى قليلًا عن ذي قبل لكنه لم يهتم لذلك كثيرًا، يبدو أن ذلك لأنه لم يأكل منذ مدة هذا ما اعتقده وقد غلبه النعاس بعد ذلك وغط في النوم.

في الصباح التالي أيقظت تلك الأميرة طارق قائلة:

- " طارق... طارق... استيقظ وانهض بسرعة لنذهب إلى المدينة لا تجعل سيدتك تنتظر "

= " ماذا تريدين أيتها المزعجة؟ دعيني أنام "

- " ماذا تقول؟! أهكذا تخاطب سيدتك؟!! هيا قم الآن " قالت وهي تصيح في وجهه

فقام طارق وهو يفرك عينه وهو ينظر إليها وقال :

= " صحيح إنه أنت لقد نسيت أمرك واعتقدت أني ما زلت في بيتي في (دوران) "

- " ماذا تقول أيها الأحمق الوغد؟!! لا تثر غضبي هيا أسرع وقم فأنا مستعجلة أيها الغبي "

= " حسنًا ولكن يجب أن تمسكي لسانكِ قليلًا فلا يليق بأميرة أن يخرج منها هذا الكلام "

- " أتعلم؟!!.. إني أفكر في قتلك من الآن "

= " حقًا!!... يجب عليكِ أن تتمالكي نفسك إذن "

- " اصمت ولا تتحدث هيا لنذهب "

= " حسنًا هيا بنا "

قررت الأميرة آية أن تنزل إلى سوق المدينة لتشتري بعض الأشياء وكان على طارق حمل ما تشتري ولم يتوقع أنها ستشتري هذا القدر من الأشياء التي سيصعب عليه حملها، أما تلك المتوحشة فكانت لا تلقي بالًا لأمره ومقدار ثقل ما يحمله وإرهاقه الشديد بل كانت تستعجله وتحثه على الإسراع، وعندما عاد لغرفته كان قد أهلك تمامًا لكثرة طلباتها وإنهاكها له ولم يكد يستريح قليلًا حتى أرسلت له بأن يأتي إليها... ذهب إليها وهو يتذمر في الطريق وعندما وصل إليها وجد معها وصيفتها ومجد وجلال ثم طلبت منه أن يقترب منها وقالت له:

- " أنت الآن خادمي وستكون مكلفًا بحراستي "

= " حسنًا وماذا بعد؟ " رد طارق

- " يجب أن تحمل سلاحًا حتى تدافع به عني وسيكون ذلك سلاحك " ردت الأميرة وهي تشير نحو سيف كان أقصر من المعتاد وكان مقبضه المزخرف من الفضة ونصله كان غريب الشكل إلى حد ما.

= " أشكرك على هذا ولكني لا أجيد استخدام السيف "

– " لهذا مجد وجلال هنا فهما سيدربانك على القتال بالسيف "

= " حسنًا ولكني سأستريح الآن فأنا مرهق للغاية "

– " بل ستبدأ الآن "

= " ولكن... " لم يكد يكمل جملته وقاطعته قائلة:

– " هذا أمر ويجب على الخادم ألا يعصي أمر سيدته "

= " حسنًا سأفعل ذلك " ثم حدث نفسه بصوت منخفض لم تسمعه قائلًا:
= " تقول هذا أمر... يا لها من مزعجة مستبدة عديمة الرحمة "

– " هل قلت شيئا؟! "

= " كلا لم أقل شيئًا "

ثم مضت آية في طريقها مع وصيفتها تاركةً طارق مع مجد وجلال، وبدأ طارق يتعلم أساسيات القتال بالسيف وقد أرهقه ذلك للغاية بعد مضي الكثير من الوقت... لكن لم يحن وقت راحته بعد فكان عليه أن يقوم بباقي وظائف الخدم مثل التنظيف وما إلى ذلك وفي النهاية عندما وصل إلى غرفته مهلكًا لم يتمالك نفسه وغط في نوم عميق.

قد طلب سامر من آية سابقًا أن تقابله ليلًا بعد انتهاء اليوم في حديقة القصر بعد أن وصف لها المكان بالتحديد ورحب بها عندما أتت ثم قال لها بعد ذلك:

– " هل أعطيته ذلك السيف الذي أوصى والدك بأن يأخذه؟ "

= " نعم قد أعطيته إياه بحجة أنه سيتوجب عليه حراستي وقد جعلت جلال ومجد يدربانه كما طلبت مني "

– " أحسنتِ والآن ما رأيك بما تكلمنا عليه البارحة؟ لقد قلت أنك ستفكرين بذلك الخصوص أخبريني بقرارك حيال ذلك الأمر؟ "

= " سأوافق على هذا الأمر من أجلك أنت فقط... ولكن عدني بأن كل شيء سيكون على ما يرام "

– " بالطبع أنا أعدك فأنا لا يمكنني أن أفرط فيكِ واعتمادي كله عليك نظرًا لأني مشغول جدا بأمور أخرى وليس لي أحد غيركِ ليقوم بهذا... والآن أريد منك أن تحاولي إقناعه بأن يتولى أمر استعادة (روسال) فإليك ما ستفعلين واستمعي جيدًا لما سأقوله لأن موعد الرحيل سيكون بعد يوم أو يومين..... "

استمعت الأميرة آية جيدًا لما يجب أن تفعله وتقوله لطارق، وبدأ الأمر في ظهيرة الغد وقد استغربت الأميرة بأن وجدت طارق لا يزال نائمًا فحاولت الأميرة إيقاظه.

– " استيقظ يا طارق يا لك من كسول هيا استيقظ "

= " ما الأمر الآن؟ هل تريدين التسوق مرة أخرى أم ماذا؟ "

– " كلا أريد أن أحدثك قليلًا "

= " أرجوك أيمكنك أن تؤجلي ذلك لوقت لاحق فأنا متعب للغاية "

– " ما بالك أيها الكسول ألم تنل كفايتك من النوم!!... إن كان هنالك

حقًا شيء يتعبك فهو كثرة نومك!! "

= " لا تتحدثي وكأنك تعرفين كل شيء لقد قلت لكِ أنني متعب للغاية.. وللعلم إن الباب موجود خلفك يمكنك الخروج في أيَ وقت "

فصاحت في وجهه غاضبة تقول: = " انهض الآن أيها الأحمق الكسول ولا تجعلني أصب جام غضبي عليك!!! "

= " حسنًا حسنًا ولكن لا ترفعي صوتك هكذا.. حقًا أنا لا أعرف ما بالك؟!!... أريدك أن تنتظري قليلًا فأنا سأذهب لأفطر وأصلي وبعدها سأعود إليك "

– " حسنًا لك ما تريد " قالتها له وهي تمتلئ غيظًا منه ومن كلامه

بعد أن انتهى طارق عاد إلى غرفته ووجدها فيها تنتظره كما طلب وجلس أمامها ثم قال:

= " والأن ما الذي كنت تريدينه؟ "

– " أريدك أن تحدثني عن نفسك قليلًا "

= " وما الذي تريدين أن تعرفيه؟ "

– " لقد سمعت من أهل قريتك أنك كنت بحارًا وأنك كنت تحكي لهم قصصًا رائعة عما رأيته أريد منك أن تحكيَ لي بعضها فلطالما تنميت رؤية البحر "

= " حسنًا... ما رأيك إذا أن أحكي لك قصة حوريات البحر؟ "

فاندهشت عندما سمعت ما يقول وردت عليه بسرعة : – " هل رأيت

حوريات البحر حقًا؟!! "

- " كلا ولكن القصة عن صديقي الذي كان يؤمن بوجودهن "

فحكى طارق لها تلك القصة وقد أعجبتها وضحكت كثيرًا وفور أن انتهى منها طلبت منه أن يحكي غيرها فشرع طارق في سرد أخرى... أعجبت واندهشت للغاية مما كانت تسمعه منه وكلما انتهى من قصة ظلت تلح عليه بأن يحكي غيرها وكان منها القصص التي أضحكتها وغيرها التي أثارت دهشتها وكذلك التي أحزنتها واستمرا على ذلك حتى حلّ المساء ثم قامت لتذهب وقالت له عند رحيلها:

- " لقد استمتعت حقًا بما رويته ولم أشعر بأن الوقت مر بهذه السرعة... أنا سأذهب الآن وسأراك غدًا "

= " حسنًا إلى اللقاء "

بعد أن غادرت الأميرة تعجب طارق من مجيئها وقضائها كل ذلك الوقت برفقته، فقد ظن أنها لن تجلس معه لوقت طويل ولكنها بقيت حتى حلّ المساء ثم قام طارق ليذهب ويتناول بعض الطعام فقد كان يشعر بجوع شديد، ولكن عندما رآه كبير الخدم تساءل أين كان طوال النهار ولم يترك طارق وشأنه وجعله يعمل حتى أهلكه تمامًا، وعندما انتهى وعاد لغرفته وجد مجد وجلال بانتظاره أمام بابها ليقوما بتدريبه على السيف فانتهى به الأمر مرهقًا لا يستطيع الحراك، ولم يصدق نفسه عندما انتهى أخيرًا من كل هذا وسقط على سريره فور دخوله لغرفته ليغط في النوم.

أتاه كابوس مريع وهو نائم... كان في الكابوس مقيدًا وحوله رجال

يقومون بطعنه وضربه بسيوفهم بهمجية.. يمزقون لحمه.. يمضغونه بشراهة.. يشعرون بنشوة كبيرة.. يضحكون.. يرغبون بالمزيد.. ولا يتوقفون... ثم ظهر رجال آخرون يرتدون عباءاتٍ بقلنسوات تغطي وجوههم فتوقف أولئك الهمج الذين يمزقون لحم ٍطارق وابتعدوا عنه بهدوء ثم أخذه من يرتدون العباءات... ساروا به حتى وصلوا إلى وحش مرعب ضخم وبدأوا هم كذلك يقطعون أطراف طارق وقطعًا من جسمه لكن ٍهؤلاء لم يتبعوا أسلوب الهمجية أثناء التقطيع... بل كانوا يقطعون اطرافه ببطء.. لتزيد لحظات عذاب طارق ويزيد صراخه.. لا يريدون أي لحظة أن تمر عابرة دون أن يشعر بها.. وكأنهم يستمتعون بألمه.. ثم أخذوا تلك القطع وبدأوا يلقونها إلى ذلك الوحش ليأكلها حتى بقي رأسه فقط... قد وضع أولئك الرجال رأس طارق أمام ذلك الوحش ليرى أجزاء جسده تُمزق بين أسنان ذلك الوحش والدماء تسيل مع لعابه.. ينظر إليه طارق بعينين جاحظتين.. عقله بدأ يشعر بالجنون.. " لقد انتهي أمري ".. هذا ما ظنه.. قد ابتعد أولئك الرجال عن ذلك الوحش قليلًا وخروا ساجدين له يهمهمون بطلاسم غريبة، وحينما انتهى الوحش اقترب من رأس طارق ونظر في عينيه اللتين تفيضان بالرعب ثم أخرج لسانه والتقم به رأسه ليأكله فهشمه بأسنانه وعلت أصوات أولئك الرجال بتمجيد ذلك الوحش بكلامٍ لم يفهمه.

استيقظ طارق بعد ذلك يصرخ مرتعبًا للغاية وترتجف أطرافه بشدة من شدة الفزع والرعب، وكان ذلك ما حدث معه عندما نام بالأمس لهذا وجدته الأميرة نائمًا حتى وقت الظهيرة، وما أثار رعب طارق أن ذلك الكابوس لا يمكن أن يكون بذلك حلمًا عابرًا بل إن ذلك الكابوس قد تكرر معه بنفس

التفاصيل وفكر طارق " ما الذي يحدث لي؟!.. ما ذلك الشيء الضخم؟! ومن هؤلاء الرجال الحمقى الذين يقدسونه؟!! والأهم من ذلك ما علاقتي أنا بالأمر؟!!.. يا إلهي لقد بدأ الأمر يزيد عن حده".. ظل طارق يفكر بالأمر والخوف يتملكه وتغلغل في جسده حتى النخاع وقدماه ويداه لا تتوقفان عن الارتجاف كما حدث بالليلة البارحة حتى أذن الفجر فقام وصلاه وانتظر طلوع الشمس، وبعدها غلبه النوم واستغرق فيه.بعدما خرجت الأميرة من عند طارق ذهبت إلى غرفتها ووجدت وصيفتها بانتظارها، وسألتها أين كانت فأخبرتها أنها كانت عند طارق وحكت لها بعضًا من القصص التي حكاها لها طارق وكانت وصيفتها تستمع إليها باهتمامٍ كبير وقالت لها وصيفتها:

– " مضى وقت طويلٌ لم أرك فيه سعيدة هكذا منذ وفاة والدك يا سيدتي.. أشعر أنك مهتمة بطارق ذاك قليلًا "

= " كلا ليس الأمر كذلك الأمر أنه يجب عليٍ.. كلا لا يمكنني إخبارك بذلك " ردت عليها الأميرة وقد احمر وجهها قليلا

– " أتمنى أن أراك سعيدة هكذا دائماً "

= " شكرا لكِ يا (رؤى).. أريد منك أن تذهبي الآن فأنا أشعر بالنعاس "

لم تسطع الأميرة النوم وأخذت تفكر في ما قالته لها وصيفتها وتحاول إقناع نفسها بأن ليست مهتمة به وأن ذلك فقط جزء من خطة سامر من أجل التخلص منه.. ظلت على هذا الحال لبضع ساعات حتى غلبها النوم أخيرًا ثم أتى اليوم التالي وذهبت الأميرة آية إلى طارق في وقت الظهيرة كالأمس وقد وجدته مستغرقًا في نومه مرة أخرى فانزعجت للغاية وأخذت توقظه

وقالت:

- " أتمنى أن يمر يوم وأجدك فيه مستيقظًا أيها الكسول "

= " وأنا أتمنى أن يمر يوم ولا تزعجيني فيه أيتها يا جلالة الأميرة المبجلة صاحبة الفخامة وما إلى لك "

- " أرى أنك بدأت تصبح لبقًا نوعا ما ولكن لما أشعر ببعضٍ من السخرية في كلامك؟! "

= " ما الذي تقولينه؟!.. أنا لم أسخر من أحدٍ في حياتي من قبل وبالأخص من أميرةٍ تدعى آية "

- " لا تدعي البراءة أمامي أيها الكاذب "

= " حسنًا بعيدًا عن ذلك أستأذنك بأن أذهب كما الأمس وسأعود إليك بعد قليل "

- " حسنًا ولكن لا تتأخر "

ذهب طارق ليفطر ويصلي كما الأمس، وكان يتساءل لماذا تتردد عليه هذه الأميرة كثيرًا فكان لا يثق بها تمام الثقة وكان يشك بأن مكروهًا سيصيبه منها، وعندما عاد لغرفته وفتح بابها وجه نظره نحو آية وقال لها:

= " ماذا ستطلبين مني الآن؟ "

- " لقد وعدتني بأنك ستكمل لي حكاية المزيد من قصص رحلاتك اليوم... أنسيت أم أنه لم يعد بجعبتك شيء تحكيه؟ "

= " ما قد حكيته لكي بالأمس لم يكن إلا قليلًا مما مررت به "

- " يبدو أنك قمت بالكثير من الرحلات كم سنة بقيت بالبحر؟ وكم قصة لديك لم تحكها لي حتى الآن؟ " ردت عليه وكانت تنظر إليه بإعجاب.

= " حسنًا فلنقل أني بقيت بالبحر ما يقارب الثمان سنوات وأما بالنسبة لقصصي فلدي الكثير فربما نحتاج لعدة أيام لأحكي نصف ما لدي "

- " لا بد أنها كانت سنوات رائعة فأنا أراك دائمًا تبتسم وأنت تحكي قصصك "

= " نعم لقد كانت كذلك لن أنسى تلك الأيام أبدًا ما حييت... ما رأيك أن نبدأ الآن؟ "

- " حسنًا فلتبدأ "

قد كانت الأميرة خائفةً وقلقةً من طارق للغاية قبل أن تجلس معه بالبارحة ولكنها سرعان ما اطمأنت له وزاد اطمئنانها له اليوم، وحقًا قد استمتعت بالحديث معه كثيرًا وكانت تنجرف بقصصه وتنغمس بها وكان أسلوبه في سرد القصص يجعلها مثيرة للغاية حتى حل المساء مجددًا كما الأمس وبعد أن أنهى طارق من رواية قصة أخرى من قصصه قال:

= " أيمكنني أن أسألك بخصوص شيء ما؟ "

- " تفضل "

= " أليس من المفترض ألا تجلس فتاة مثلك معي أم أن هذا عادي بالنسبة لهذا القصر "

- " كلا الأمر ليس كذلك ولكنك أنت المختلف عن غيرك "

= " وكيف يكون ذلك الاختلاف؟! "

– " فأنا معي ذلك الصندوق وأستطيع قتلك في أي وقت أريد "

= " حسنًا تلك وجهة نظر جيدة "

– " لقد علمت من أهل قريتك أنك كنت تحب القمار وأنك ذكي للغاية "

= " نعم لقد كانت لي أيامي في لعب القمار ولكني تركته "

– " يبدو أنك تحب قريتك كثيرًا... أتريد أن تعود إليها؟ "

= " نعم أريد العودة إليها ولكن ما الذي تقصدينه بسؤالك هذا؟! "

– " ما رأيك أن تقامر على حياتك لمرة أخيرة؟ حسنا فلنقل إنها ليست مقامرة ولكنها صفقة "

= " أكملي إذا ماذا تريدين؟ "

– " قد استطاع أعداء مملكتنا الاستيلاء على (روسال) وهي منطقة مهمة للغاية... وكان القادة يقولون أن استعادتها أمر مستحيل خصوصًا بالوضع الذي تمر به البلاد ولا يوجد أحد منهم يريد أن يخاطر بالمحاولة بعد وفاة أبي "

= "حسنًا وما المطلوب؟ وما علاقتي بالأمر؟ "

– " أريد منك أن تقود قواتنا وتتكفل بأمر استعادة (روسال) وإذا استطعت ذلك فسأمنحك إما حريتك أو سأجعلك قائدًا لأحد قواتنا البحرية... ما رأيك بذلك؟ "

= " يا لك من أميرة محتالة مجنونة تطلبين مني طلبا يبدو مستحيلا "

- " إن لم تكن مستعدًا للمخاطرة فالأمر يرجع لك... أيضا لقد أخبرتك كثيرًا أيها الأحمق أن تتأدب في الحديث معي!!! " ردت آية وهي تصيح

= " هناك شرط أريده... ذلك الصندوق الذي تحدثتي عنه من قبل سوف يكون من نصيبي " رد طارق وقد بدا جادًا

- " حسنًا لك ذلك "

= " أحسنتِ القول... حسنًا ستبدأ تلك اللعبة الآن وستنتهي بأني سأعود إلى قريتي "

- " لكن لا تعلق كثيرًا من الآمال "

= " سنرى بالنهاية ما ستؤول إليه الأحداث.. لكنني أتفق معك ولا تأملي كثيرا مما سأفعله أيضًا "

- " هذا جيد فأنا لا أتوقع شيئًا منك.. أريدك أن تجهز نفسك من الآن لأننا سننطلق صباح الغد إلى (لارن) "

= " ما هذا؟! سننطلق بهذه السرعة؟!! "

- " نعم ما الذي كنت تعتقده؟... احرص على أن تنام جيدًا.. سأراك غدًا إلى اللقاء "

= " إلى اللقاء "

خرجت الأميرة وأثناء مشيها مرت عليها تلك الخادمة (لارا) فوقفت لارا وحيَّت الأميرة... قد رأت لارا الأميرة تخرج من غرفة طارق وكانت لارا متجهة لها كذلك، وعندما وصلت لغرفته طرقت بابها فسمح لها طارق

بالدخول ثم سلمت عليه وقالت له:

- " يبدو أن الأميرة مهتمةٌ بك نوعًا ما فإنها تتردد عليك كثيرًا "

= " حسنًا لا أظن ذلك بل أعتقد أنها تستمع بإزعاجي... وأيضًا لقد سمعت أنها تكن المشاعر لذلك الرجل المدعو سامر "

- " الكثير قد لاحظوا ذلك ولكن أتمنى لو تحب أحدًا غيره "

= " لماذا؟ أليس رجلًا جيدا؟ "

- " إنه وغد خبيث محتال فمن الصعب للغاية أن يصل أحد للمكانة التي هو فيها بمثل عمره بالمهارة فقط... قليلٌ فقط هم من يعلمون الأعمال الفظيعة التي فعلها ليصل لتلك المنزلة في المملكة... إن الأميرة طيبة القلب ومحبوبة للغاية وأتمنى حقا ألا تتعلق بذلك الوغد وتنخدع به "

= " اتضح أنه وغد في نهاية المطاف... لا عجب إذا في أني لم أرتح له أبدا منذ البداية... لكن بعيدًا عن ذلك الرجل هل لك بأن تخبريني الأمر الذي جاء بك إلى هنا "

- " صحيح لقد تذكرت إن كبير الخدم قد طلب مني أن أمر عليك وأخبرك أنه يرغب برؤيتك "

= " ذلك الرجل لما لا يريد تركي وشأني؟ ألا يمكنه أن ينسى أمري اليوم؟ "

- " أنصحك بأن تذهب إليه بسرعة فإنه مزاجه متعكر إلى حد ما "

= " حسنًا.. حسنًا.. سأذهب إليه الآن "

بعدما غادرت الأميرة من عند طارق ذهبت لتقابل سامر مرة أخرى في حديقة القصر، وفي أثناء حديثهما سألها سامر قائلًا:

- " هل عرضت على طارق أمر (روسال) كما أخبرتك؟ "

= " نعم لقد عرضته عليه وقد وافق... ولكن لما خيرته بين العودة لقريته وذلك المنصب؟!... ألم تكن عودته لقريته كافية لإغرائه؟!! "

- " حسنًا قد خشيت أن يكون من النوع الجشع وأن حاله في قريته لم يكن يعجبه فعرضت عليه ذلك المنصب حتى يراها فرصة لتقلب حياته... فكل ما نريده منه وهو الموافقة ولا بأس مما نعرضه عليه المهم فقط أن نضمن فشله"...

وأكمل سامر حديثه مع آية وأخبرها بما عليها أن تفعله تاليًا.

ذهب طارق إلى كبير الخدم وعندما رآه شعر طارق بأنه متضايق حقًا وجعله يقوم بضعف العمل الذي يقوم به عادة حتى تمنى العودة لغرفته في أقرب وقت ولكنه وجد مجد وجلال ينتظرانه أمام غرفته مجددا، فدار في باله " يا إلهي... أظهرا لي بعض الرحمة ودعاني وشأني "، وأخذاه ليتدرب حتى أنهك تمامًا ولم يعد بمقدوره تحمل أي مجهود آخر وعندما عاد كان كل همه هو النوم فقط النوم ولكنه لم يسلم من ذلك الكابوس في هذه الليلة أيضًا وقد جاءه بنفس التفاصيل دون تغيير فقام مفزوعًا مرتعبًا ولم يستطع أن يهنأ بهذه الليلة كذلك وظل مستيقظًا طوال الليل حتى الصباح... لكن عندما شرع في النوم سمع طرق الباب وصوت الأميرة تنادي عليه قائلة: " هيا استيقظ قد حان وقت الرحيل "

الفصل الرابع : بداية الخطة

كان طارق منزعجا للغاية وقد صعد كل هذا الضيق إلى حلقه، لكنه تمالك نفسه وقام وفتح الباب ثم قال : = " لا أريد كثيرًا من الكلام فقط أخبريني أين مكان العربة لأذهب الآن "

فأخبرته الأميرة بمكانها وقد لاحظت الإرهاق باديًا على وجهه... توجه طارق نحو العربة، وعندما وصل إليها ألقى نفسه بداخلها واستغرق في النوم، وبعد قليلٍ من الوقت انطلقت العربات التي حملت كلا من الأميرة ووصيفتها وسامرٍ ورفيقيه مجد وجلال وطارق وكذلك (ماهر) أحد الجنود المتميزين والذي كان محل ثقة لسامر وكان رفيق طارق في العربة.

استغرق طارق في النوم حتى توقفت العربات للراحة وتناول الطعام فأوقظه ماهر في تلك اللحظة فقام طارق وتركه ماهر يفعل ما يشاء، لكن بعد قليل طلبت الأميرة أن تجتمع بطارق وسامر ورفيقيه في عربتها وعندما اجتمع الكل بدأ سامر بشرح الأوضاع التي سيخوضها طارق في سبيل استعادة (روسال) ولم يكن كلامه ذاك يدعو للتفاؤل أبدًا.

كانت المملكة يحيطها بحر (الراسل) من الشرق والبحر (الأبيض) من الغرب وكان الجزء الشمالي من أرض المملكة تمتد به سلسلة جبال (رانار) إلى الداخل من ناحية بحر الراسل بينما كانت تمتد جبال (آزال) إلى الداخل من ناحية البحر الأبيض وكانت بين تلك الجبال مساحة واسعة من أرض

مستوية والتي بنيت عليها مدينة (روسال)...

كانت روسال تلك هي حلقة الوصل بين دول الشمال والجنوب وكانت تمتد حدود المملكة إلى أراضٍ تقع في شمال روسال وتبعد عنها بقليل... كانت روسال مكانًا يتجمع بهِ الناس من مختلف اللغات والبلدان حيث كان يتوقف بها الرحالة والتجار المسافرون ليرتاحوا بها لذلك كثرت بها الفنادق وكان يقام بها في كل شهر سوقٌ كبير به العديد من الأشياء الغريبة والعجيبة من مختلف الأنحاء وكان يمكن القول أن أي شيء تريده ستجده هناك مهما كان...

كثيرًا ما كان يتجمع بها النبلاء من أنحاء العالم لامضاء الوقت بها ورؤية ما بها من روائع وأشياء نادرة فوقعت أنظار العديدين منهم عليها وشعروا بطمع شديد لحيازتها... كانت تستغل المملكة موقع روسال التي لا بد من المرور بها عند السفر من الشمال للجنوب فقامت بفرض رسوم على كل من يريد المرور بها وأصبحت مصدر دخل كبير للمملكة...

قد دارت حربٌ كبيرة بين المملكة ودولة (جاجاران) على روسال وبعد كثير من المعارك والمناوشات استطاعت قوات جاجاران اختراق سور روسال الذي لم يستطع أحد اختراقه من قبل والاستيلاء عليها، وقد بني سوري روسال الشمالي والجنوبي بحيث يكون الجبال جزئًا منهما...

قُلبت الطاولة الآن على المملكة فأصبحت روسال بين أيدي دولة جاجاران وكانت عدد قواتهم في روسال يصل إلى ألفين والإمدادات كانت في طريقها لهم مع عدد من الجنود قدره خمسمائة جندي زيادة على ذلك العدد في روسال فقد كانوا ينوون التقدم من روسال والتوسع في ناحية الجنوب

والاستيلاء على أراض أخرى لمعرفتهم بالوضع السيء الذي تمر المملكة خاصةً بعد وفاة الحاكم...

كانوا يريدون أن يبدؤوا تحركاتهم بالمسير نحو (لارن) والتي كانت تقع جنوب جبال (آزال)، ولكن ذلك لن يتم إلا في حال رفض المملكة لطلباتهم وهي التخلي عن روسال والاعتراف بها بأنها تابعة لدولة جاجاران وتحويل معاملات روسال الخاصة بجميع النبلاء والأشخاص ذوي النفوذ الكبير إلى دولتهم... كانت المملكة في وضع حرج إذ كانت تتعرض للهجوم من مناطق أخرى في أراضيها ولم تستطع المملكة توفير أكثر من ثمانمائة جندي للمعركة مع جاجاران بعد تكبدها لخسائر الهزيمة، وكان جميع القواد والوزراء يرون بأن يسلموا روسال حاليًا ويتكفلوا بذلك الخطر الآخر الذي يهدد المملكة ولكن سامر رفض ذلك وعرض عليهم أمر طارق وطلب منهم أن ينتظروا نتائج ما سيقوم به وإن شكوا بخسارته سيقومون بعزله وقد وافقوا على ذلك بعد إقناع طويل.

كان هذا مجمل ما قاله سامر والأميرة لطارق عن الوضع الذي هم فيه حاليا ثم استأذن سامر ومجد وجلال ليذهبوا لتناول الطعام وبعد سماع كل هذا أمسك طارق رأسه وقال:

- " ياللهول إنها مصيبة لقد أقحمت نفسي في أمر خطير وميؤوس منه "

= " هذه هي فرصتك الوحيدة والقرار يعود لك فماذا ترى؟ " ردت عليه آية

- " في الواقع تراودني في رأسي الآن أفكار في منتهى الجنون حيال ذلك الأمر.. هذا الأمر سيكون مزعجًا للغاية بحق... سأذهب الآن "

= " ولكن إلى أين؟ ألن تقوم بالأمر أم ماذا؟ "

– " كلا أنا ذاهب إلى عربتي لأسجل بعضًا من أفكار حول الخطة التي سأنفذها "

= " لحظة انتظرني سآتي معك أريد أن أعلم ماذا ستفعل؟ "

– " صحيح لقد قلتي أنك تحبين الشطرنج للغاية أليس كذلك؟ "

= " نعم ولماذا؟ "

– " أحضري عدة الشطرنج معك أريد أن أختبر بعض الأشياء "

ذهب طارق إلى عربته وقد جلب قلمًا وبعض الأوراق وأخذ يسجل بعض الأشياء، وبعد قليل وصلت الأميرة وانطلقت العربة وأشار إليها لتجلس وأخبرها بأنها ستلاعبه وأخذ منها رقعة الشطرنج ورصَّ بعض القطع بترتيب معين بحيث تكون الأفضلية لها ثم بدأ النزال بينهما... أخذ يفكر في كل خطوة تقوم الأميرة بها ويحاول النظر لأبعد ما يمكن أن تصل له اللعبة ثم يقوم بحركته وانتهى الأمر بأن خسر في النهاية، ثم قام برصّ القطع مرة أخرى وكانت الأفضلية للأميرة كما المرة السابقة وكان منغمسًا جدًا في الأمر ولكنه خسر كذلك في النهاية... كرر ذلك الأمر مرات كثيرة وتكررت خسارته ولم تفهم الأميرة ما كان يحاول طارق فعله وما الذي سيستفيده من هذا الأمر، وظل الأمر على هذا الحال حتى سئمت الأميرة من هذا الأمر.

– " ألا ترى أن هذا يكفي لليوم يا طارق؟ " قالت آية

= " كلا... هناك شيء أريد أن أصل إليه أولًا " رد عليها طارق

- " لقد كنت تقول هذا دائماً ولكنك كنت تستمر في الخسارة... لقد سئمت من ذلك الأمر "

= " حسنًا لا أريد أن أرغمك على شيء لا تريدنه يمكنك أن تتوقفي وتذهبي الآن "

- " في الواقع.. أنا لا أريد الذهاب أريد أن أبقى معك قليلًا "

= " هاه؟!! لماذا؟! "

- " أنت تعلم أنني معجبة بقصصك.. لهذا أريد أن تحكي لي بعضها "

= " ألا ترين أنني مشغول الآن؟!.. لن أحكيَ شيئًا.. هيا اذهبي يا آية واتركيني وشأني " رد عليها طارق وهو يقلب في صفحات أوراقه غير مبالٍ بما تقول

لن تصدق مقدار الغضب الذي قد شعرت به الأميرة آية في هذه اللحظة وذلك الكم من الغيظ والحنق فانفجرت بالصياح في وجهه قائلة:

- " أنت أحمق وغد!!.. حقير!!.. وقح!!.. أنا سيدتك أيها الأحمق كم يجب أن أعيد لك ذلك ألا يمكنك أن تفهم يجب أن تتحدث معي جيدًا؟!.. وأيضًا.. لا يمكنك أنت تناديني باسمي المجرد أيها الوغد!!! "

= " أوووه تبدين غاضبةً للغاية!!.. ولكنني لست خادمك الآن بل القائد الذي سيخوض المعركة القادمة "

- " لكنك ما زلت تعمل لدي أيها الأحمق وأنا ما زلت سيدتك!!! " ردت وهي تستمر بالصياح

= " ذلك صحيح لقد نسيت!!... حسنًا.. حسنًا.. أنا آسف أيمكنك أن تخفضي صوتك الآن "

- " لا أعرف لما أحب قضاء الوقت معك؟!!... ما كان يجب على أميرة مثلي أن تجلس مع حثالةٍ مثلك " قالت بصوت منخفض

= " لاحظي أيتها الأميرة أنني قد اعتذرت لك للتو وأنت لم تتوقفي عن إهانتي... ما باليد حيلة سأقولها مجددًا.. أنا آسف.. والآن هيا ابتسمي واهدئي وإلا لن أحكي لك القصة القادمة "

- " حسنًا سأهدأ ولكنني لن أعتذر لك... لأنه يجب عليك أن تدرك أنني سيدتك وأنك مكلف بتخصيص وقتك لي حتى لو كنت مشغولًا... يمكنك أن تبدأ الآن "

= " أنت تبدين وقورةً مع الكل ولا أعلم لما تتصرفين معي كما الأطفال.. ولا أعلم إن كان هذا أمرٌ جيد أم سيء.. لكن هذا أنت ولا ضير في أن تكوني على طبيعتك.. فقط ابتسمي واهدئي وسنبدأ " رد عليها طارق.

- " أما أنت فقط مجرد أحمق " ردت عليه وهي تبتسم.. تبدو خجلةً.. مشيحةً بنظرها بعيدة عنه.

بالرغم من أنه يزعجها ويثير غيظها وهو الوحيد الذي كانت تغضب منه كثيرا هكذا لكنها بدأت تعجب به وشعرت بأنه إنسان لطيف وطيب للغاية.. وربما كانت تستمتع بالجدال معه أحيانًا... لم تمض معه فترة طويلة ولكنها كانت تتحدث معه براحة كبيرة ولم تكن تشعر بالَوقت وهو ينقضي بينما تكون معه.. الأمر غريب كان من المفترض أن يبقيا معًا ليحكي لها

القليل فقط ولكنهما ظلا معًا لساعات لا يتوقفان عن الحديث.. لم يحكِ لها الكثير هذه المرة بل ذهب الوقت بالحديث عن أشياء مختلفة سواءً عن حياتها أو حياته وكان طارق هو الشخص الوحيد الذي حدثته بالكثير عن نفسها دون تفكير دون مراعاة.

- " أخبرني يا طارق... هل وقعت في الحب من قبل؟ " قالت الأميرة وهي تبدو خجلة

= " لا يمكنني أن أقول لك نعم... في الواقع أنا لم احب أي امرأة حتى الآن "

- " لماذا؟!!... ألم تجد فتاة أعجبتك حتى الآن؟!! "

= " أنا لم أشغل نفسي بموضوع الحب ذاك كثيرًا ولم أهتم بمن رأيت من النساء "

- " أتعتقد أنه الممكن أن يقع اثنان في الحب بالرغم من إمضائهما معًا القليل من الوقت فقط؟!! "

= "حسنًا لقد سمعت هراءً عن أناس يقعون في الحب من أول نظرة أو شيء من هذا القبيل... كما سمعت أن الحب ضرب من الجنون... لا يمكنكِ معرفة ما قد يفعله من فقد عقله بالفعل أليس كذلك؟... لهذا أعتقد أن هذا أمر ممكن "

- " هذا غريب... لم أتوقع أنك قد تقول شيئًا كهذا!! " نظرت إليه بتعجب شديد.

= " ما الفكرة التي قد أخذتها عني أيتها الأميرة؟! " ثم قال بصوت

منخفض " حسنًا لا يهم فحتى لو وقعت امرأة في حب طارق فهي لن تحب مالك على أي حال "

- " ما الذي قلته للتو؟ "

= " لا شيء فقط لا تشغلي بالك "

غادرت آية بعد أن ودعت طارق وأخبرته أنها ستمر عليه غدًا... ثم أتى ماهر بعد قليل وطلب منه أن يحل مكان الأميرة وفعل معه مثل ما فعل مع الأميرة آية وخسر في كل مرة أيضًا، وبعد مضي كثير من الوقت حتى حل المساء وتوقفت العربة أتى مجد وجلال لعربة طارق حتًى يدرباه على استعمال السيف فذهب طارق معهما وظل ماهر في عربته... وبعد أن انتهى طارق من تدريبه نام الجميع وكان يخشى من أن ينام ويراوده ذلك الحلم أو حلم آخر يثير رعبه ولكن النوم قد غلبه في هذه الليلة ولم يأته ذلك الحلم ولم يصدق نفسه عندما استيقظ صباحًا واستغرب من ذلك كثيرًا وأخذ يحمد الله كثيرًا على ذلك.

بدأ اليوم التالي...

قد استغرق طارق بالتفكير كثيرًا في هذا حتى كاد ينفجر رأسه... يجرب أن يفكر في أمر وفي النهاية يرى أنه سيفشل وظلّ على هذا الحال حتى أتت إليه الأميرة وطَلبت الدخول.

أمضت الأميرة الكثير من الوقت مع طارق وقد أكثر هذه المرة من القصص الطريفة معها وظلت تضحك كثيرًا وهي لا تشعر بالملل من قصصه... حتى قال طارق:

- " لقد سألتني بالأمس عن الحب وإذا كنت قد وقعت بالحب من قبل أيتها الأميرة... بالتفكير بالأمر فأنا لم أقم بسؤالك... أظن أنه قد حان دوري لأسألك قليلًا أليس كذلك؟ "

= " بـ.. بـ.. بالطبع يمكنك أن تسأل ما تريد؟ " احمر وجهها وخجلت وقد بدت متوترة فهي لم تتوقع أبدًا أن يقوم طارق بسؤالها.

- " أراك خجلة ووجهك قد احمر قليلًا... ما الأمر أيتها الأميرة؟! " رد طارق وهو يبتسم بخبث.

= " لَـ.. لَـ.. ليس هناك شيء أيها الأحمق!!... هيا أسرع وسَل ما تريد!! " ردت الأميرة وقد ازدادت توترًا.

- " على رسلك لا تتوتري هكذا... أخبريني أنت إذا... هل وقعت في الحب من قبل؟ " قال طارق وما زالت تظهر على وجهه تلك الابتسامة الخبيثة.

= " لا.. لا.. لا أعلم.. ربما قد.. أنا لا أعرف "

- " حسنًا ماذا عن سامر؟... ما رأيك به؟... يبدو أنك تكنين مشاعرًا له "

= " أنا لن أرد أبدًا على هذا... وأيضًا من أين جئت بهذا الكلام؟!! " ردت وقد ازداد وجهها احمرارًا

- " حسنًا لقد لاحظت ذلك... وأيضًا طريقة كلامك ونبرة صوتك قد تغيرًا أليس هذا يدل أن هناك شيء ما؟ "

= " كيف تقول ذلك وأنت لم تمضِ معنا مدة طويلة؟!!.. ما الذي يجعلك

تبدو واثقًا هكذا؟!!... أنا لم أقل لك أنني أحبه!!! "

- " دعكِ من كل هذا الكلام... كفاك تحايلًا... فقط أخبريني هل يعلم هو أنك تكنين مشاعرًا له أو معجبة به؟ "

= " في الواقع أنا لا أعرف... أحيانًا أشعر أنه يعلم وأحيانًا أشعر أنه لا يملك فكرة عما أحس به "

- " إذًا لقد كنت محقًا... هذا جيد... أود أن أخبرك أنه يعلم بمشاعرك تلك "

= " كيف عرفت ذلك؟!!... وأيضًا أخبرني لماذا تبدو متأكدًا للغاية مما تقول؟!! "

- " أود أن أخبرك أيتها الأميرة آية أن الجميع يعلم بذلك... وكل ما عرفته أتى من ألسن الخدم والحراس عندما سألت عنك وعن سامر وأخبروني أنهم لاحظوا اهتمامك الشديد به وكيف أنك لا ترفضين له طلبًا.. فإذا كان الخدم والحراس يعلمون... وأنا قد علمت ولم أمكث معكم طويلًا... فكيف إذًا لا يعلم ذلك المدعو سامر أيضًا؟!! "

= " أنت تكذب!!!... لو كان يعلم طوال هذا الوقت فلماذا هو يدعي الجهل حتى الآن؟!!... لما يتركني معلقة به هكذا؟!! "

- " حسنًا.. لما لا تسألينه بنفسك إذًا... هذا إن كنت تملكين الشجاعة لذلك... أما أنا فأرى أن هناك احتمالين... أنه من النوع الخجل والذي لا يستطيع التعبير عن مشاعره ويحب أن يخفيها... وأنا لا أرجح هذا لأنه لا يبدو عليه أنه من هذا النوع... أو أنه يعتبرك امرأة عابرة كأي واحدة أخرى

فقط واحدة من الفتيات المعجبات به لا أكثر... أي أنكِ لا تعنين له شيئًا "

= " لقد أخبرني سابقًا أنه يهتم لأمري ولن يفرط فيَّ أبدًا... وأنا لا أستطيع أن أصدقك.. أنا لا..... " ردت وهي تصيح.. بدأت تبكي.. بدت وكأنها لا تستطيع تصديق ما يقول فقاطعها طارق وقال بصرامة وصوت غليظ:

- " أيتها الأميرة!!... أنا أيضًا يمكنني أن أخبرك بأنني أهتم لأمرك.. لن أفرط فيك.. لا أستطيع أن أرى امرأة أجمل منك.. سأظل دائماً بالقرب منك.. ربما قد أمسك يدك وأقترب منك.. أي شيء من هراء الحب هذا... لكن هذا لا يعني أني بالفعل صادق فيما أقول... المرأة تميل لتحب من يهتم بها ويخبرها بهذه الأشياء أو حتى بعضها... ربما هو لم يخبرك بأنه يحبك يا آية... لكن ربما قد قال بعض تلك الأشياء ليجعلك تحبينه ويستغلك "

= " أنت وغد محتال مخادع!!!.. تريد أن تتلاعب بمشاعري لا أكثر!!.. لطالما كنت وقحًا.. لا تعاملني باحترام بالرغم من أني سيدتك.. تعاملني كأي شخص دون الأخذ بالاعتبار أنني هي من أنقذتك.. والآن أنت قد تخطيت حدودك.. فقط ابتعد عني أيها الوغد الحثالة!!! " قالت آية وهي تصيح بقوة وتبكي بشدة

- " يمكنك أن تقولي ما تقولين.. ربما أنت تشككين فيما أقول.. لكن هناك فرق بيني وبينك... أنا لم أمض عمري محصورًا بين جدران القصور ولا أرى العالم وقسوته... كل حكاياَتي التي قد قصصتها لك حتى الآن.. كل تجاربي التي قد مررت بها هي ما يفرق بيننا... لهذا فرؤية امرأة حمقاء مثلك واقعةً في حب رجل يستغلها ليس أمرًا جديدًا عليّ أيتها الغبية!!!... أراهنك أن كلامه السخيف ذاك حول اهتمامه بك وكل تلك التفاهات كانت

فقط تُقال عندما يريد طلبًا منك!!! " رد عليها طارق وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي صاح فيها بقوة هكذا.. كان دائمًا ما يتعامل معها ببرود لكن هذه المرة قد علا صوته بقسوة عليها.

لم تتوقف دموعها وزادت مع كل كلمة قالها.. علا صوتها بالبكاء للغاية.. وضعت يدها على صدرها ووجهها موجه للأرض لا تستطيع النظر إليه.. أخذت تطلب منه أن يتوقف عن الحديث.. لكنه استمر حتى انتهى.. لم ترد أن تصدق ما يقول.. تذكرت كلام سامر " ربما قد يحاول التلاعب بك وخداعك لهذا خذي حذرك جيدًا ".. لكن طارق بدا محقًا للغاية.. ربما هي الحمقاء.. ظلت تحاول أن تتعلق بما قاله سامر.. لكن كلام طارق لم يخرج من رأسها.. تذكرت معظم كلام سامر حول اهتمامه بها وبالفعل.. كان يتبعه بطلب منه.. يعلو صوتها أكثر وأكثر بالبكاء.. فتوقفت كل العربات واجتمع الجميع عندهما ليروا سبب بكائها.. وطارق يجلس في مكانه لا يحرك ساكنًا فقط ينظر إليها بحزم بعينين باردتين خاويتين وهي تبكي.

رأى الجميع ذلك المشهد.. الأميرة آية تبكي بحرقة وطارق ينظر إليها ببرود... غضب سامر للغاية حالما رأى الأميرة تبكي هكذا وجذب طارق من ملابسه وأخرجه من العربة بالقوة ملقيًا إياه على الأرض ممرغًا وجهه بالتراب وصاح بغيظ شديد قائلًا:

- " ما الذي فعلته بها أيها الوغد؟!! "

اقترب سامر من طارق وهو يحاول الوقوف ووجه له لكمةً قويةً في وجهه كادت أن تسقطه أرضًا وبالطبع ما زال يشعر بألم مضاعف عن ذي قبل مما زاد حدة ألمه... شرع سامر في توجيه لكمة أخرى لكن طارق تمالك نفسه

واستطاع إمساك يد سامر وأقبض عليها بقوة ووقف يرمقه بنظرات غاضبة وقال:

= " ربما أنت بارع في السيف ومهارات القتال أيها الحقير... لكن لا تغتر بنفسك وتظن أنك الوحيد الذي يستطيع توجيه اللكمات "...

وجه طارق لكمة في بطن سامر وأتبعها بعدة لكمات أقوى حتى شعر سامر أنه على وشك أن يتقيأ... لم يبقَ جلال ومجد ساكنين لا يفعلان شيئًا فتوجه كلاهما لطارق وقد همَّا بضربه لولا أن أسرع ماهر وقام بإيقافهما...

طلب ماهر من طارق أن يذهب معه إلى العربة ويبقى فيها فوافق... أخذ ماهر يسأل طارق ويلح في السؤال عليه حول ما حدث بينه وبين الأميرة فلا يجيب طارق إلا بشيء واحد " لا شيء.. فقط لا شيء "...

قد قامت الوصيفة بانزال الأميرة من العربة أثناء الشجار بين سامر وطارق.. احتضنتها وكانت الأميرة تبكي على صدرها.. انتظرت الوصيفة قليلًا ثم طلبت من الأميرة أن تغادر هذا المكان وتذهب إلى عربتها فحركت الأميرة رأسها موافقة وهي تبكي وغادرتا معًا دون كلام.

حلَّ الليل وتوقفت العربات كلها للمبيت في هذه الليلة... كان الوقت كفيلًا بأن تهدأ الأميرة لكنها لم تتوقف أبدًا عن التفكير فيما قاله طارق لها... قد آلمها ذلك وما آلمها أكثر هو احتمال أن يكون صحيحًا... لكنها قد استقرت على ألا تصدق كلامه في النهاية بالرغم من وجود بعض الشك حياله... ثم قررت أن تمر على سامر في هذه الليلة...

- " أريد أن أتحدث معك وحدنا يا سامر " هذا ما قالته الأميرة عندما رأته

برفقة مجد وجلال...

ذهب معها سامر في مكان بعيد عن العربات.. سألها سامر عن حالها... أخبرته أنها بخير الآن.. صمتا قليلًا ثم قالت:

- " أنا لا أريد أن أستمر بهذا يا سامر لا أريد أن أرى ذلك الوغد مجددًا!! "

= " أعلم أنك حزينةٍ ومتضايقة مما حدث لكننا لا يمكننا أن نتوقف الآن "

- " لكنني لن أتحمل رؤيته مجددًا لقد ضقت ذرعًا به!!! "

= " أرجوك يجب عليك أن تتحملي فأنا أخبرتك أنني أهتم لأمرك وأنك أنت الوحيدة التي أثق بها " لاحظ توتر الأميرة عندما قال هذه الكلمات وانتظر سماع كلامها لكنها التزمت الصمت.

= " أنا لن أتخلى عنك أبدا ولن أدعه يضايقك مجددًا... "

لماذا التزمت الصمت؟!!... لأنها تذكرت كلام طارق " أراهنك أن كلامه السخيف ذاك حول اهتمامه بك وكل تلك التفاهات كان فقط يُقال عندما يريد طلبًا منك "... توترت.. قلقت للغاية.. هل سيكمل سامر كلامه بأن يراعي مشاعرها ويدعها تبتعد عن طارق أم أنه سيطلب منها أن تكمل؟!!... وأتى رده بسرعة... " ... لهذا أرجوك يجب أن تكملي ما بدأناه " لقد طلب منها أن تكمل إذا ربما... ربما هو فعلًا لا يهتم لأمرها... ربما هو فقط يستغلها كما قال طارق.

لاحظ سامر استمرارها في التزام الصمت وتوترها المتزايد ولكنه أكمل قائلا:

= " لا تتوتري هكذا أرجوك اهدئي... تذكري يجب ألا ندع هذا الوغد يفعل ما يشاء يجب أن نعرف كل ما يفكر به... يجب ألا ندعه يقوم بأي خطوة دون أن تمر علينا... يجب أن نضمن فشله!! "

- " توقف!!.. قلت لك لا أريد!!.. لا أريد أن أستمر في هذا!!.. أسمعتني يا سامر؟!!! " صاحت في وجهه وكانت هذه أول مرة تصيح فيها بوجه سامر فنظر إليها سامر ببرود وقال بغيظ:

= " فلتذهبي إذًا... عودي إلى قصرك المرفه ذاك... إن استمريت في هذا الكلام فأنا لا أحتاجك إذًا... غادري.. واتركينا نحن لنحل هذه المشاكل... ولكن اعلمي أنه إذا فشلنا.. فستكونين أنت السبب... واستمتعي ببقية حياتك مع ذلك الوغد كزوجته " قال سامر وهمَّ بالرحيل بعيدا عنها.

هذا صحيح أيضًا.. نعم هذا صحيح.. لو لم تستمر فيما تفعل فستضطر أن تبقى مع طارق ذاك رغما عنها.. لا يمكنها أن تسمح لذلك الوقح أن يتولى الحكم.. ذلك الوغد طارق.. يجب ألا تستمع لكلامه أبدًا يجب أن تنساه كله... لأنها إن لم تكمل فسينتهي الأمر بأسوأ شكل ممكن.. لهذا.. يجب ألا تدع شيئًا يؤثر عليها وتصدق سامر.. تصدق الرجل الذي تثق به وتكن له مشاعرها.

بعدما استغرقت في تفكيرها اقتربت من سامر وقالت له:

= " انتظر يا سامر... سأقوم بما تريد.. أنا سأكمل ما بدأناه ولن أدع طارق يؤثر في مجددًا "

- " هذا جيد... أحسنت الإختيار أيتها الأميرة "

مرت تلك الليلة والأميرة تفكر بكيف ستواجه طارق غدًا... كانت خائفةً للغاية ولم ترد أن تراه وأرادت ألا تحدثه لأنها لا تعرف كيف ستتحدث معه مجددًا فكانت تفضل أن تبتعد عنه على ألا تواجهه... لكنها يجب أن تستمر كما وعدت سامر فلم تستطع النوم من شدة قلقها إلا بعد عناء.

حلَّ الصباح واقترب موعد انطلاق العربات أي أنه قد اقترب الموعد الذي ستواجه فيه طارق.. ما زالت تتذكر نظراته تلك والتي زادتها خوفًا منه... لكن بعد قليل سمعت صوته ينادي عليها من خارج العربة... إن طارق ينادي عليها.

خرجت الوصيفة حالما سمعت صوت طارق وهي تبدو منزعجة وقالت له:

- " يجب عليك أن تغادر الآن... كيف تستطيع أن تظهر للأميرة آية وجهك بعدما جعلتها تبكي بالأمس... أنا لا يمكنني أن أسمي ظهورك هذا جرأة بل وقاحة كبيرة "

= " حسنًا.. حسنًا.. يبدو أن السيدة الوصيفة منزعجةٌ أيضًا... نادي على الأميرة فأنا قد أتيت إليها لهذا السبب " رد طارق بهدوء.

- " قلت لك غادر... أتريد أن تجعلها تبكي مجددا؟!! " قالت الوصيفة ذلك ولكنها تفاجئت بعد ذلك...

تفاجئت بعد أن رأت الأميرة تظهر نفسها من العربة لترى طارق... فقد ظنت آية أنه لا مفر من ذلك يجب أن تواجه على أي حال وإن لم يكن الآن فلاحقا إذًا... لهذا فلتواجهه الآن وتنتهي فقالت له:

– " ماذا تريـ.... " قالت الأميرة وتفاجئت بأن قاطعها طارق قبل أن تبدأ كلامها حتى.

= " قبل أن تبدأي كلامك... أود أن أقول لك بأنني أحترمك الآن بعد أن استجمعت نفسك وقابلتني بعد الحديث الذي دار بيننا بالأمس... حسنًا لقد تماديت.. تماديت كثيرًا أنا أعلم هذا... لم يكن لي حق بقول كل هذا الكلام.. أنا أعلم... لهذا قد أتيت إليك لأعتذر لأن الرجل الذي يجعل امرأة تبكي هو مجرد وغد... وأنا لا أريد أن أكون هذا الوغد... سأفعل ما تريدين كي تعلمي أنني لا أمزح... سأحكي لك كل ما تريدين سأحكي لك قصصًا تجعلك تنفجرين من الضحك كي أعوضك عن بكائك... يمكنك أن تحضري الوصيفة معك أيضًا... فقط أخبرينـ..... "

– " لقد سامحتك... في الواقع لا أعرف لماذا؟!!.. لكنني أشعر الآن أنني لا أستطيع أن أكرهك " قاطعت الأميرة طارق بهذا الكلام وكانت تظهر على وجهها ابتسامة خفيفة مع بعض الدموع على وجهها... لقد أحبت كل كلمة سمعتها من طارق لم تظن أنه قد يأتي إليها ويقول لها كل هذا مما جعلها تفكر " ربما هو ليس شخصا سيئًا في النهاية " أو ربما لأنها طيبة القلب للغاية فقط لا أكثر.

بادلها طارق الابتسام وقال : = " إذا متى تريدين أن تبدئي أيتها الأميرة آية؟ "

– " ما رأيك أن نبدأ الآن.. أريدك أيضًا أن تعيد بعضًا مما حكيت لي لتسمعه وصيفتي كذلك "

= " حسنًا... كما تريدين "

انتاب كلاهما شعورًا بالراحة بأن انتهى الأمر بهذا الشكل... ثم أخذ طارق يحكي قصصه لكل من الأميرة والوصيفة.. وبالطبع كان هناك بعض من التوتر في بداية الحديث... لكن سرعان ما زال بعد قليل من الوقت وعادا يتحدثان براحة مجددًا وكأن شيئًا لم يكن... قد بدت آية سعيدة حقًا بعد ما حدث ولعودة الأمور كما كانت، أما الوصيفة فقد فرحت برؤية الأميرة آية تبتسم وتضحك بهذا الشكل وهي تتجاذب مع طارق أطراف الحديث في رواية بعض القصص التي سمعتها منه من قبل عندما كان يعيدها.. فهي لم ترها سعيدة هكذا منذ مدة.

قد انتهى الأمر إذا وهذا شيء جيد ولكن ما زال على طارق العودة للتفكير بالخطة فتوجه لعربته بعد أن قضى وقته مع الأميرة وعاد للعب الشطرنج مع ماهر مجددًا... لكن ما زال ينتهي طارق بالخسارة في كل مباراة... قد كان هذا اليوم الثالث منذ رحيلهم من القصر وفي نهايته قد سئم مما يفعل وفقد رغبته من الاستمرار في ذلك وبات ليلته ينعى حظه.

لكن في صباح اليوم التالي قرر أن يعطي الأمر فرصةً أخرى ويجرب حظه لآخر مرة فطلب من ماهر أن يلعب معه، ولم يكن طارق يلعب معه كما سبق فلم يأخذ وقتا طويلًا في التفكير وقام ببضع الحركات بطريقةٍ عشوائية ولكنه قد لاحظ في هذه المرة توتر ماهر على غير عادته وهو يلعب وارتكابه لبعض الأخطاء الغبية التي لم يعهدها معه من قبل، وقد لعبا ثلاث مباريات وعندما انتهى طارق سأله قائلًا:

- " لماذا قمت بهذه الخطوات الخاطئة يا ماهر؟ ليس من عادتك ذلك!! "

= " لا تقل لي هذا الكلام فأنت السبب في ذلك "

- " وكيف ذلك؟ أنا لم أفعل شيئًا "

= " هناك بعض الخطوات التي من المفترض والمتوقع على الخصم أن يلعبها... خصوصًا وإن كان لاعبا بارعًا مثلك... ولكنك كنت تفاجئني بحركات غريبة قد أثارت قلقي... وما زاده أنه لم يكن يظهر عليك قلق تجاه ما تفعله وكأنك تعرف جيد ما تقوم به... ليس كما كان يبدو عليك عندما أضعك في موقف حرج فخشيت أن تكون استراتيجية لم أسمع بها فزدت من حذري كثيرًا "

- " هذا ما في الأمر إذا ولكن في الواقع بعض الحركات التي لعبتها كانت عشوائية بدون تفكير لقد كنت حذرًا من لا شيء.... " ثم ضحك طارق لبرهة وقال: " يبدو الأمر وكأني كنت أتلاعب بعقلك وأنا لا أعلم "

= " ماذا تقول يا طارق إذا لم تكن تلعب بجدية منذ البداية؟!.... أيها الوغد... لقد أثرت قلقي للغاية على لا شيء وكان بإمكاني الفوز في وقت قصير للغاية في تلك المباريات " رد عليه ماهر وقد بدا منزعجًا للغاية.

- " حسنا لا تتضايق هكذا إنها مجرد لعبة... ولكن لحظة لقد أوحيت لي بفكرة... نعم إنها تلك القطعة المفقودة التي ستنهي ذلك الجنون... أخبرني متى سوف نصل؟ " قالها طارق وقد ارتسمت ابتسامة على وجهه

= " سوف نصل إلى لارن في الغد والآن أخبرني بتلك الفكرة "

- " ليس الآن... فهناك بعض التفاصيل التي لم تكتمل بعد سأوضح لك الأمور أمام الجميع "

أسرع طارق وأخذ القلم وبعض الأوراق وأخذ يكتب تفاصيل الخطة

التي رسمها وما الذي سيقوم به في الغد، وقد نام الجميع وهو ما زال يكتب فسهر كثيرًا حتى أصابه صداع ورغبة شديدة في النوم ولكنه استمر حتى انتهى وفور ذلك استغرق في نوم عميق.

وقد لاحظت الأميرة انشغاله الشديد للغاية في هذا اليوم لذلك لم تشأ أن تشغله بمطالبها هذه المرة...

وصلوا إلى لارن في عصر اليوم التالي واتجهوا نحو المنزل الكبير الخاص بالحاكم في تلك المدينة ووجدوا عددًا كبيرًا من الخدم في استقبالهم، وعندما خرجوا من العربة طلب طارق من الأميرة أن تقوم بجمع سامر ومجد وجلال وماهر ليحكي لهم تفاصيل ما سيفعلونه وبالفعل قد قامت الأميرة بجمعهم في أكبر غرفة في ذلك المنزل وعندها قال طارق:

- " أردت أن أحدثكم اليوم لأخبركم بتفاصيل ما سأفعله ولكني لن أخبركم بكل شيء... سأخبركم فقط بما أريدكم أن تعرفوه وكل ما أريدكم ان تعرفوه موجود في هذه الورقة.. اقرأوها جيدًا "

أخذ سامر تلك الورقة أولا ثم ناولها لجلال وهكذا حتى استلمتها الأميرة أخيرًا فقرأتها كذلك ثم قال سامر لطارق:

- " ولكني لا أرى فائدة كبيرة مما ستفعله أمتأكد أنت مما ستقوم به؟ "

=" لا تقلق الأمر يعتمد على بعض الفرضيات وإذا وجدت ما أحتاج سيسهل ذلك الأمر علي.... فقط افعل ما أريده منك واترك الأمر على الله ثم علي أنا "

- " وما الذي ستفعله أنت؟ " رد جلال

= " في الواقع أنا وماهر سنقوم بأخطر عمل بينكم ولكني لن أذكره "

* " ولماذا لن تفعل ذلك؟! ألا تثق بنا أم ماذا؟!! " رد مجد

– " الأمر ليس كذلك... كل ما في الأمر هو أنني تعب للغاية ولا أريد أن أرهق نفسي بشرحٍ الأمر لكم لهذا كل ما يمكنكم أن تفعلوه هو أن تخمنوا ما سأفعله.... حظًا طيبًا في ذلك "

انزعج سامر وتضايق للغاية عندما سمع كلام طارق وبدت علامات الانزعاج كذلك على مجد وجلال... ثم استأذن طارق بعد ذلك ليذهب ليرتاح قليلًا ولحقه ماهر... ثم بعد أن خرج طارق وماهر قال سامر بصوت عال للأميرة:

– " أريدك ألا تتركي ذلك الوغد وتعرفي ما يفكر به... ذلك الحقير إنه يعاملنا كالمغفلين لن أغفر له ذلك أبدا!!.. أبدا!!! "

في اليوم التالي انطلق سامر وجلال كل في طريقه لينفذ ما كلفه طارق منه في تلك الورقة... وقد طلب طارق من الأميرة آية أن تعيره ملابسًا من التي يلبسها النبلاء وبعض المال فوافقت على ذلك، وذهبت بنفسها لتسلمه ما قد طلبه منها وسألته عما سيفعل وأخبرها أنه سيذهب للمدينة ليتفقد بعض الأمور فطلبت منه الأميرة أن تذهب معه فأجابها بالرفض ولكنها كانت مصرة على ألا تتركه فقال لها:

– " من المستحيل أن تأتي معي أنا رفضت ذهابك وانتهى الأمر "

= " ليس لك الحق بأن تملي علي ما أفعله... سأقول لك مجددًا لا تنسى أنني أنا السيدة هنا "

– " يا لك من عنيدة لقد قلت لا يمكن إذا لا يمكن... ألا تستطيعين أن تفهمي هذا الأمر؟! "

= " وأنا قلت انني لن أتركك تذهب وحدك... أمن الصعب عليك أنت كذلك أن تفهم هذا الأمر؟! "

وبعد كثير من الجدال والحديث انتهى الأمر بأن ذهبت الأميرة مع طارق وكان منزعجًا للغاية حيال ذلك... لكنه أخبرها بأنه إذا حدث لها أي مكروه فعليها أن تتحمل مسؤولية ذلك، واتجه طارق بعد ذلك إلى أسوأ مناطق مدينة لارن والتي تعج بالحثالة واللصوص وكثرة الجرائم والأعمال القذرة.

استأجر طارق عربة عادية من الخارج فعربة مثل عربات الأميرة لا تليق بهذا المكان الذي سيذهبان إليه وستلفت الأنظار إليها... قد أخذ معه بعضًا من الحرس ليزيد من رهبة الناس منه في هذه المنطقة، وبعد أن ركب العربة وصف للسائق بالمكان الذي يريد الذهاب إليه وفهم السائق مقصده وأوصله إلى أسوأ مناطق مدينة لارن والتي تقام فيها أغلب الأعمال الغير قانونية... ما كان يريد طارق معرفته هو إذا كان هناك طريق آخر يصل بين الشمال والجنوب غير روسال ويخفيه هؤلاء المجرمون حتى يهربوا أعمالهم... قد ذكرت له الأميرة آية أن الحراسة شديدة للغاية في روسال لكن لا بد من وجود طريقة يعلمها هؤلاء المجرمون حتى تستمر أعمالهم في الشمال فلا يوجد شيء لا يمكن اختراقه خاصةً أمام المجرمين... بعد كثير من البحث والسؤال أخبره شخص بمكان إحدى الحانات ودله إليها مقابل عملتين من الفضة، وعندما وصل إلى تلك الحانة طلب من الأميرة أن تبقى بالعربة ولا تذهب معه لذلك المكان القذر، ثم ذهب طارق إلى صاحب الحانة... سأل

طارق عما يريده وقد أجابه ذلك الرجل بعدم معرفته شيئًا عما يتحدث عنه.. أعاد طارق سؤاله.. لكنه ما زال يصر على إجابته تلك.. ثم قال طارق:

- " ما رأيك أن أحدثك بلغة أخرى... سأحدثك بلغة المال ألا يعجبك ذلك؟ أيمكن لهذا المال أن ينعش ذاكرتك؟ " قال طارق ذلك وهو يخرج من جيبه عشر عملات من الفضة.

= " بل يعجبني يا سيدي... في الواقع أشعر بأنني بدأت أتذكر الآن "

فتحدث صاحب الحانة وأخبره عن رجل يدعى (هشام الدوسي) ذلك هو الرجل الذي يعرف طريقًا يصل الشمال بالجنوب غير المرور بروسال ومعه رجاله الذين يساعدونه في تهريب بعض الممنوعات دون علم الجنود أو المملكة... كذلك يلجأ إليه كثير من الناس من معارفه ليساعدهم على الذهاب للشمال ولذلك نظرًا للفرق الكبير بين الثمن المنخفض الذي يعرضه مقارنة بثمن المرور بروسال.

ذهب طارق بعد ذلك لبيت ذلك الرجل هشام تبعًا لوصف صاحب الحانة ثم نزل من العربة ليتأكد الناس عن بيت ذلك الرجل ولكن الأميرة أصرت على النزول معه هذه المرة ولم يستطع طارق أن يقهر عنادها فنزلت معه... بعد أن تأكد من بيت هشام طرق على بابه وانتظر حتى خرج إليه وحدثه طارق عما يريده منه وأخبره باسم صاحب الحانة وأنه أتى إليه من طرفه وبأنه تاجر يريد أن ينقل بضاعته في أقرب وقت إلى دولة (تانيا) التي تقع شمال روسال، وفي نهاية الحديث قال هشام:

- " من الواضح أنك لست من هنا أيها السيد... لكن ما لفت انتباهي هو هذه الفتاة الجميلة بجانبك لا تقل لي أنها أختك فأنا لن أصدق مثل هذه

الحماقات هل استمتعت معها جيدا؟.. أم أنك ما زلت تغازلها؟ " وكان ينظر إليها بنظرات خبيثة فتضايقت الأميرة بشدة من كلام ذلك الرجل ومن نظراته التي كانت تتفحص جسدها فهمّت بالرد عليه ولكن طارق سبقها قائلا:

= " كلا لن أقول لك ذلك وكيف ينطلي هذا الكلام على أمثالك... هذه الفتاة الجميلة تكون زوجتي أيها الوغد فالزم الصمت ولا تنظر إليها أظنك تستطيع أن تفهم ما أعنيه أليس كذلك؟... لهذا إن لم تشح نظرك بعيدًا عنها.. سأقتلك!!! " رد عليه طارق بصوت غليظ وبعينين صارمتين بعدما وضع يده على كتفها وضمها إليه وعندما سمعته الأميرة ورأت وجهه شعرت بخجل شديد واحمر وجهها مشيحةً بنظرها بعيدًا عنه.

- " نعم بالتأكيد أستطيع أن أفهم قصدك أيها السيد... لا تقلق فأنا لا أريد إفساد الأمر عليك... والآن أخبرني متى تريد أن نبدأ؟ "

= " سننطلق صباح الغد "

-" بهذه السرعة لكني سآخذ وقتًا حتى أجمع رفاقي وأتفق معهم وأرى من سيشارك في العمل وسيكون الأمر صعبًا نظرًا للوضع الحالي الذي تمر به البلاد وروسال وكذلك.... "

أشار طارق إلى أحد الحراس وهشام يتحدث فأخرج الحارس كيسًا كبيرًا من المال مما جعل هشام يتوقف عن الكلام وهو ينظر بإمعان إلى ذلك الكيس وقال:

- " أتسمع صوت المال الذي بهذا الكيس؟.. أترى حجمه؟.. ألا تتوق

لتحمله؟.. ألا تريد أن يكون بحوزتك؟.. سيتحقق كل ذلك غدًا.. فقط إن فعلت ما أريد "

= " أنا أحب الرجال من نوعك أيها السيد... الرجال الذين يفهمون ما ألمح إليه بسرعة... أنا موافق سأنتظرك أمام البوابة أنا ورجالي غدًا "

صافح طارق يد هذا الرجل ثم ركب العربة هو والأميرة ليعودا إلى المنزل وقد لاحظ طارق أن الأميرة قد التزمت الصمت كثيرًا أثناء الطريق على غير عادتها فسألها قائلًا:

- " لماذا لا تتحدثين وتسألين كثيرًا كما تفعلين عادةً؟!!... هل أصبحت مريضةً أم ماذا؟! "

= " لما قلت ذلك عني لذلك الرجل؟! " قالت ذلك وهي خجلة للغاية

- " ألم تري كيف كان ينظر إليك؟!! وما كان يقصد بكلامه؟! "

= " أعلم ذلك ولكن لما أخبرته أنني زوجتك؟!! " ردت عليه وقد زاد وجهها احمرارًا

- " كي أدافع عنك بالطبع... ولكن لا تظني أن ما فهمه ذلك الرجل هو الذي تعتقدينه برأسك "

= " ما الذي تعنيه؟ ليس هناك إلا معنى واحد لما قلته "

- " كلا... هناك معنًا آخر "

= " ما هو ذلك المعنى؟!! أخبرني " ردت عليه وهي متعجبة ومستغربة للغاية

– " كلا سوف يزعجك ذلك ويضايقك فحسب "

= " قلت لك أن تخبرني... لا تجعلنا نعيد الجدال كثيرًا أنت تعلم أنك ستخبرني في النهاية "

– " حسنًا معك حق في هذا... فلنقل في البداية أن ذلك الرجل كان يظنك عاهرةً من فتيات الليل لذلك كان ينظر إليك بطمع "

= " كيف لك أن تقول هذا؟!!!.... "

– " أنت من طلبت أن أخبرك ذلك لذا فاصمتي ودعيني أتحدث " قاطعها طارق وقد علا صوته

= " حسنًا أنا آسفة... هيا أكمل "

– " دعيني أسألك... ألا تظنين أنه من الغريب أن يصطحب تاجر زوجته معه في رحلته هو وعماله؟!!... وبالأخص في حالة أنه سيستعين بالمجرمين ليساعدوه!! "

= " صحيح.. معك حق في هذا.. أنا لم أسمع من قبل بهذا " ردت عليه الأميرة وهي تفكر

– " إذن فما الذي فهمه ذلك الرجل عندما قلت له ذلك؟.... لقد قال (لا أريد أن أفسد الأمر عليك) أليس كذلك؟... بعض الأمراء والنبلاء والتجار الأغنياء وذوي النفوذ عندما يرون الفتيات الجميلات يحاولون خداعهن بالزواج منهن... ثم يجعلونهن يرافقنهم حتى يتقربون منهن وينالون مبتغاهم فيتسلون بهن كما يشاؤون... وبالطبع أظنك تعرفين ما أقصد عندما أقول أنهم يتسلون بهن... ثم يتركونهن بعد ذلك ليلعن اليوم الذي عرفنهن فيه...

قد خسرن شرفهن.. لهذا قد ينتحر بعضهن.. أو يصبحن عاهرات بالفعل.. أو يعشن في الخزي طوال عمرهن.. أو ربما يحدث لهن شيء آخر لا أعلم "

= " هل ما تقوله صحيح؟!!.. أنت تكذب علي أليس كذلك؟!!.. لا يمكن أن يكون هذا ما قصده!! " ردت الأميرة وقد صُدمت للغاية مما قاله طارق

- " إن هذا العالم قاس جدًا أيتها الأميرة... قاس للغاية... أنت فقط لم تعرفيه جيدًا بعد " رد عليًها طارق وقد بدا حزينًا فًصمتت الأميرة ولم ترد عليه.

عندما عاد طارق والأميرة إلى المنزل وجدا ماهر في انتظارهما وعندها سأله طارق سأله قائلًا:

- " هل أحضرت ما طلبته منك؟ "

= " نعم لقد أحضرت ما طلبت "

- " جيد يمكننا الآن أن ننطلق غدًا "

* " إلى أين ستذهب غدًا يا طارق؟ " سألت الأميرة

- " إلى جاجارن "

تعجبت الأميرة مما سمعته من طارق ولم تتوقف عن طرح الأسئلة كلماذا؟.. وما الذي سيفعله هناك؟.. وما الذي سيستفيده من ذلك؟.. لكن طارق أجابها فقط بأن رد عليها:

- " لا يجب أن تعرفي كل شيء غدًا سيكون بداية الخطة فقط ادعي الله أن

ينتهي الأمر على خير.... والآن وداعًا ادع أن تجديني حيًا في لقائنا القادم... لكن.. أظن أنك ربما تريدنني أن أموت بالفعل؟! " قال طارق بخبث.

= " ما بك؟!.. أنا لست شريرة لهذه الدرجة!! " ردت وهي منزعجة.

- " حقًا!!.. لا أستطيع أن أصدق هذا "

= " ماذا تعني بهذا الكلام أيها الأحمق؟!! "

- " أنا أعني ما قد فهمته... أريد أن أرى في عينيكِ أنك تريدنني أن آتي حيًا... حينها سأصدقك "

= " فقط عد حيًا وكفاك من هذا الكلام السخيف فلا يجب أن تمزح حيال الموت " ردت آية وهي تشعر بالخجل قليلاً.

- " كما توقعت... لا أستطيع أن أصدقك سأذهب وأخبر ماهر بهذا الأمر "

= " أتعلم؟!.. أنا المخطئة لأنني قد جاريتك... وأيضًا ما شأن ماهر بما نقول أيها الأحمق؟!! "

- " حسنًا.. حسنًا.. ولكن فلتعلمي أنني سأعود حيًا رغمًا عن أنفك "

= " حسنًا.. افعل ما تشاء!! "

ذهب طارق ليتدرب بالسيف مع مجد وعندما انتهى أكد طارق عليه بما يجب عليه فعله غدًا وطلب منه أن ينام جيدًا لأنهم سينطلقون غدًا باكرًا... ثم ذهب طارق لينام أيضًا حتى أتى الصباح التالي.

طلب طارق من ماهر أن يحضر الأشياء التي أحضرها بالأمس منه وقد

ملأت ثلاث عربات... ثم طلب منه أن يأتي أيضًا بأفخم عربة بالمنزل وكيس كبير من المال وكثيرًا من الملابس الراقية والقطع الثمينة، وأخيرًا طلب طارقٌ أن يجتمع الجنود ليخاطبهم طارق وعندما اكتمل جمعهم قال طارق:

- " السلام عليكم أيها الجنود.... إن من ترونه أمامكم هو قائدكم طارق بن هشام القاصي الرجل الذي بعون الله سيقودكم إلى النصر في روسال.... لن أحدثكم عن التضحية والانتماء وهذه الأشياء فأنتم قد سمعتم الكثير من ذلك.... كل ما هنالك هو أن أمامي هدف نصب عيني وأنا هنا لاستغلالكم لكني لا أريد استغلال حفنة من الجبناء الحثالة أنا فقط أريد رجالًا.... أعلم أن الرجال قلة ولكنني أريد فقط أربعمائة من الرجال مستعدون للموت في أي لحظة لذا من كان رجلًا منكم فليتقدم!!!... أما الحثالة فلتبقوا بالخلف رجاءً " قال ذلك وقد علا صوته أثناء شيئًا فشيئًا حديثه... قد شعر كثير من الجنود بالاحتقار والانزعاج من كلامه.. لم يتفائلوا بذلك القائد الذي لا يعلمون عنه شيئًا.. لم يتقدم إليه إلا ما يقارب مائتي رجل.. لكنه رأى أنهم كفاية عن غيرهم.

- " أنتم أيها الرجال ستكونون أنتم أبطال هذه اللعبة لا أريد أحد غيركم أما الباقي من الجبناء الحثالة فدعوهم فلا حاجة لي إليهم "

وعندما قال طارق ذلك ثار غضب كثير من الجنود وضاقوا ذرعًا به فأخذوا يشتمونه ويسبونه لكنه أعطاهم ظهره وقد أسرع ماهر إليه يسأله:

- " لما قلت هذا يا طارق؟ وما الغاية من ذلك؟ "

= " لم أرَ في عيونهم استعدادًا لما سيلاقونه فتلاعبت بمشاعرهم حتى أثيرهم قليلًا فقط لا أكثر " ثم جال بباله وهو يبتسم ما لا يريد إخباره لماهر "

لكن السبب الحقيقي وراء خطابي ذاك كما في الشطرنج... بهذا قد استطعت أن أحدد القطع التي يمكنني التضحية بها... الآن أعلم من هم البيادق ذوو القيمة الأدنى " ثم قال بعد ذلك لماهر:

= " أتعلم يا ماهر؟... أنا أظن أن النصر لن يكون إلا بخطأ من الخصم... لهذا لن أنتظره حتى يقوم به بنفسه بل سأجعله يرتكبه بالتلاعب بعقله.. سأجره إلى الخطأ دون أن يدرك... هذا ما سأفعله سأنتصر بالرعب لا بالقوة "

ثم طلب طارق من ماهر أن يحضر معه مئة وعشرين جنديًا ممن تقدموا وأخبرهم بأن يتتبعوهم في طريقهم إلى جاجاران على أحصنتهم دون أن يظهروا أنفسهم، وأن يكون معهم عربات بها مؤونة تكفيهم لثلاثة أسابيع... ثم انطلق طارق وماهر ومجد ومعهم بعضٌ من الحراس بعرباتهم نحو البوابة.

وجد طارق هناك هشام الدوسي ينتظره ومعه خمس من رفاقه في المكان الذي اتفقا عليه... سأل هشام طارق عن المال بعدما رآه ورحب به فطمأنه وأراه كيس المال لكنه قال له بأنه سيسلمه إياه بعد انتهاء العمل فوافق هشام وانطلقوا جميعًا، ولم يلحظ هشام ورفاقه المئة والعشرين جنديًا الذين كانوا يتبعونهم وقال هشام لطارق في طريقهم:

- " هل استمتعت جيدًا مع فتاتك بالأمس أيها السيد؟ "

= " يجدر بك ألا تحدثني عن ذلك يا هذا... فلا أحد يحب المتاعب أليس كذلك؟! " رد طارق وقد بدا متضايقًا.

- " لا تقل هذا أيها السيد أنا لا أريد أي متاعب.... الأمر هو أن الفتيات

اللاتي يتم خداعهن بأمثالكم يسهل علينا أن نتمكن منهن بعد ذلك ونستمتع نحن كذلك... كل ما أريده هو أن تخبرني أين أجدها فمن الصعب أن تجد فتاة بجمالها "

فابتسم طارق له وقال : - " هكذا الأمر إذًا... حسنًا.. ما رأيك أن أعرض عليك شيئًا أفضل... شيئًا تستحقه "

= " أوووه.. أهناك ما هو أفضل من ذلك؟!! أتمنى أن تكرمني في ذلك إذن "

- " لا تقلق يا رجل... سأحرص على إكرامك وسأزيدك أكثر إن طلبت "

= " هذا جيد أيها السيد أتطلع لذلك " وقد بادله الابتسام وابتعد عنه قليلا بعد ذلك.

بعد يوم منذ رحيلهم وصلوا جميعًا إلى وجهتهم... كان ذلك الطريق الآخر الذي يصل الشمال بالجنوب عبارة عن شق كبير في جبال آزال يمتد بتعرج نحو الجهة الأخرى، ولكنه كان ضيقًا للغايةً لتمر به عرباتهم.. فسأل طارق هشام كيف سيمرون؟ فأجابه هشام بأنه أحضر رفاقه لهذا السبب... هم سيقومون بتفكيك العربات ونقلها للجهة الأخرى وتركيبها هناك... أما طارق ومن معه فعليهم أن يخرجوا حمولتهم ويحملوها بأنفسهم.

اطمأن طارق لما سيقوم به بعد كلام هشام ذاك وأخبر مجد أن ما عليه فعله هو أن ينطلق لـ(تانيا) الدولة المجاورة لجاجاران بعد عبورهم الشق كذلك أخبره بتفاصيل مهمته هناك... انتظروا جميعًا هشام ورفاقه حتى أنهوا تفكيك العربات وبعد ذلك قام طارق بإشارته التي اتفق عليها مع جنوده

المئة والعشرين ليحضروا إليه وأمرهم بضرب هشام ومن معه، وقد طلب منهم طارق أن يكثروا ويزيدوا على هشام في الضرب ثم قال لهشام ممسكًا شعره: " أرأيت؟ لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا وأتيتك بما وعدتك به... لقد أعطيتك ما تستحق... وقد أكرمتك كما طلبت.. أتريدني أن أزيد عليك أكثر؟ " فهز هشام رأسه رافضًا وترجى طارق بأن يتركه وشأنه ولكن طارق لم يستمع له وطلب من ماهر أن يحضر أحد الأشياء التي طلبها منه:

- " أتعلم ما هذا يا هشام؟.... هذا سم يطلق عليه الناس اسم (المعذب) عندما تتناوله يتبقى لك ثلاثة أيام فقط.. يؤلمك جسدك في اليوم الأول ويزداد الألم عليك في اليوم التالي في أطرافك وعينيك ويصعب عليك التنفس ثم يزداد ألمك بشدة حتى يقتلك في اليوم الثالث.. أما إذا أخذت جرعتين منه فسيبقى لك يوم واحد... بالطبع يوجد له ترياق يشفيك منه تمامًا لكنه ترياق من الصعب تحضيره والحصول عليه ويوجد أيضًا عقار خاص بذلك السم لن تجده في غيره... يطلقون على هذا العقار اسم (الخادع) فهو لا يعالجك منه ولكنه يزيد من عدد أيامك المتبقية يوما واحدًا.... أنت وأحد التعساء من رفاقك سأعطيكم من ذلك السم وسأبقي على حياتكم بذلك العقار حتى أرى في النهاية إن كنتم تستحقون الموت أو النجاة.... والآن أريد منك أن تشير لي على الوغد الأكثر قذارة بينكم والذي سيتجرع السم معك "

فأسرع هشام قائلا: = " إنه عتيب يا سيدي... كثيرًا ما كان يسرق ويخطف الفتيات ويغتصبهن وقتل الكثيرين قبلك كما أنه كان ينوي قتلك وسرقتك يا سيدي خذه هو.. وأرجوك اعفُ عني أرجوك يا سيدي طارق فأنا وغدٌ لا قيمة لي ولن أفيدك بشيء أرجوك "

- " أعطِ هشام وذلك الوغد جرعة من السم يا ماهر... هيا أسرع " رد طارق ثم اقترب من هشام وهمس في أذنه قائلا: - " أترى صديقك ذاك الذي وشيت به... سأقتله ... ليس الآن ولكن عما قريب... أما باقي أصدقائك سيكون مصيرهم السجن... أنت الوحيد الذي سينجو سأبقي على حياتك... لو كنت مكان أحد من رفاقك لحسدتك على ما أنت عليه... لهذا أنا لا أريد شيئًا سوى الطاعة "

أمر طارق خمسين من جنوده بألا يعبروا معه ويظلوا في هذه الجهة ويخيموا في مكان بعيد عن الأنظار ويكون قريبًا من الشق وقد ترك لهم ما يحتاجون من عربات المؤن الثلاث... وأمرهم أيضًا أن يقوموا بالاستطلاع عما حولهم كل يوم وأعطاهم تعليمات أخرى بما يجب عليهم أن يفعلوه في القريب العاجل ثم انطلق هو ومن معه.

طلب طارق من ماهر إخراج المواد الجافة القابلة للاشتعال التي أحضرها من العربة وأمر بنشرها على الطريق وتغطيتها بالقش في ذلك الممر الجبلي، وكان الطريق طويلًا للغاية وأخذوا وقتًا كبيرًا فيه حتى وصلوا للجانب الآخر في آخر الليل... اختار طارق خمسين جنديًا آخرين وأصدر إليهم تعليمات مثل التي أصدرها سابقًا... وبعد أن انتهى هشام ورفاقه من تركيب عربة طارق وعربةٍ أخرى من عربات المؤن الثلاث أمر طارق آخر عشرين جندي أن ينتظروا عودة حراسه ومعهم بضعة أشخاص سيعلمون من هم حتى يحين الوقت ثم يعودوا إلى لارن ويأخذوا معهم أيضًا رفاق هشام الأربعة ويلقوهم في السجن... بعد ذلك مضى طارق ومعه ماهر وحراسه وكذلك هشام وعتيب.

كان هشام وعتيب يشعران بالخوف الشديد بعد الذي حصل لهما ولم يفكرا قط في الهرب بل لم يجرءا على ذلك وفي الليل سأل ماهر طارق أثناء حديثهما قائلا:

- " لماذا فعلت ذلك مع هؤلاء اليوم؟! وما الذي سنحتاجه من هذين الاثنين؟!... ولما كذبت عليهما بشأن اسم ذلك السم؟!!.. لقد قلت لهما أن اسمه (المعذب) هل سيكونان حقًا مغفلان لهذه الدرجة ليصدقا هذا الاسم؟ "

= " لا تفكر كثيرًا في هذه الأمور يا ماهر سيتضح كل شيء قريبًا إن شاء الله... أما بشأن ذلك السم فهناك أربعة أنواع من السموم لها تقريبًا نفس التأثير مع اختلاف بسيط في الأعراض ولكن ألسم الذي أعطيتهما إياه كثيرًا ما يخطئ الأطباء والمختصون في هذه الأمور بينه وبين سم آخر مما يؤدي إلى الوفاة بسبب ذلك الخطأ... فإذا أخبرتهما اسمه الحقيقي يمكنهما بذلك الهرب والحصول على الترياق الصحيح هذا لو استطاعا أن يجداه في ثلاثة أيام فقط... كم أود أن أرى وجههما وهما يخبران الطبيب بهذا الاسم إذا فعلا ذلك " رد عليه طارق.

الفصل الخامس: هل أنت متأكد حقًا مما تفعله؟!!

لم يختر طارق ماهر وحراسه ليذهبوا معه إلى جاجاران عبثًا فكانوا جميعًا يتقنون الحديث بلغة أهل جاجاران وكأنهم ترعرعوا فيها كما كان طارق يتقنها أيضًا فكان ما هم مقدمون على فعله يتطلب إجادةً تامةً للغتهم ... أخذوا في رحلتهم بضعة أيام حتى وصلوا إلى جاجاران وعندما وصل طارق هناك جعل الحراس وماهر يغيرون أسماءهم حتى لا يشك أحد بهم وأمرهم ألا ينادوا أنفسهم بأسمائهم الحقيقية حتى وإن كانوا لوحدهم إلى حين أن يأذن لهم بذلك... ثم سأل طارق بعد ذلك عن القصر ومكان الأمير فأجابه جنود جاجاران أن الأمير عادةً ما يكون خارج القصر ولكن لأن لديه ضيوف اليوم فسيجده فيه الآن ودلوه على مكانه... عندما وصل طارق ومن معه طلب من الحراس الذين يقفون على البوابة الدخول ولكنهم رفضوا ذلك فاعترض طارق على ذلك ورد عليهم بصوت مرتفع غليظ:

- " ألا تعلم من أنا أيها الحثالة؟!!.. أنا أحد أكبر التجار فاحشي الثراء وذوي النفوذ في دولة (أكالن) وقد أتيت منها لبلادكم منذ قليل فليذهب أحدكم للأمير بسرعة وليقل له أني أنتظره!!! "

ذهب أحد الحراس بسرعة للأمير وحكى له ما حدث وعن طارق الذي ينتظره وكان الأمير مع ضيوفه ولم يهتم لما يقوله له الحارس عن طارق فلم يلقِ له بالا وأمر الحارس بأن يطلب من طارق الرحيل ولكن الحارس أخبره أنه َأتى إليه من (أكالن) ليراه... وفور أن سمع الأمير الحارس وهو ينطق

اسم (أكالن) تعجب واستغرب بشدةٍ لهذا وأمر الحارس بأن يحضر طارق ليراه في الحال... فكما فكر طارق لما سيرغب أميرٌ برؤية أحد التجار؟.. أليس عندهم الكثير منهم في بلادهم فلما سيرغب برؤيته هو بالذات؟.. فلذلك تعمد طارق ذكر اسم أكالن والتي تقع جنوب روسال ليجعل الأمير يتساءل عن كيفية عبوره لروسال في أثناء الحروب التي استمرت بين جاجاران وأوقفت العلاقات بين الشمال والجنوب لعدة أشهر فيثير رغبته في رؤيته.

بعدما سمع الحارس أمر الأمير أسرع إلى طارق وأخذ يتملقه ويتودد إليه ويحثه على الدخول فدخل طارق بعربته وخرج الأمير وضيوفه من المكان الذي كانوا فيه ليقتربوا من البوابة ويروا ذلك التاجر من أكالن، وقد أعجبوا بعربته وجمالها عندما رأوها وتأكدوا أنه لم يكذب عند ذكره أنه غني للغاية وعندما لمح طارق الأمير خرج طارق ومعه ماهر من العربة وقال:

- " لم أتوقع أن يأتي إلي أمير جاجاران بنفسه لاستقبالي... هذا كرم كبير منك يا سمو الأمير أن تجعلني أنال هذا الشرف "

= " لا تقل هذا أيها السيد إني فقط سعيد بلقائك هل لك أن تشرفني أنا الآخر بمعرفة اسمك أيها السيد "

- " بالطبع يا سمو الأمير أنا أدعى (ألاكاس) وهذا هو تابعي (ساراز) أتمنى كل الود منك يا مولاي " رد طارق وقد تغير اسمه الآن إلى (ألاكاس) وماهر إلى (ساراز)

= " أريد منك أن تخبرني سبب مجيئك إليَّ يا سيد ألاكاس "

- " في الوقع يا سمو الأمير كان معي بضاعتي التي أريد بيعها في دول

الشمال وقد كنت أمر على روسال كثيرًا في رحلاتي... كنت أكره معاملة رجال المملكة وسعدت عندما علمت باستيلاء جاجاران على روسال فأنا أصولي ترجع إلى جاجاران ولكني مقيم في أكالن... وقد جئت إليك ببعض الهدايا فأنا أريد العلاقة الطيبة بيني وبينكم وأن أنقل كل معاملاتي من المملكة إلى جاجاران " قال ألاكاس ذلك وأشار لساراز بأن يُحضر الهدايا التي بالعربة فأخرج منها بعضًا من الملابس الباهظة الثمن والتحف الجميلة وقدمها لسمو الأمير وقد أثارت إعجاب الأمير للغاية وقد أعجب بها ضيوفه أيضًا، ثم وجه ألاكاس نظره نحو ضيوف الأمير وأكمل قائلًا:

- " لم أتوقع وجودكم أيها السادة ولكني لن أستثنيكم من بعض الهدايا وإلا فإني سأشعر بالخجل منكم وأخاف أن أكون قد قللت من شأنكم إن لم أفعل " وأمر حراسه بإحضار هدايا أخرى من التحف والأواني الرائعة من الفضة وكذلك بعض الأشياء الغريبة التي لم يرها هؤلاء النبلاء من قبل.

= " هذا مذهلٌ يا سيد ألاكاس لقد أثرت إعجابي حقًا ولكن كنت أتساءل كيف استطعت عبور روسال وصولًا إلى هنا؟!! "

- " إن تلك قصة طويلة وهي أحد الأسباب الرئيسية لمجيئي عندك يا سمو الأمير... لكني أتمني أن أخبرك إياها وحدنا ونحن نتمشى أيمكن ذلك؟ " رد عليه ألاكاس بذلك فهز الأمير رأسه موافقة واستأذن ضيوفه ليتمشى قليلًا مع ألاكاس وتركهم يتفقدون تلك الهدايا الرائعة التي أحضرها ألاكاس معه.

تمشى ألاكاس مع الأمير بعيدًا عن بقية النبلاء بقليل وحكى له قصة من وحي خياله عن كيفية وصوله إلى هنا ولكن الأمر الوحيد الذي صدق به هو

أمر ذلك الممر الجبلي الموجود في جبال آزال والذي لا تعلم المملكة بأمره... وقد فرح الأمير لسماعه لذلك كثيرًا ووعده ألاكاس بأن يدلهم على مكانه فور أن تستقر الأمور بروسال وينهي بعض الأمور الخاصة بتجارته هنا فسيستطيع بعد ذلك أن يتفرغ لهم في أي وقت فرد عليه الأمير قائلًا:

= " لا أعرف ماذا أقول لك يا سيد ألاكاس فأنا التقيت بك للتو ولم تتوقف عن إثارة إعجابي حقًا... لقد أتيت لتبني بعض العلاقات الطيبة وها قد بنيت لنفسك مكانًا كبيرًا عندي "

- " إني أشكرك لإطرائك يا مولاي ولكن أريد منك طلبًا... أريد فقط أن أرى الرسول الذي تبعثونه لروسال حتى أسمع منه الأخبار الطيبة لأطمأن على الوضع هناك "

= " هذا أمرٌ بسيط يا سيد ألاكاس فأنا لا أستطيع أن أرفض لك طلبًا بعد الذي قدمته... ولكن الرسول لم يصل بعد وقد يصل غدًا أتمنى أن تشرفني بمرورك عليّ غدًا لتلقاه "

ثم أكمل الأمير وألاكاس حديثهما وهما يقتربان نحو بقية النبلاء ثم قرر الأمير أن يعرف ألاكاس على أحد ضيوفه الذي ترجع أصوله إلى أكالن ليتحدث معه بلغته فينسى الغربة قليلًا... قد توتر ساراز كثيرًا عندما سمع ذلك فهو يعلم أن ألاكاس يكذب وأن كل ما قاله من وحي خياله فخشي أن يكشف أمره... يبدو أنّ الحظ لن يحالفهم وسيكشف أمرهم... لقد ساورته بعض الشكوك حيال ما يفعلوه وها قد بدأ الأمر يسوء... لكن ساراز تعجب واستغرب للغاية وزال توتره عندما رأى ألاكاس يحدث ذلك الضيف من أكالن بلغته بكل أريحية وأخذ يمزح معه ويضحكان كثيرًا

فسادت راحةً كبيرةٌ في قلبه لأن الأمر مر على خير، ولا عجب في ذلك فهو كان بحارًا سابقًا وأتقن العديد من اللغات ولم يكن ألاكاس غبيًا ليختار اسم دولة لا يعرف لغتها، بعد ذلك قرر ألاكاس وأتباعه المغادرة وودعهم الأمير وضيوفه وبعد أن ابتعد وعندما غاب عنهم أخذ ذلك الأمير وضيوفه يتحدثون عن ذلك الرجل ألاكاس.. عن لباقته وذوقه وإعجابهم به لكونه مثقف وكذلك تحدثوا عن ثرائه والأشياء الباهظة التي قدمها لهم كما لم يتركوا شحوب وجهه ذاك وشأنه فقد اعتقدوا أنه مريض للغاية أول ما رأوه.

استأجر ألاكاس بضعة غرف في أحد الفنادق القريبة من القصر نوعًا ما ليبيت فيها هو ورفاقه وفي الليل أعاد لهم شرح ما طلبه منهم في طريقهم لجاجاران حتى يطمئن منهم، وفي اليوم التالي ذهب ألاكاس وساراز إلى الأمير مجددًا.. لكن رسول قائد جنود جاجاران بروسال لم يأتِ بعد فأخبرهم الأمير ان الرسول قد تأخر لظرف ما وسيصل بعد قليل وطلب منهم أن يجلسوا معه حتى يأتي فجلس ألاكاس بجانب الأمير وأخذ يحدثه واستمتع الأمير بحديث ألاكاس معه كثيرًا، وقد طلب الأمير منه أن يمر في عليه في أوقات فراغه ليجالسه فوافق ألاكاس على ذلك.. استمر حديثهما حتى وصل الرسول فاستأذن ليدخل وعندما دخل عرف عن نفسه وذكر اسمه وسأله ألاكاس عن منزله وأحواله فأجابه الرسول على سؤاله.

وكان ساراز واقفًا بالخارج أمام غرفة الأمير وعندما سمع جواب الرسول أشار له ألاكاس ففهم مقصده ثم ذهب بعد ذلك ليقوم بمهمته.. ثم قام الرسول بسؤال الأمير إذا كان لا يمانع بأن يقول أخبار روسال أمام ذلك الرجل ألاكاس وأخبره الأمير بأن يقول ما عنده ولا يعبأ لذلك،

فأخبره أن أكبر قائد للمملكة القائد سامر بن مراد الجارح قد طلب من قائد قوات جاجاران القائد (جالانوس كيروس) أن يسلمه الرهائن الموجودين بروسال ويتوقف عن الحرب وعندها سيعلن عن هزيمته وأن روسال لم تعد تابعة للمملكة.. واستغرب القائد لهذا العرض المفاجئ بعد إصرارهم على الرفض في البداية وقد كان القائد جالانوس ينوي الاستمرار حتى يحتل لارن وبعض المناطق المجاورة لروسال في الجنوب ولكنه لم يرد أن يتخذ قرارًا في أمر كبير مثل هذا دون أخذ مشورة الأمير وسيده الحاكم.

كان ألاكاس فَرِحًا لهذه الأخبار فَرَحًا شديدًا وأظهر إعجابه بمدى قوة جاجاران وحنكة الأَمير بعد أن أصدر تعليماته للرسول بأن يبقي على الرهائن ليضغط على المملكة ويستمر القائد في مسيره لاحتلال لارن، وبعد أن يتمكنوا من قدر لا بأس به من المناطق جنوب روسال على القائد جالانوس أن يطلب فدية كبيرة مقابل الرهائن.. بعد ذلك عبر التاجر ألاكاس عن مدى اطمئنانه وتطلعه لمستقبل زاهرٍ بينه وبين جاجاران.

خرج ألاكاس بعدما غادر الرسول بقليل ومشى بعيدًا عن القصر حتى اختفى عن ناظره ثم استأجر عربة بعد ذلكً لتوصله إلى حدود جاجاران الجنوبية.. بعد أن خرج من جاجاران وابتعد عنها لمح ذلك الدخان المتصاعد من بعيد فذهب إليه، وعندما وصل وجد هناك ساراز واثنين من حراسه ثم قال لساراز:

- " أين هو؟ "

= " ستجده مقيدًا بداخل العربة "

- " أحسنت عملًا يا ماهر بل أعني ساراز لم تخيب ظني بك "

دخل طارق العربة ثم قال : - " مرحبًا يا رسول جاجاران (تيراس) لا أعرف ماذا أقول لك يا رجل فلم يمضِ على فراقنا إلا القليل وقد افتقدتك كثيرًا "

تعجب الرسول تيراس وانعقد لسانه حالما ذلك الرجل ألاكاس الذي كان يجلس بجوار الأمير ولم يصدق عينيه أبدًا.. هو لم يلحظ وجه ساراز عندما مر به لكن وجه ذلك الرجل ألاكاس فهو يعرفه جيدًا وتذكر كيف كان الأمير يحدثه بعفويةٍ وهما يتمازحان.. حينها صرخ رسول جاجاران في وجه ألاكاس وهو يملؤه الغضب قائلًا:

= " لقد اتضح إذا أنك مجرد حثالة محتال.. من أنت أيها الوغد الحقير؟!! وما الذي تريده مني؟!!! "

- " إهدأ أيها الرجل وصن لسانك فأنت لست بموضع يسمح لك بأن تتطاول بكلامك.. فحريٌّ بك أن تعتذر الآن وإلا قطعت لَسانك " رد عليه ألاكاس بعينين صارمتين وبصوت غليظ محذرًا إياه فارتعد ذلك الرجل وقَلِقَ للغاية وبدأ يخشى مما قد يفعله هؤلاء الرجال به.

= " أنا أسف أيها السيد المحترم أرجوك فقط أخبرني بما أخدمك فيه؟ " رد تيراس وقد بدا متوترًا

- " حسنًا فلنبدأ الحديث الجاد الآن.. إن الحقيقة التي لا تعلمها عنا هو أنني لست تاجرًا وهؤلاء بالخارج ليسوا أتباعي بل جنود من المملكة أما أنا.. أنا المحرك الخفي لقوات المملكة والذي سيتلاعب بمجرى هذه المعركة وليس القائد سامر كما تظنون يا أهل جاجاران " رد عليه ألاكاس.. وحالما سمع تيراس هذا الكلام عجز عن النطق من صدمته وفزعه فقد أدرك حجم

المصيبة الفظيعة التي وقع بها وأن هذه ربما تكون نهايته.

= " ولكنٍ ما الذي ستستفيده مني أنا الرسول الحثالة الوضيع يا سيدي؟.. أرجوك اعفُ عني ودعني أذهب.. أرجوك " رد عليه تيراس وهو يحاول الاقتراب من ألاكاس لكي يتوسل إليه ولكن ألاكاس قد ابتعد عنه.

- " لأصدق معك أنا لا أهتم بأي شيء فقد سمعت الكثير من هذا الهراء الفارغ عن الرغبة بالحياة والتوسل للنجاة.. كل ما أعرفه الآن أن هناك شيء أريده ولا أرى غيره.. أنت أيها الوضيع كما وصفت نفسك مجرد قطعة لأحقق ما أريد لذلك سأحسن استغلالك حتى وإن تطلب الامر موتك.. وإن فكرت بالهرب فأنا أعدك بأنك ستمحو تلك الفكرة عن رأسك عما قريب "

ثم ذهب ألاكاس وترك ذلك الرجل يصرخ بما يقوله ولا يرد عليه وتوجه نحو ساراز وطلب منه أن يجلس معه ثم أخذ يحدثه فقال:

- " متى سيصل هؤلاء الرجال يا ساراز؟ ولما استغرقوا كل هذا الوقت؟"

= " لا أعلم يا ألاكاس أنا مثلك تمامًا أخشى أن يكون قد أصابهم مكروهٌ أثناء مهمتهم " رد ساراز

- " أتمنى ألا يحدث ذلك يا صديقي فهذا الأمر يثير قلقي "

= " أريد منك يا ألاكاس أن تخبرني بمضمون الرسالة التي أوصلها ذلك الرجل للأمير والحديث الذي دار بينكم بعد أن ذهبت "

حكى ألاكاس لساراز الحديث الذي دار بين الأمير والرسول تيراس وعندما سمع ساراز تلك الأخبار انقبض صدره وأحس بالضيق والقلق

الشديد لما سمع وكان جزعًا للغاية لما ستؤول إليه الأحداث ثم قال:

= " وكيف ستتصرف إذا في هذه الكارثة التي حلت فوق رؤوسنا المصيبة التي يبدو أننا لن نستطيع التخلص منها؟... أخبرني لما أنت هادئ هكذا؟!! "

- " ماذا تقول يا هذا بل أنا متعجب من قلقك هذا لقد حمدت الله أن الأمير قد قرر ذلك بنفسه وإلا لكنت حاولت إقناعه ليقوم بهذا " رد ألاكاس ووجه إليه ساراز نظرة شكٍ وتعجب فهو لم يتوقع أن يصدر منه هذا الكلام.

= " ما الذي تقوله يا ألاكاس؟!!.. ما الذي تعنيه بهذا الكلام؟!.. أأنت معنا أم ضدنا يا هذا؟!!.. أنا لم أعد أفهم ما تحاول فعله وبدأت أشك بك "

- " قلت لك كثيرًا من قبل قريبًا سوف تتضح الأمور وكل ما عليك هو أن تصبر... لا ألومك على شكك فأنت لا تعلم بأمر ذلك الصندوق ولا أريد الحديث في ذلك الامر... أريدك فقط أن تهدأ واسأل نفسك لما كلفتني الأميرة بهذه المهمة وكانت واثقةً للغاية بأني لن أخونها؟!... الإجابة هي أنها تستطيع أن تقتلني في أي وقت تريد وهي في مكانها في لارن ولا تسألني كيف فأنا نفسي لا أعلم... كل ما أريده منك الآن أن تثق بي وتصدقني "

= " لا أعلم بما أرد عليك يا صديقي... أنا محتارٌ للغاية... لكن أظن أن ليس لدي خيار آخر سوى أن أتبعك حتى النهاية "

- " أشكرك يا ساراز... والآن أريد منك أن تقوم بعمل آخر من أجلي فهل لك أن تقوم به؟ "

طلب ألاكاس من ساراز أن يعطي تيراس ذاك جرعة من السم ويشرح له كيفية عمله وما مصيره في النهاية، فذهب ساراز ليقوم بما طلب منه وفي

أثناء ذلك وصل بقية الحراس ومعهم ما أمرهم ألاكاس بإحضاره فاطمأن ألاكاس لذلك وأصبح بمقدوره أخيرًا الانتقال للخطوة القادمة.

أحضر بقية الحراس عائلة ذلك الرجل تيراس وعندما رآهم ألاكاس أمر بإحضار تيراس ليراهم فصُعق تيراس عند رؤيتهم وأصابه الفزع وأخذ يتوسل ألاكاس ويرجوه ويتذلل إليه بأن يتركهم وشأنهم وأنه سيفعل له ما يريد مهما كان... أما زوجته فكانت تبكي وكان أطفاله يصرخون ويتوسلون إليه أن يترك أباهم ولكن ألاكاس لم يستمع لهم، وأمر بعضًا من هؤلاء الحراس الذين أتوا بهم أن ينقلوهم إلى المعسكر الذي بالقرب من الممر الجبلي والذي أمر فيه آخر عشرين جندي أن ينتظروا عوتهم ويعودوا جميعًا إلى لارن مع رفاق هشام وعتيب كما أوصاهم بأن يعتنوا بأهل تيراس جيدًا.

بعد ذلك أمر ألاكاس بإحضار هشام وعتيب وجعلهم يجثون على ركبتيهم بجانب تيراس ثم وجه ألاكاس نظره إليهم وقال لهم:

- " لا تقلق يا تيراس أريدك أن تطمئن على أهلك فهم في أيد أمينة ولن يصيبهم مكروه بل يجب أن تصب قلقك ذاك على نفسك فأنت الآن ستذوق الرعب بطعم أفظع مما تتصور سأجعلك تشهد كيف ستموت إن حاولت خيانتي... ألم أقل لك يا هشام أن رفيقك عتيب سيموت عما قريب؟!! سأجعلك تشهد نهايته وترى ذلك الرعب أنت كذلك... أما أنت يا عتيب فأنت ستموت وقد قررت ذلك منذ البداية فخذ هذا المصحف وحاول أن تتوب عن ذنوبك في ساعاتك الأخيرة فهناك غيرك الذي تمنى فقط دقائق... أما بالنسبة لكم جميعا يا من تبعتموني فأستطيع القول الآن أن الجزء الخطير من رحلتنا قد بدأ الآن فحاولوا تمالك أنفسكم فكما قلت من قبل لا أريد أن

يتبعني أحد منكم سوى الرجال "

بعد أن انتهى ألاكاس من كلامه أمر من بقيَ معه من حراسه بأن يقيدوا تيراس وهشام تقييدًا محكمًا أما عتيب فطلب منهم أن يجعلوا قيد يديه يمكنه من حمل المصحف ليستطيع قراءة القرآن ثم أمرهم بأن يضعوهم في العربة ويعطوا عتيب جرعةً إضافيةً من السم ثم تركهم.

لن تصدق مقدار الرعب الذي بدا على وجه عتيب حينما سمع هذا الكلام عن موته... لم تتوقف ركبتيه عن الارتجاف وكلما اقترب منه الحراس أخذ يبكي ويزيد في البكاء ويصرخ بأعلى صوته يتوسل الرحمة وأخذ يقاومهم رافضًا تجرع ذلك السم لا يريد أخذ الجرعة الثانية التي ستنهي حياته في يوم واحد لكنه لم يقوى عليهم وشرب منه رغمًا عنه... ثم أخذوه وقذفوه في العربة ووضعوا بعده تيراس وهشام ثم ناوله ساراز ذلك المصحف الذي تحدث عنه ألاكاس فالتقطه عتيب بسرعة وأخذ يقرأ فيه بلهفة وحرقة شديدة ولم تتوقف عينيه عن البكاء وظل يقرأ مع دموعه التي جعلت رؤيته غير واضحة يتمنى ألا ينال نهايةً آثمة...

بعد بضع ساعات شعر عتيب بألم شديد في كامل جسده وأخذ يصرخ من شدة الألم ويزيد عليه ألمه مع كل لحظة تمر ولكنه تحامل على نفسه وأكمل قراءة القرآن وأخذ يكثر بالدعاء لكن ذلك السم لم يدعه وشأنه.. فبعد بضع ساعات زاد ألمه للغاية في أطرافه واحمرت عيناه بشدة وضاق عليه صدره للغاية.. كان بالكاد يستطيع أن يتنفس.. خفت صوته قليلًا.. وألقى نفسه على الأرض.. لم يعد يستطيع القراءة بعدما أصبح بصره ضبابيًا للغاية فلم يتمكن لسانه من شيء غير أن يدعو الله ويكثر من الدعاء...

كان هشام وتيراس ينظران إليه في رعب شديد ولم يستطيعا قول شيء من هول ما يريانه ثم مرت بضع ساعات أخرى وفجأة شعر عتيب بألم شديد في صدره وكأنه يتمزق من الداخل فأطلق صرخةً قويةً وكان صوته مخيفًا للغاية وكأن حشرجة الموت تخرج من حلقه وبدأ يخرج من فمه كثير من الدماء وأصبح وجهه شاحبًا للغاية وازدادت حمرة عينيه ولم يعد بمقدوره التنفس ومازال الدم يخرج من فمه.. كان بالكاد يستطيع إمساك المصحف خشيةَ أن يسقط من يديه على الأرض وعندما رأى هشام وتيراس هذا المنظر أمامهما أصابهما الرعب والهلع وأخذا يصرخان من شدة الفزع خاصةً أن هذا هو مصيرهما أيضًا نظرًا لما يحكم به ذلك الرجل ألاكاس...

أشفق الحراس وساراز على ذلك الرجل وكان ألاكاس جالسًا وحده في عربته وكان يضع رأسه على يديه وهو ينظر للأرض وقلبه يتقطع من شدة الندم وشعوره بالذنب حيال ذلك الرجل وهو يسمع صراخه لكن طريق الدماء لا يعرف الندم، فهذا ما حاول ألاكاس إقناع نفسه به.. إما أن تستمر في الندم والحزن والخيبة.. أو تتقدم بلا مبالاة لما يحدث معك... انتهى الأمر أخيرًا وفارق ذلك الرجل الحياة غارقًا في بركة من الدماء التي خرجت من فمه ولم يصدق تيراس وهشام أن الأمر انتهى وكان كلاهما فاتحًا فاه وعيناهما متسعتان بشدة وقد تجمدا في مكانهما من فظاعة ما رأياه.

بعد أن فارق عتيب الحياة وعم الهدوء المكان حاول ألاكاس أن يجمع شتات نفسه ويخرج من عربته.. لكنه لم يستطع في البداية فأجبر نفسه على الخروج، وأمر حراسه أن يحملوا جثة عتيب خارج العربة ويحفروا له حفرةً ليدفنوه ويصلوا عليه الجنازة، ثم ذهب لرؤيته في العربة قبل أن يخرجوه

وعندما رأى هشام ألاكاس فصرخ في وجهه قائلا:

- " أيها الوحش ألا تملك في قلبك ذرة من الرحمة؟!! ألم تسمع صراخه؟!!! ما بالك أيها المجنون فقط دعنا وشأننا دعنا نذ.. "

فنظر إليه ألاكاس نظرةً مخيفةً جعلت لسانه ينعقد ويتوقف عن الكلام وارتجفت قدماه هو وتيراس ثم قال ألاكاس:

= " بلى أنا كذلك أنا كما قلت تمامًا.. ونعم قد سمعت صراخه ولكني لا أهتم لذلك أنا مهتم لما تريده أنت.. أتريد ان تكون مثله أم ماذا؟!!! " قال ألاكاس بنظرات مرعبة توحي بأنه بالفعل سيقوم بذلك..

لم يرد عليه هشامٍ.. تجمد وصمت من شدة خوفه مما أثار غضب ألاكاس فصاح في وجهه قائلا:

- " لما لا ترد علي أيها الوغد؟!!!.. فقط أجب بنعم أو لا!!! "

= " لا لا أرجوك أنا آسف أنا طوع امرك وتحت خدمتك في كل ما تأمر أرجوك سامحني " رد عليه هشام وهو يرتعد من الخوف وكذلك كان تيراس الذي عجز لسانه عن الكلام وتسمر في مكانه والذي ازداد فزعه للغاية عندما رأى وجه ألاكاس الشاحب وعينيه المخيفتين وهو يصيح في وجه هشام.

بعد ذلك أمر ألاكاس بقية حراسه بأخذ هشام وإرساله إلى المعسكر الذي به خمسون من جنوده بالقرب من الممر الجبلي وانتظر حتى اختفت العربة عن أنظارهم.. ثم قال لساراز وتيراس: - " استعدا وجهزا العربة.. فسوف ننطلق الآن إلى روسال!! "

ذُهل ساراز وتيراس عندما سمعا ألاكاس يقول أنهم سينطلقون إلى

روسال واعتقدا بأنه قد جنّ ولكنهما لم يتحدثا معه بخصوص ذلك لأنه كان يبدو متضايقًا ومنزعجًا للغاية، فسمعا كلامه وجهزا العربة ليذهبوا لروسال وكان تيراس هو من يقود العربة أما ساراز فكان جالسا بجوار ألاكاس في العربة وانتظر ساراز ألاكاس حتى يهدأ ثم أخذ يحدثه فقال له:

- " لقد قلت يا ألاكاس أننا سنذهب لروسال وها نحن الآن نتبعك.... ألاكاس.. هل أنت متأكد حقًا مما تفعله؟!! "

= " كلا.. أنا لست متأكدًا بالفعل من ذلك فقط أرجو الله وأدعوه أن تمر الأمور على خير "

- " ماذا تقول؟!!... أتعني أنك ترمي بنا إلى الهلاك وأنت لا تضمن نجاتنا... هل جننت يا هذا؟!!! " قام وأمسك بقميصه وصاح بوجهه وهو يقول ذلك فقد اندهش ساراز وانزعج كثيرا مما سمعه من ألاكاس

= " اهدأ يا رجل لا تكن هكذا فقط ثق بربك وستتمكن من خداعهم بروسال... لقد كنت مولعًا بالقمار فيما مضى وكثيرًا ما راهنت بحياتي ونجوت في النهاية سيكون هذا رهانًا آخر فقط ليس أكثر فلا يوجد اختلاف سوى أني لن أحصل على المال هذه المرة "

- " يا أخي أنت لا تتوقف عن إثارة حيرتي وقلقي أنت مجنون حقًا... كيف تسوق حياتنا نحن أيضًا إلى هذا الرهان يبدو أنك قد فقدت عقلك... لا أريد أن أشاركك في جنونك هذا لكن المصيبة أنني ملزم بالبقاء جوارك... قد وعدتك بأن أتبعك حتى النهاية فقط لأنني أظن أنه لا مفر لي سوى ذلك... لكني أريدك أن تجاوبني الآن لما فعلت ذلك مع هؤلاء وخاصة مع عتيب؟!! "

فأخذ ألاكاس نفسًا عميقًا ثم قال : = " حسنًا سأجاوبك على سؤالك لأريح نفسي قليلا من ذلك العبء.. في الحقيقة لقد كنت أخطط من البداية بقتل عتيب منذ أن أعطيته جرعته الأولى من السم.. أردته أن يكون درسًا لهذين الإثنين وتحذيرًا لهما لما يمكن أن أفعله بهما "

= " ولكن لماذا ألم يكن السم كافيا لذلك؟ "

- " ما نحن مقدمون على فعله لا يتحمل أي خطأ وإلا سنكون بخطر كبير.. أردت أن أحطم كل رغبة.. كل فكرة.. كل نزوة.. كل أمر أحمق قد يفعله أي منهما حتى لا يفسدا ما أريد.. على سبيل المثال أقل ما يمكن لتيراس ذاك فعله والذي كان متوقعا منه أن يلجأ لقائد جاجاران بروسال ويخبره عن ماهيتنا وينتهي أمرنا.. والآن قد قمعت أي شك فيهما بخصوص أني أخدعهما وأعبث معهما في أمر ذلك السم أردتهما أن يصدقا حقيقته برؤيتهما مصيرهما.. الأمر لا يحتمل إلا شيئين فقط إما أن نموت جميعًا أو يموت بعضنا "

اقتنع ساراز نوعا ما بما قاله له ألاكاس وأكملا حديثهما في مواضيع أخرى غير الخطط وما سيواجهانه، وانخرطا في الحديث في بعض من تلك الأمور التافهة التي لا فائدة لها وأخذا يتمازحان وأخذ كل منهما يتحدث عن ماضيه..

مرت ثلاثة أيامٍ منذ انطلاقهم حتى وصلوا لروسال..

قد احتاج ألاكاس تيراس ليكون تذكرته لدخول روسال وفي أثناء رحلتهم كان ألاكاس يملي على تيراس ما عليه فعله ويحذره من الوقوع بأي خطأ وإلا ستكون نهايته، وقد وعده تيراس بأنه لن يجرؤ أبدًا على ذلك

وعندما وصلوا لإحدى بوابات السور الشمالي لروسال تعرف أحد الحراس على تيراس ورحب به وسمح لهم بالدخول ثم طلب منهم الانتظار ليجلب القائد إليهم.

لم يستغرق القائد وقتًا طويلًا حتى وصل إليهم ورحب بهم ثم قال لتيراس:

- " لم تغب عنا طويلًا يا تيراس ما الذي جاء بك إلينا بهذه السرعة "

أشار تيراس بيده نحو ألاكاس وقال: = " لفد أتيت لأعرفك بالقائد العسكري الجديد لجاجاران والذي أثبت كفاءته في كثير من الأحداث مؤخرًا القائد (ألاكاس زاروس) وسيكون شريكك في مهمتك لاحتلال لارن وتوسيع أراضي جاجاران في الجنوب "

انزعج القائد للغاية عندما سمع من تيراس هذا الكلام، فهذا يعني أن قادة جاجاران لا يثقون به ويقللون من شأنه وكذلك يجردونه من كفاءته التي أثبتها لهم في عديد من السنين السابقة.. فلما يبعثون بقائد الآن؟!!.. مد ألاكاس يده للقائد جالانوس ليصافحه وقال:

* " مرحبًا أيها القائد جالانوس.. أنت تبدو بحال جيدة أرجو أن نتعاون معًا بشكل جيد "

- " نعم أرجو ذلك " رد عليه القائد جالانوس ولم يصافحه فقط نظر إليه بغيظ ثم أدار ظهره له ومضى في طريقه.

ظلت يد ألاكاس ممدودة ولم يتعجب مما فعله القائد جالانوس وقال: * " حسنًا.. أيًا يكن.. كما تريد "

بعد قليل جاء أحد الجنود ليقوم بإرشاد ألاكاس إلى غرفته واعتذر إليه لأنه لا يوجد إلا غرفة واحدة فارغة وسيضطر ساراز وتيراس للمكوث معه فيها وكانت تلك الغرفة كبيرة نوعًا ما فلم يمانع ألاكاس ذلك، وأرسل ألاكاس إلى القائد جالانوس جنديًا ليخبره أنه يرغب برؤيته ولكنه رفض ذلك.

حل المساء وكان القائد جالانوس مصابًا بالحيرة لما يحدث وكذلك وكاد الفضول يقتله عندما يفكر حيال ذلك الرجل الذي أرسلته إليه دولته جاجاران ولم يستطع تحمل ذلك حتى قرر أن يذهب ليرى ذلك الرجل ألاكاس، وعندما وصل إلى غرفته ودخلها وجد ألاكاس يبتسم له عند رؤيته ثم وجه نظره نحو ساراز وقال:

- " ألم أقل لك يا ساراز أنه سيأتي وأن الأمر فقط يحتاج قليلًا من الوقت؟"

= "نعم قد أتيت إليك والأن أريدك أن تخبرني بما أردت رؤيتي من أجله" رد جالانوس

- " حسنًا تفضل بالجلوس وحينها سنبدأ الحديث "

= " ها قد جلست أيمكنك البدء الآن؟ "

- " حسنًا فليبدأ الحديث إذًا... أولا سأخبرك بما قامت المملكة بفعله فيبدو أنك لست على علم بما يحدث خارج أسوار روسال.. لقد قامت المملكة بالتحالف مع دولة (أوستا) بالجنوب وقد قامت بدعمها بعدد كبير من الجنود.. إن عدد القوات التي نواجهها الآن تقارب ثلاثة آلاف وسبعمائة جندي أي أنهم يزيدون علينا الآن بنحو سبعمائة جندي.. والأسوأ من ذلك

أنهم قد قاموا بالتحالف مع دولة (تانيا) المجاورة لنا وجاجاران الآن مشغولة بالمعارك والمناوشات معها "

= " هذا غباءٌ يا هذا.. قد أصدق أمر تحالفهم مع (أوستا) ولكن كيف استطاعوا التواصل مع (تانيا) وتخطي روسال دون أن نلحظ نحن ذلك.. هيا أخبرني!! "

- " هناك أمر آخر لا تعلمه أيها القائد.. يوجد ممر جبلي قد أخفوا أمره يقع في جبال آزال الغربية فاستطاعوا المرور من خلاله والتواصل مع تانيا "

لم يصدق جالانوس كلام ألاكاس فتوجه بنظره إلى تيراس وحدثه وقد أكد تيراس على كلامه ثم قال:

= " إذا كان كل هذا صحيحًا.. فمعناه أن هؤلاء الأوغاد إذا لقد كانوا يخدعوننا عندما فاوضني قائدهم سامر بأمر انسحابهم.. لهذا قد بعثوك إذا ولكن لما لم يرسلوا قوات إضافية معك؟! "

- " لقد أخبرتك بأمر المعارك التي تدور مع تانيا منذ قليل فنحن لا نستطيع الاستغناء عن أي من القوات في الشمال وعلينا الصمود حتى يتمكن حاكم جاجاران من التفاوض مع دولة تانيا "

= " لقد تأزم الوضع للغاية إذًا.. لم أتوقع أبدًا أن تصل الأمور إلى هذا الحد " رد عليه جالانوس وهو ينظر إلى الأرض وقد بدت عليه علامات القلق والحيرة.

- " ولكن كل هذا ليس السبب الرئيسي لإرسالي إلى هنا "

= " بالطبع أنا أعلم هذا فكل هذا لا يستدعي وجود قائدين في مكان

واحد.. إذا ما هو الأهم من ذلك والذي أرسلوك من أجله؟ " رد جالانوس وقد بدا متحرقًا لسماع كلام ألاكاس

- " لا يمكنني التحدث معك الآن بخصوص ذلك الأمر فما زال ذلك السبب تحت بعض الشك وسأخبرك به عندما نكون لوحدنا فلا أريد لأحدٍ أن يسمعنا ونحن نتحدث "

= " حسنًا كما تريد فأنا أظن أن ما سمعته منك يكفيني للآن وزيادة فلا أريد مزيدًا من المفاجآت "

- " هذا جيد أريدك الأن أن تتفق معي بتحضير كتيبة من ثلاثمائة جندي وإرسالها بعد غد إلى الممر الجبلي ليتم تفقده وساراز الذي معي يعرف مكانه وسيدلهم عليه.. كذلك أريد أن يتم إعلان هذا الأمر بين جميع الجنود هنا "

= " أوافقك على ذلك حسنا غدًا سيتم ذلك "

- " أتمنى الآن أن تصافح يدي ولا تتركها ممدودة كالمرة السابقة يا رفيقي "

= " حسنًا لك ذلك أيها القائد ألاكاس " رد جالانوس ثم صافحا بعضهما ومضى القائد جالانوس في طريقه.

بدأ الأمر الآن ولكن السؤال هو هل كان ألاكاس يكذب فيما قال؟ في الواقع كلا إن ما قاله قد حصل بالفعل ولكن الأمر الوحيد الذي لم يحدث هو دعم دولة (أوستا) للمملكة بالجنود فقد كذب بشأن عدد قوات المملكة.. كان ما حدث جزءًا مما خطط له ألاكاس فبعدما فارقهم مجد عندما خرجوا من الممر الجبلي ذهب إلى دولة (تانيا) ليقيم تحالفًا معهم ويعرض عليهم امتيازاتٍ مغريةٍ للغاية بالنسبة لروسال وهذه الامتيازات ستكون

مخصصةً لهم وحذرهم من أن جاجاران قد تتلاعب بهم وتستغلهم كذلك لن يجدوا هذه الامتيازات في جاجاران فستعاملهم كأي دولة أخرى.. قد وافقوا على المساعدة بعدما أعجبهم ما سمعوه وكانت مساعدتهم تقتضي بعمل مناوشات مع جاجاران تشغلهم عن روسال حتى لا يصدر من قادة جاجاران أي أمر مفاجئ قد يعرقل ما يفعله ألاكاس بروسال.. أما جلال فقد كانت مهمته هي أن يذهب إلى دولة (أوستا) ويقيم معهم تحالفًا شكليًا مقابل بضعة من الامتيازات كذلك وكان هذا التحالف فقط لإثارة قلق القائد جالانوس فقط ولم تزد أعداد جنود المملكة رجلًا واحدًا.. وقد سار الأمر بسلاسة حتى الآن.

تعجب ساراز مما سمعه من ألاكاس أثناء حديثه مع القائد جالانوس وبعدما خرج جالانوس من الغرفة بقليل شرح ألاكاس لساراز ما حدث ليطمئنه، وأخبر تيراس وساراز بما سيقوما بفعله تاليًا ثم طلب منهما أن يرتاحا قليلًا بينما ظلّ هو سهرانًا.

الفصل السادس : حان وقت الفوضى

مر اليوم التالي بهدوء دون مشاكل وفي ليلته قبل الفجر بقليل عندما غفى الحراس قام ألاكاس بإيقاظ تيراس ثم أمره بأن يذهب لأعلى مبنًا بروسال ويصعده ثم يقوم بإشعال ذلك المشعل الضخم الذي أعطاه إياه بعد أن يثبته بالأرض.. ثم يقف أمام المشعل ويقوم باخفاء نوره وإظهاره بالستارة التي أعطاها له ثلاث مرات ثم يترك المشعل كما هو وينتظر حتى يرى نور مشعل آخر من وسط الصحراء من بعيد، وقد رأى تيراس ذلك النور بالفعل وأخذ يختفي ويظهر مجددا ثلاث مرات كما فعل هو.. بعدما رأى ذلك تأكد تيراس بأن مهمته قد تمت فأطفأ المشعل وأخذه ثم عاد إلى الغرفة.

***

كان من أوامر ألاكاس التي كتبها في الورقة التي أخذتها الأميرة وأخبرها لبقية قواد المملكة بعد رحيله أن تقوم سريتين تتكون كل منهما من مئة جندي بالتخييم من منطقة قريبة من جنوب روسال تكون بعيدة عن أنظار جنود جاجاران ويقوم خمسةٌ منهم كل يوم في منتصف الليل بالاقتراب من سور روسال مع مشعل ضخم لينتظروا تلك الإشارة التي ستسمح لهم البدء في خطوتهم التالية.. وكان ما قام به تيراس هو تلك إشارة.. إشارة بداية الفوضى.

كذلك قد أمر ألاكاس بجمع كل الرجال في لارن والقرى المجاورة دون

الاكتراث إن كانو يتقنون القتال أم لا وكانت الأميرة محتارة من ذلك الأمر فحتى وإن كانوا يتقنون القتال فهم لا يملكون ما يكفي من العتاد والأسلحة لهم، وكذلك أمر النجارين بصنع مجسمات من الخشب تشبه النصف العلوي من الانسان ولم تكن الدقة في التفاصيل مهمة بل ما أراده هو أن يصنعوا عددًا كبيرًا جدًا، ولم تعلم الأميرة الفائدة المرجوة من ذلك ولكنها قامت به على أي حال.. وما أثار استغرابها هو أن ألاكاس قد ذكر في الورقة بأنه يريد منهم أن يكونوا في حالة استعداد في أي وقت، ولكن ما الذي سيستعدون له؟.

***

بعدما انتهت الإستعدادات في صباح اليوم التالي أمر القائد جالانوس ثلاثمائة جندي أن يذهبوا لتفقد أمر ذلك الممر الجبلي مع ساراز.. وبعد أن غادروا من البوابة اليسرى من السور الجنوبي لروسال واختفوا عن أنظار الحراس الذين كانوا يقفون على السور فإذا بوابل من طلقات المدافع ينهال على السور الجنوبي من ناحية البوابة اليمنى جزعت له جميع القوات الموجودة في روسال والذي أثار قلق كلا من القائدين ألاكاس وجالانوس.

يمكن القول على روسال بأنها تتخذ شكلا بيضاويا رأساه كانتا نهايتي سلسلتي جبال (رانار) و(آزال) من الشرق والغرب وقوساه كانا سوري روسال الشمالي والجنوبي وكان كل سور به ثلاث بوابات يمنى ويسرى ووسطى، وكان الهجوم على البوابة اليمنى في السور الجنوبي.

عندما علم جالانوس بالهجوم أمر رماة الأسهم على البوابتين اليسرى والوسطى بالتوجه نحو البوابة اليمنى، وأمر السيافين بالتجمع عند البوابة

اليمنى استعدادًا لرد الهجوم وكانت قذائف المدافع تستمر بالضرب على السور والبوابة حتى كادت تتحطم... ثم بدأت السهام تتوالى على رماة السهام الواقفين على السور من جهة أخرى غير التي تأتي منها طلقات المدافع فمات بعض منهم وبدأ تبادل قذائف المدافع والأسهم بين جنود المملكة وجاجاران ثم فتحت البوابة وانطلق جنود من جاجاران على خيولهم ليقضوا على من هم بالخارج... لكن القائد ألاكاس أمرهم بمحاولة أسر أكبر عدد منهم دون قتلهم ليتم استجوابهم واستغلالهم في الأعمال الشاقة مثل إصلاح البوابة التي كادت تتدمر.

- " هناك شيء مريب ايها القائد جالانوس.. ألا تظن ذلك؟ " قال القائد ألاكاس.

= " ما هو ذلك الشيء؟!!... ما هي إلا مجرد محاولة بائسة منهم كالعادة "

- " ولكن لما لم يوجد معهم أي جنود سيافين؟!... جميعهم كانوا رماة أسهم ألا ترى أن ذلك غريب بعض الشيء؟ "

= " معك حق أظن أن ذلك أمر غريب... وأيضًا لقد كان عددهم ضئيلًا للغاية "

بعد ذلك سمع القائدان صرخات رماة السهام فوق السور ورأوا سيافي المملكة يقتلونهم وانتشر رماة سهام من المملكة على السور وسيطروا على المدافع وقاموا بتحويل اتجاهها لداخل الأسوار على جنود جاجاران ثم في تلك اللحظة بدأ الأمر.

فإذا بالأسهم وطلقات المدافع تتوالى على رؤوس جنود جاجاران، وذُهل

القائدان لذلك الأمر فكانت الخسائر عديدة للغاية ولم يتمكنوا من السيطرة على الوضع والانتشار على السور ليقتلوا بعضًا من جنود المملكة ويأسروا الباقي إلا بعد أن خسروا ما يقارب ثلاثمائة جندي، الأمر الذي أزعج القائد جالانوس كثيرًا... قد أتى بعد ذلك أحد جنود البوابة اليسرى المصابين يشرح للقائد ما حدث.

قد أمر القائد جالانوس بتجمع الجنود عند البوابة اليمنى فذهب كثيرٌ من حراس البوابة اليسرى إلى هناك تبعًا لأوامره ولم يبقَ إلا القليل ثم بعد فترة قصيرة تفاجئوا بوابل آخر من السهام والمدافع من ناحية البوابة اليسرى قام بقتل عدد كبير منهم وقد كان أغلب الجنود سيافين، ودُمرت البوابة بطلقات المدافع ثم اقتحموا روسال وتسللوا في الأسوار وانتشروا وقتلوا من يواجههم، حتى تمكنوا من الاستحواذ على المدافع وانتشر رماة الأسهم الذين كانوا معهم على السور وبدأوا الإطلاق فحدث ما قد حدث.

كان القائد جالانوس منزعجًا ومتضايقًا للغاية وكان يريد قتل كل من تم أسرهم من قوات المملكة... لكن القائد ألاكاس أخذ يهدئ من أعصابه نظرًا لأنهم بحاجة إليهم في الوقت الحالي، وقد وعده أنه عندما ينتهي مما يريده منهم يمكنه أن يفعل بهم ما يشاء... لكن الخبر الأسوأ على وشك الوصول، فبعد فترة قد عاد ساراز ومعه أربعة جنود فقط وكانوا هلعين فزعين للغاية مما حصل معهم أثناء رحلتهم فالثلاثمائة جندي الذين تم إرسالهم ليتفقدوا الممر قد تمت إبادتهم جميعًا!!!.

صُعق كلا القائدين فور أن سمعا ذلك فقام القائد جالانوس وأمسك ساراز من قميصه وصاح بوجهه:

– " كيف حدث هذا أيها الوغد؟!!.. كيف؟!!.. أخبرني!!!... إنها مصيبة بل كارثة.. قلت لك هيا أخبرني!!!! "

= " أقسم لك أني لا أعرف ما حدث تمامًا.. ولا تصح في وجهي فقد كنت على وشك الموت هناك وإنها لأعجوبة كوني قد نجوت " رد ساراز وأكد الجنود الناجون معه على كلامه وطلبوا من القائد الجلوس ليحكوا له ما حدث معهم فجلس القائد جالانوس مشتعلاً من الغيظ وكله حنق وهو يستمع إليهم.

***

" يا رجل.. ذلك القائد جالانوس مغفل للغاية أحمد الله على ذلك إن الأمور تسير على نحو جيدٍ حتى الآن يا إلهي كم ذلك رائع... بقي فقط أن أجعله يقوم بذلك الخطأ فلن أنتظره منه... تلك كانت خطتي منذ البداية... هذا جيد.. جيد للغاية " ذلك ما كان يفكر به ألاكاس عندما كان يستمع لما حدث من أولئك الحراس وتبادل هو ساراز ابتسامة خفيفة لم يلحظها أحدٌ من الحاضرين معهم.

كان ألاكاس قد أمر فصيلتين من خمسين جنديًا من المئة وعشرين جندي الذين قد غادروا لارن معه من البداية بإقامة معسكر على مسافة قريبة من الممر الجبلي فأصبح هنالك معسكر يقع في شمال الجبال وآخر في جنوبها... قد ترك ألاكاس لكل منهم ورقة تشرح ما يجب عليهم فعله وعندما وصل حراس ألاكاس الذين كان معهم عائلة تيراس وهشام للمعسكر الشمالي أخبروهم بأمر آخر من ألاكاس وبعثوا بواحد منهم للمعسكر الجنوبي ليخبرهم بهذا الأمر، وكان نصه كالتالي " أيها الرجال أريد منكم أن تكونوا

مستعدين على أتم الاستعداد فقد انتهى وقت الراحة وحان وقت العمل الجاد فنحن نوشك الآن على أن ندخل مرحلة الخطر... أريد أن تتناوبوا الأدوار فيما بينكم بحيث يذهب أربعة منكم على أحصنتهم كل يوم إلى الممر الجبلي ويراقبوا من يأتي من بعيد فسيأتي جنود جاجاران لتفقد الممر الجبلي وعندما يلاحظ أولئك الأربعة هؤلاء الجنود... على اثنين منهم أن يسرعوا ليخبروا المعسكر الذي في الجانب الآخر والباقيان عليهما أن يسرعا ليخبرا مخيمهما لتبدأ خطتكم... وسيكونون أربعة بالنهار يتبادلون المراقبة مع أربعة آخرين بالليل ولا أريد تخاذلًا منكم أيها الرجال أريد نجاحًا وأريد أن أشعر أنكم تستحقون ثقتي بكم... وبعد أن ينتهي الامر على خير بإذن الله أريد منكم أن تعجلوا بالرحيل في أقل وقت من مكانكم لتنضموا لقواتنا في لارن"

قد أمر ألاكاس كلا المعسكرين بالمراقبة من جهته فهو لا يعلم من أي جهة قد يذهب جنود جاجاران... قد ذهب جنود جاجاران من الجهة الجنوبية وحالما رآهم أولئك الأربعة بالجنوب قاموا بما طلب منهم فأسرع اثنين لمعسكرهم حتى يستعدوا للبدء والآخران قد عبرا الممر الجبلي ثم تفرقا فذهب أحدهم إلى المستطلعين الأربعة الذين في الناحية الأخرى ليحذرهم ويأمرهم بالعودة والثاني أسرع إلى المعسكر الآخر حتى يجهزوا هم كذلك... عندما وصلت كتيبة جنود جاجاران المكونة من ثلاثمائة جندي مع ساراز عند الممر بدأوا بدخول ذلك الممر وعلى رأسهم ساراز حتى دخل آخر واحد فيهم وانتظر جنود المعسكر الجنوبي حتى ابتعدوا قليلًا ثم قاموا بذلك.

كان ألاكاس قد أمر بنشر مواد جافة قابلة للاشتعال على طول الطريق وتغطيتها بالقش فقام أولئك الجنود بإشعالها وفي الجانب الشمالي انتظرت

فصيلة المعسكر الشمالي خروج ساراز وابتعاده عن الممر كما أمره ألاكاس وعندها اطلقوا قذيفة مدفعية في الممر أشعلت تلك الناحية من الممر أيضًا، وقد ذُهل ساراز من ذلك كثيرًا وقام جنود المملكة بإطلاق سهمين ناحية ساراز لم يصيباه لغرض تحذيره وحثه على الهرب.. كذلك قد خرج معه أربعة من جنود جاجاران فصاح بهم حتى يهربوا معه ويبلغوا القائدين فابتعدوا عن ذلك المكان بأسرع ما يمكنهم..

ثم قام كل من جنود المملكة في الجهتين باتخاذ مواقعهم وأطلقوا سهامهم ليصيبوا كل من يخرج من الممر من كلا الناحيتين واستمروا على هذا الحال حتى أبادوهم جميعًا..

قد كانت ميتة فظيعة لأولئك الجنود من جاجاران حتى اعتقد معظمهم أن ما هم فيه هو الجحيم بعينه فتعالت صرخاتهم وطلباتهم بالنجدة والرحمة ولكن جنود المملكة لم يعيروا لذلك اهتمامًا.. فالحرب لا تعرف شيئًا كالرحمة... ثم انتظر جنود المعسكر الشمالي قليلًا حتى تهدأ النيران وقاموا بإخمادها وعبروا الممر بخيولهم فوق جثث جنود جاجاران التي كان منظرها مروعًا يثير القرف والاشمئزاز.. تدهس أحصنتهم تلك الأجساد المتفحمة.. أجسادٌ تعلوها نظرات رعب لا يحتمل.. يقتلون كل من ما زالت روحه في جسده.. يرفعون رؤوسهم لا فخرًا.. بل ليتحاشوا النظر إلى تلك الجثث المحترقة واللحم المهترئ الذي يتدلدل من أفواههم ورؤوسهم، وما حُرقت منها حتى العظام وخرجت منها أمعاؤها.. كل ما أدركوه في هذه اللحظة هو أن هذا المشهد لن يستطيعوا نسيانه أبدًا طوال حياتهم.. لحقوا بجنود المعكسر الجنوبي وأسرعوا ليعودوا إلى لارن وبذلك انتهي دورهم للآن، وقد بدأ دور

هشام الذي كان يعرف كل الطرق الواصلة بين لارن والممر الجبلي وكان عليه أن يُرشد الجنود لأقصر طريق يمكن أن يسلكوه ليعجل من هروبهم في أقل وقت ممكن.

***

كان ألاكاس يعلم أن هناك عددًا من الجنود سينجون مما خطط له وتعمد تركهم على قيد الحياة ليكونوا شهودًا على ما حدث ويحكوا ما حدث للقائد جالانوس، وقد كان القائد حنقًا للغاية شديد الغيظ بعدما انتهى أولئك الجنود من رواية ما حدث وصاح بوجههم يسألهم عن عددهم فأجابوه بأنهم رأوا ما يقارب أربعين جنديًا، وأكمل صياحه لهم آمرا بأن يرسلوا كتيبتين واحدة في الشمال وأخرى في الجنوب ليبحثوا عن هؤلاء ويقضوا عليهم.

- " أولئك الأوغاد لن أجعلهم يفلتون بفعلتهم أبدا... تبًا!!!.. لقد أوقعونا في مصيبة كبيرة ما الذي سأقوله للأمير وبقية القادة بعد ما حدث؟؟!! " قال القائد جالانوس وهو يصيح بعد خروج ساراز والجنود وأخذ يضرب الطاولة ويحطم ما يجده أمامه.

= " أعلم أن الأمر صعب جدا وأننا قد وقعنا في مصيبة لم نتوقعها أبدًا ولكن يجب أن تهدأ قليلًا حتى نستطيع أن نفكر جيدًا في الأمر "

- " كيف تطلب مني الهدوء في وقت كهذا أيها الوغد؟!!... بل إن ما أتعجبه هو أنك هادئ طوال الوقت بينما من المفترض أن تكون حانقًا مثلي أنا!!... لقد كنت أشك بك منذ أن أتيت والأن شكوكي بك تزداد كثيرا!! "

= " ما الذي تقوله أيها الأحمق؟!!.. أتظن أنني هادئ؟!!.. بل في الحقيقة

أنا ميت من الغيظ هل تظن أني هادئ لأني أريد ذلك؟.. بل إني هادئ لأن ذلك هو ما يجب أن أكون عليه... أولئك الجنود كانوا مفزوعين مما رأوه وأنت قائدهم هنا فإذا رأوك وأنت مذعورٌ هكذا فما الذي تريد من البقية أن يفعلوه؟!!! "

جلس القائد جالانوس وصمت قليلًا وهو يضع يده على رأسه ثم رد بعد أن هدأ قائلًا:

- " معك حق أنا آسف لما بدر مني ولكني محتارٌ فيما سنفعله لاحقًا "

= " هناك أمر قد أخبرتك بأني سأطلعك عليه في وقتٍ لاحق عندما نكون لوحدنا أعتقد أن الآن هو الوقت المناسب "

فأخذ القائد جالانوس نفسا عميقا ثم رد : - " حسنًا.. إذًا تفضل بالحديث "

= " السبب الرئيسي لإرسالي إلى هنا هو أنه قد ساورتنا نحن قادة جاجاران شكوك بوجود جاسوس بروسال... قد يسبب ذلك بخسارة روسال بعد كل هذا العناء وقد طلب مني ألا أطلعك على ذلك حتى أتأكد من الأمر وهذا ما كان سيحدد بقائي أم رحيلي... لكن ما حدث اليوم قد أكد لي تلك الشكوك حيال ذلك.... لهذا فلنراجع ما حدث اليوم لقد قامت سريتين من جنود المملكة بالهجوم علينا ولكن عددهم هذه المرة كان قليلًا للغاية كما ذكرت أليس كذلك؟ "

- " نعم هذا صحيح لقد كان عددهم قليلا هذه المرة بالفعل... لكن كان الأمر غريبا اليوم.. في الواقع أنا لم أتوقع أمر الجاسوس ذاك... لكن

ربما وجود جاسوس هو التفسير المناسب لغرابة أحداث اليوم... بالرغم من أني حانق وأشعر بغيظ شديد في هذه اللحظة إلا أنك قد طمأنتني نوعا ما فإرسالك إلى هنا إذا ليس له علاقة بكفاءتي أو شيء من هذا القبيل... أنا الآن مقتنع بأمر إرسالك فذلك الموضوع حتماً لا يحتمل أن يتكفل به قائد واحد "

= " أجل بالفعل... فذلك الأمر لا يعلم به أحد إلا قادة جاجاران فقط ولكنهم مشغولون بالمعارك مع دولة تانيا حاليًا ولا يعلم أحد هنا بهذا الأمر إلا أنا وأنت... أما تابعي ساراز وتيراس لا يعلمان بذلك فمن باب الحذر ألا نثق بأحد بعد الآن "

- " إن الوضع يبدو خطيرًا حقًا... ولكن ما الذي جعلك تتأكد من وجود هذا الجاسوس؟ "

= " لقد أخبرتك بأمر ذلك الممر الجبلي وأننا سنرسل كتيبة لإستكشافه ونشرنا الخبر أمام الجنود في نفس اليوم حتى يسمع ذلك الخائن ما نحن مقدمون على فعله وأرى إن كان سيحدث أمر غريب في ذلك اليوم...لكني لم أتوقع حدوث كل هذا ...هجوم جنود المملكة على السور اليوم أمر عاديٌّ كما قلت ولكن قلة عددهم قد أثارت اهتمامي قليلًا لكنها لم تكن بالدليل القاطع على ذلك وما أثار شكوكي هو أن هجومهم تزامن مع خروج كتيبة الاستطلاع خاصتنا نحو الممر الجبلي أي بعد أن قلَّت أعدادنا... ثم وصل ساراز ومن معه بعد ذلك وحكوا ما حدث لهم ومن حديثهم بدا أن جنود المملكة كانوا بانتظارهم ومستعدين لاستقبال جنودنا في أي لحظة إذا لقد كانوا يعلمون بأننا سنأتي وأعدوا كل شيء... بالرغم من أننا قررنا ذلك منذ يوم فقط إذا فهناك من أطلعهم على ما سنفعله فور أن سمعه "

– " هذا صحيح بدأت الأمور تصبح منطقيةً الآن ولكن ما يقلقني كثيرًا هو ما الذي سنبعثه مع تيراس عندما يعود لجاجاران؟.. كيف سنخبر بقية القادة بما حدث اليوم؟ "

= " تيراس سيبقى هنا ولن يعود "

– " ما معنى الذي تقوله؟!.. ألا يجب أن يرجع لجاجاران؟!! "

= " نعم يجب أن يرجع ولكننا سنجعله يبقى هنا "

– " يبدو أن هناك أمرًا تفكر به يا ألاكاس هيا انطق وأخبرني به "

= " لقد كنت تنوي الزحف والاستيلاء على لارن أليس كذلك؟.. لقد منحك الأمير الإذن بذلك وأمر أن نبقي الرهائن معنا "

– " هذا جيد إذا ما علاقة هذا بما تخطط له؟ "

= " ما رأيك أن نستولي على لارن وبعض المناطق المجاورة لها أولا؟.. ألن يُسَّر الأمير لهذا الخبر ويجعل قادة جاجاران يتغاضون عن فشلنا اليوم ويبعد عنا بعض الخزي وكلام أولئك القادة البذيء؟ "

اقتنع القائد جالانوس بما سمعه كثيرا ثم رد مبتسماً: – " أستطيع أن أرى الآن لما أرسلوك أنت أيها القائد ألاكاس فلديك حنكةٌ جيدة.. لكن ما الذي سنقوله لهم عن تيراس وعدم عودته إليهم مبكرًا؟ "

= " لا تقلق حيال ذلك سيكون لدينا الوقت الكافي لنفكر في عذر نقنعهم به.. ما يهم الآن هو ما سنقدم على فعله.. أجبني أيها القائد جالانوس هل أنت معي أم لا؟ "

- " نعم أنا معك.. وسأرسل غدًا سريةً لاستطلاع المناطق حول لارن "

عادت الكتيبتين اللتين أرسلهما القائد جالانوس إلى الممر الجبلي للبحث عن أولئك الأوغاد من المملكة ليقضوا عليهم... لكنهم لم يجدوا أحدًا عند الممر فبحثوا في المناطق التي حوله لكنهم لم يجدوا أحدًا كذلك فعادوا صفر اليدين... ولم يعبأ القائد جالانوس لهذا الأمر كثيرًا فهم غدًا على وشك البدء بالزحف نحو لارن.

انطلقت تلك السرية التي تحدث عنها جالانوس في صباح الغد وقد وجدت بالقرب من قرية زانت التي ضمن حدود لارن كتيبة من جنود المملكة عددهم يقارب الأربعمائة، وكان القائدان ألاكاس وجالانوس يُعِدَّان جنود جاجاران للانطلاق نحو لارن... وفي هذه الأثناء كانت الأميرة آية أيضًا وقادة المملكة أيضًا يقومون بما طلبه ألاكاس أو بالأحرى طارق وقد بقي القليل حتى يجهز كل ما طلبه وقاموا كما طلب بتحضير عددٍ كبيرٍ من الأقواس والأسهم وأمروا الجنود بتدريب القرويين وسكان لارنَ وماً يجاورها على استعمال القوس والسهم، فكما طلب طارق " لا أريد منهم اتقانه أريدهم منهم فقط أن يتمكنوا من إطلاق السهم "، وكذلك طلب جمع عددٍ كبيرٍ من العصي استعدادًا للخطوة التالية.

***

في إحدى الليالي جلست الوصيفة (رؤى) مع أميرتها آية وقد بدت الأميرة حزينةً قليلًا في الآونة الأخيرة فقلقت عليها وصيفتها وقالت لها:

- " ما خطبك يا أميرتي؟ كثيرًا ما أشعر أنك حزينة هل هناك أمر ما؟ "

= " كلا ليس هناك شيء " ردت آية وقد بدت حزينةً ومتضايقةً نوعًا ما

- " كفاك من هذا الكلام يا أميرتي.. لقد سألتك كثيرًا من قبل وكنت دائمًا ما تردين علي بهذا الرد.. هيا أريد أسمعك حدثيني الآن بما يشغلك " ردت رؤى بنظرات توحي بقلقها عليها

= " دعيني وشأني يا رؤى لا أريد الحديث "

- " لكن يا أميرتي أنا لا أحب رؤيتك حزينةً وقلقةً هكذا.. أرجوك أخبريني بما يحزنك فأنا لن أهدأ حتى أعرف "

= " أنا لا أعلم يا رؤى.. لا أعلم حقا ما يحدث لي.. ربما أنا أبدو هكذا عندما أتذكره وأفكر به "

- " تفكرين بمن؟.. هل تفكرين بسامر؟ هل أزعجك في شيء؟ "

= " لا أنا لا أفكر بسامر.. بل بطارق "

- " لقد اشتقت إليه أليس كذلك؟ " ردت عليها الوصيفة رؤى وهي تنظر إليها بخبث.

فخجلت الأميرة مما سمعته منها وقالت صائحة: = " كلا الأمر ليس كذلك.. فقط أنا لا أعرف ما بي.. لقد مكث معنا أيامًا قليلةً وبعدها غاب عنا طويلًا ومنذ أن غادر وأنا أفكر به من حين لآخر وقد حزنت لأنه ذهب صباح ذلك اليوم دون أن يمر علي ويودعني.. حسنًا ربما قد أحببت حديثه حقًا وكيف كان يبتسم كثيرًا وهو يتكلم وكأن ابتسامته تلك لم تفارق وجهه.. لكن ذلك لا يعني أنني قد اشتقت إليه "

– " يبدو أنك تهتمين لأمره حقًا أيتها الاميرة "

= " كلا ما تقولينه غير صحيح أنا لا أهتم لأمر ذلك الخادم الوقح!! " ردت الأميرة عليها بسرعة وهي متوترة.

– " إذًا لما أنت حزينة؟!! "

= " ربما أنا أنا قلقة قليلًا "

– " قلقة بشأنه؟ "

= " لا أعلم " ردت الأميرة وأشاحت بنظرها نحو الأرض

– " لا تخدعيني وتخدعي نفسك يا أميرتي فقط صارحيني بما تشعرين " ردت رؤى وهي تمسك يد الأميرة

أخذت رؤى تضغط على الأميرة كثيرًا بالكلام.. أما الأميرة آية فكانت تتهرب منها.. لكن رؤى لم تتوقف عن الحديث والضغط عليها وحثها على الحديث وأخذت تتفنن في تخميناتها وأقاويلها.. حتى استسلمت الأميرة أخيرًا وانفجرت تتحدث عما في قلبها..

= " حسنًا يا رؤى هذا ما تريدين أن تعرفيه.. أنا بالفعل قلقةٌ عليه.. قلقةٌ للغاية.. فأنا لا أعلم بما يفكر به ذلك الأحمق ولا أعلم ما خطب أفكاره وأوامره الغريبة تلك!!.. لقد قال أنه لن يموت مهما حدث والآن أشعر أنه يلقي بنفسه للموت بكل ترحاب!!!.. حتى الآن لم يصلني أي خبر عنه وعن حاله أنا حقًا أخاف ألا يرجع!!!.. كثيرًا ما أتذكر كلامه وأتذكره عندما دافع عني قائلًا بأني زوجته مع أنه شرح لي ما في الأمر لكنني ما زلت معجبةً به.. وأحيانًا أفكر أنني قد أكون زوجته بالفعل إذا عاد.. أنا لم أظن ابدًا أني سأقلق

على هذا الأحمق هكذا!!!" ردت عليها وكان وجهها محمرًا ثم بدأت بالبكاء فاحتضنتها وصيفتها وأخذت تواسيها وتطمئنها.

كانت الأميرة تبكي وهي كانت تفكر بطارق، لم تعد تعلم لمن قلبها وشعرت بالحيرة بين طارق وسامر.. كانت خائفةً على طارق فبعد أن عرفته لم تعد تريد له الأذى كذلك كانت حزينةً للغاية لأن طارق حتى لو نجح وعاد فإنها تعلم أن سامر سيحاول أن يتخلص منه وهي لن تستطيع منعه لضعفها.. لم تعد متيقنة مما تريده بالفعل وكأن قلبها معلق بين كفتين تريد لكلتيهما أن ترجح.. هي تعلم أنها ضعيفةٌ وعاجزة وهذا يجرحها.. حزينة قلقة وربما يائسة.. ليس بمقدورها شيءٌ سوى الدعاء.

لكن كان هناك شخص آخر يستمع لحديثهما من خلف الباب.. لقد كان ذلك الشخص هو سامر الذي قد غضب بشدة مما سمعه وأخذ يلعن تلك الأميرة الحمقاء التي ستفسد ما يريده بغبائها ومشاعرها وأدرك الآن أنه لا يمكنه الاعتماد على غبيةٍ ساذجة مثلها.. كل ما فكر به أن تلك الحمقاء قد زادت الطين بلة بمشاعرها السخيفة، ألا يكفيه أنه لا يستطيع أن يتبين ما يريده ذلك الوغد طارق بأوامره الغريبة الحمقاء تلك والتي لا يعلم فائدتها!!! وذلك الوغد قد أرسل جلال إلى دولة أوستا وأمره بالبقاء هناك أما مجد فأخذه معه ولا يعلم أين هو ولم يرجع حتى الآن كما قد أرسل جنودًا لا يتبعون سامر مع كل واحد منهما حتى يضمن ذلك الوغد طارق تنفيذ ما يريد.. الأمور لا تجري أبداً في صالح سامر ولن ينفعه أحدٌ إلا نفسه بعد الآن.

***

عادت سرية الاستطلاع لروسال بعد أن وجدوا قريةً تسمى (زانت) تقع في الشمال الشرقي للارن بها ما يقارب أربعمائة جندي من المملكة وأخبروا القائد بأنها تقع على الطريق الواصل بين روسال ولارن فيمكنهم أن يبدؤوا باحتلال تلك القرية لتكون قاعدةً لهجماتهم، وموقعها سيسهل وصول الامدادات من روسال في حالة الحاجة إليه..

قد سُعد القائدان بهذه الأخبار وبعد عودة تلك السرية أحصوا الجنود ووجدوا عددهم قواتهم ألفًا وتسعمائة وعشرين جنديا فاتفق القائدان بأن يجعلوا الخمسمائة جندي الذين وصلوا مؤخرًا من جاجاران مع المؤونة يبقون بروسال ليدافعوا عنها ويكونوا ورقتهم الرابحة في حال تأزم الوضع معهم، واختاروا هؤلاء بالذات لأن احتمال تواجد الجاسوس معهم قليلٌ عن بقية الجنود لوصولهم مؤخرًا منذ مدة ليست بطويلة ثم همَّ القائدان بالانطلاق نحو زانت ومعهم ألف وأربعمائة جندي.

مر الوقت والقائدان يراجعان ما سيقومان بفعله في زانت وما سيفعلانه لاحقًا وجرت خطة ألاكاس التي تحدث بها مع جالانوس كالتالي " نحن الآن في سباق مع الزمن ورهان على حياتنا.. قد وصلت أخبارٌ بأن عدد جنود المملكة حاليًا يقارب أربعة آلاف ولكن هناك احتمال أنهم لم يصلوا إلى لارن بعد وأيضًا هناك احتمال بأنه لم يتم تجهيزهم جميعًا بالعتاد والأسلحة وسيأخذون وقتًا حتى يتم تجهيزهم جميعًا.. فإن حالفنا الحظ وكان ما أقوله صحيحًا فإن فرصتنا تكمن بشق طريقنا إلى لارن واحتلالها في أقل وقت ممكن قبل وصول الجنود وتجهيزهم.. وسنأخذ تيراس معنا لأنني أشك به قليلًا وأيضًا سنحتاجه إذا نجحنا حيث سنقوم بإرساله لروسال مع بعض

الجنود لطلب الإمدادات في لارن.. ثم سينطلق تيراس بعد أن ننجح إلى جاجاران ليخبرهم بما حدث ويطلب عددًا من الجنود للمساندة وبهذا سيتم الأمر " فاتفق القائدان على هذا وأكملا الحديث بشأن بعض التفاصيل الأخرى المتعلقة بما سيفعلونه واستمر حديثهما على هذا الحال طوال الطريق.

وصل القائدان وقواتهما إلى مكان بالقرب من قرية زانت بعد منتصف الليل وكان هذا المكان بعيدًا عن أنظار الحراس الذين يراقبون المنطقة، فأمر القائدان الجنود بالاستراحة لبضع ساعات حتى جاء وقت الفجر، وأمر القائدان الجنود البدء بالهجوم في هذا الوقت ليباغتوا قوات المملكة، فأمر جالانوس كتيبة من ثلاثمائة جندي بالهجوم وأطلعهم بما عليهم فعله..

عندما لمح حراس زانت هذه الكتيبة قاموا بإنذار القرية باقتراب الأعداء وأمروا الجنود بالاستعداد للمعركة فدارت مناوشات بين كتيبة جاجاران وقوات المملكة حتى أدرك جنود جاجاران أن الوقت قد حان فقاموا بالتراجع، فظن قوات المملكة أنهم قد يئسوا وخافوا منهم فلحقوا بهم ولم يعلموا أن هذا ما أرادوه منذ البداية.

كان دور هذه الكتيبة فقط هو استدراج جنود المملكة إلى المكان الذي اتفق به القائد جالانوس معهم وعندما وصلوا جميعًا خرج بقية جنود جاجاران من مخابئهم وقاموا بتطويق قوات المملكة وقضوا عليهم بكل سهولة.. ثم دخل جنود جاجاران القرية واحتلوها بعد أن قضوا على بقية جنود المملكة الذين بقوا بها ولم تتكبد قوات جاجاران كثيرًا من الخسائر في هذه المعركة.. وفُجع أهل قرية زانت لما حدث وساد الرعب في قلوبهم وتملكهم الخوف والقلق مما سيفعله القائدان وقواتهما بهم.. يظنون أن نهايتهم قد حلت عليهم.

ظن تيراس بعد أن شهد ما حدث أن كل هذا سيجعل ألاكاس يصاب بالقلق والخوف الشديد بعد أن خسرت قوات المملكة بهذا الشكل.. لا بد من ذلك.. فهو الآن يرى قوات أهله يقتلون بلا رحمة بينما لا يمكنه فعل شيء.. كيف سيستطيع التصرف إذا؟!!.. يجب أن يكون ألاكاس مرتعبًا وقلقًا للغاية في هذه اللحظة.. لكن تيراس تفاجأ وصدم عندما رآه هادئًا مرتاح البال بل إنه لمحه يبتسم ابتسامة مكرٍ وخبثٍ بين الجموع، فكان عكس ما توقعه تمامًا وأُصابه هو بالقلق لما يدورٍ بخلدٍ ذلك العقرب الوغد.. زاد خوفه على نفسه فهو لم يرَ ألاكاس متأثرًا بموت قوات المملكة الذين من المفترض أن يكونوا رفاقه.. فلما سيهتم ألاكاس إذًا بحياته هو؟!!.. معنى ذلك أنه حشرة لا تساوي عنده شيئًا مثل هؤلاء الذي يموتون أمام عينيه.. أدرك أنه يجب أن يتوخى الحذر منه ويجب عليه أن يحافظ على حياته طالما يستطيع.. قد وعده بأنه سيبقي على حياته إن قام بما يطلبه منه.. لكنٍ ما الذي سيضمن له أنه قد يوفي بوعده وينجو.. هو رجل ميت لا محالة إذًا.. لكنه يملك زوجته وأولاده ولا يمكنه المخاطرة بهم.. فإن كان هناك شيء سيدفعه للاستمرار مع ألاكاس فهو أنه مشفق على أهله ويرجو نجاتهم.. لن يصعب على ألاكاس التخلص منه مثل هؤلاء الذين ماتوا أمامه ومثل عتيب الذي شهد موته فليس أمامه شيء سوى التعلق ببعض الأمل الكاذب.. فقط لأجل أن يبقى أهله على قيد الحياة.

بعد أن انتهى كل هذا طلب ألاكاس رؤية تيراس عندما يحل الليل..

قرر القائدان أن يمضوا الليلة في القرية ثم ينطلقوا غدًا ويستغلوا أهل هذه القرية بنهب ما لديهم من طعام وشراب ليساعدهم هذا في طريقهم

ودار حوار بين القائدان فقال جالانوس:

- " لقد كان اليوم جيدًا بدأت أشعر أن الأمر قد ينجح "

= " نعم يا رجل لقد كان جيدًا بحق... ولكن الأمر الأهم الآن هو الخطوة التالية... ما الذي عرفته إذًا من أهل هذه القرية؟ " رد ألاكاس

- " هناك طريقان يتفرعان من هذه القرية إلى لارن أحدهما قصير ويمر على قريتين غنيتين ولهما أهمية كبيرة للارن فهما يساهمان بعدد كبير من المحاصيل وسيكون بهما عدد كبير من الجنود وقد يزيد بعد أن تنتشر أخبار استيلائنا على زانت.. لكنهما سيكونان عونًا كبيرًا لنا إذا تمكنا منهما... أما الطريق الآخر فسيستغرق وقتًا أطول في المسير ويمر على قرية واحدة فقيرة لا يسكن بها الكثيرون بسبب كثرة الهجرة منها.. هذا الطريق سيكون أكثر أمانًا ولكن لا يمكننا الاعتماد على تلك القرية في أمر تجديد المؤونة "

= " هذا جيدٌ للغاية ما رأيك بأن نحتال عليهم قليلًا "

- " يبدو أنك تفكر في أمر ما... جيد أطلعني عليه "

= " هل سألت عن عدد القوات في لارن والقريتين الغنيتين اللتين في الطريق القصير؟ "

- " نعم لقد قالوا لي أن عددهم كلهم يقارب سبعمائة جندي يبدو أن تعزيزاتهم لم تصل بعد إلى لارن كما توقعت يا رفيقي "

= " الأمور تسير في صالحنا حسنا فلتستمع لي جيدًا... سوف نرسل تيراس إلى القرية الأولى التي يصادفها في الطريق القصير ليقوم بتهديدهم بهجومنا على هاتين القريتين وننطلق نحن غدًا في الطريق الطويل ونستولي

على القرية التي نمر عليها.. ما هو اسمها؟ "

= " اسم القرية (روناد) "

– " حسنًا سنقيم في قرية روناد لننتظر وصول تيراس إلينا لنعلم ردهم سنجعلهم بذلك ينتظرون هجومنا من الطريق القصير وسيكون من الجيد لو قاموا بتقليل بعض من قواتهم في لارن وتركيزها لحماية القريتين.. لقد أصدرت تعليمات لسرِّية من مائة جندي في روسال بأن يجلبوا لنا الإمدادات بعد رحيلنا بخمسة أيام ومن المفترض أنها انطلقت وسنترك هنا مائتي جندي لاستقبالهم وإرشادهم على طريقنا للوصول إلينا لكن علينا أيضًا أن نقتصد في ما لدينا من مؤن حاليًا.. الجزء الصعب يكمن في اختراقنا لأسوار لارن في أقل وقت ممكن لكن أيضًا يجب علينا ألا نتكبد كثيرًا من الخسائر في طريقنا إلى لارن لنواجههم بكل قوتنا.. لكن.. في حالة اتخاذنا الطريق الطويل فإنه إذا أخذنا وقتًا طويلًا قد يتمكن جنود المملكة في القريتين من اللحاق بنا وبهذا سيطبقون علينا من الأمام والخلف.. لا أستطيع أن أضمن لك نجاح هذه الخطة لكنها تظل أكثر أمانًا من اتخاذ الطريق القصير.. هذا كل ما استطعت التفكير به.. أخبرني إذا ما رأيك؟ "

= " لا عليك فأنا متوتر ولا أستطيع التفكير في شيء ومن الجيد أنك استطعت التفكير في هذه الخطة.. سنقوم بها على أي حال "

اتفق القائدان على هذه الخطة وأخذا يتحاوران قليلًا وزاد اقتناع جالانوس بأمر تلك الخطة حتى وصل تيراس وأخبروه بما أراداه منه وبأهمية دوره وأن عليه الإسراع فيما سيقوم به..

ثم قام ألاكاس واستأذن القائد جالانوس بالذهاب وأثناء نهوضه نظر في

عيني تيراس وأشار نحو الباب فاستأذن تيراس جالانوس بدوره وخرج مع ألاكاس وابتعدا قليلًا عن الباب ثم تأكد ألاكاس بعدم وجود أحد بالقرب منهم.

لم يتحدث ألاكاس كثيرًا معه فكل ما قاله له: - " انسى كل ما سمعته منذ قليل... وعندما تذهب إلى جنود المملكة أخبرهم بأن العدو سيأتي من طريق روناد " ثم أعطاه ورقةً وأمره بأن يخبر جنود المملكة بأن يعطوها للأميرة وتأكد بأن تخبرهم بأنك رسولٌ من طارق، ثم غادر ألاكاس وترك تيراس وحده.

كانت هذه أول مرة يسمع فيها تيراس اسم ألاكاس الحقيقي وتمشى قليلًا على مهله في أثناء عودته لغرفته وكان يفكر فيما كُتب في الورقة وكاد الفضول يقتله ليعلم ما فيها حتى تمكن منه فضوله وقام بفتحها فتعجب بأنه لم يجد بتلك الورقة الكبيرة إلا كلمتين " اسألي الوصيفة "... احتار تيراس ولم يفهم شيئًا وأخذ يفكر فيما ينوي ألاكاس المجنون ذاك فعله حتى غلبه النوم ثم حل الصباح ورحل إلى قريتي المملكة ليقوم بما عليه فعله.

تعمد ألاكاس جعل قوات جاجاران تتخذ الطريق الطويل حتى تصل رسالته إلى الأميرة بسرعة وأيضًا لإكسابها بعض الوقت، ولذلك كان يحيك شباك كلامه حتى يقع جالانوس ذاك فيها ويقتنع تمامًا بما سيقومون به.

وصلت قوات جاجاران إلى روناد واستطاعوا الاستيلاء عليها بسهولة فكان عدد الجنود ومن يستطيع القتال بها لا يتعدى المائة والخمسين وأقاموا في تلك القرية، ثم وصل تيراس وأخبر القائدين أنه قام بما أرادوه وقام بتهديدهم لكنه لم يتلقَ ردًا صريحًا منهم على ما سيفعلونه فبعدما كلمهم

طلبوا منه الانتظار قليلًا ثم أمروه بالرحيل دون أن يردوا عليه.

لم يرتح جالانوس قليلا لعدم ردهم على تيراس ولكنه كان متفائلًا للغاية حيال الخطة وكذلك بقية الجنود فالأمور تسير على نحو جيد حتى الآن وليس هناك شيء مهم بما يكفي ليدعوهم للقلق، وبعد أربعة أيام من بقائهم في روناد وصل الثلاثمائة جندي مع ما لديهم من الامدادات وألقى القائد جالانوس كلمة ليلة وصولهم على جنود جاجاران كلهم فزادت من عزيمة الجنود وحماسهم وأملهم بالنصر... ثم رحلوا بعد يوم من تلك الليلة ليتجهوا إلى لارن.

مر ثلاثة أيام منذ رحيلهم حتى أتى اليوم الرابع، ولم يتخيلوا أبدًا أن كل شيء سينتهيِ في ذلك اليوم بعد أن طلب منهم ألاكاس أن يتوقفوا عن المسير ليرتاحوا قبلَ وقت الغروب بساعة، وعندما حان وقت الغروب صُعق جالانوس وتيراس وبقية الجنود مما رأوه إنها النهاية لقد انتهى الأمر فعلًا ليس بمقدورهم شيء ليفعلوه.

كان جالانوس يشرب وهو يرى هذا المنظر وقد وقف الماء في حلقه فور أن وقعت عينيه عليه " لقد قالوا أن عددهم يقارب أربعة آلاف... هاه يبدوا أنها كانت كذبة!!!... إن عددهم أضعاف ذلك بكثير لم يكن لنا فرصة منذ البداية!!!!... يبدو أن الموت هنا هو مصيرنا!!!! " قال ذلك القائد جالانوس بعينيه المفزوعتين ويديه المرتجفتين اللتين أسقطتا قربة الماء رهبةً مما يراه فقد رأى في الأفق جيشًا يمتد لليمين واليسار إلى ما لا نهاية وأصواتهم تعلوا بـ" الله أكبر " يتخللها أصوات صهيل الخيول بخطوات تهز الأرض هزًا وكأنها ستنشق في أي لحظة.

تعالت صيحات الجنود المليئة بالذعر والفزع.. يريدون الهرب.. يريدون الاستسلام.. يريدون أن ينجو بحياتهم.. لكن هذا المشهد الذي أمامهم بدا وكأنه الموت يلوح في الأفق وينظر إليهم بابتسامة خبيثة.. " لا مكان للهرب.. فقط الموت ".. أخذ صدى هذه الكلمات يتردد في عقولهم.. كانوا يصيحون برعب قائلين.. " لن نستطيع فعل شيء أمامهم!!! ".. " لقد حكم علينا بالموت هنا!!!! ".. صاح أحدهم يبتغي الحياة بيأس " يجب أن نهرب الآن طالما في استطاعتنا ذلك!!!! ".. وصاح يائس آخر " أيها القائدان أرجوكما ارفعا الراية البيضاء لعلهم يرحمونا ويدعونا نرحل!!! ".. " لقد كنا حمقى للغاية!!! ".. " هذا خطؤنا لأننا عبثنا مع المملكة ما كان علينا الاقتراب من روسال منذ البداية!!!! ".. " لن ينقذنا مما نحن فيه إلا معجزة!!!.. لكن هذا ليس زمن المعجزات!!!! ".. ثم حدث ما أسقطهم جميعًا على الأرض من كثرة الهلع.. فإذا بوابلٍ من الأسهم والمدافع ينهال على الأرض أمامهم فامتلأت الأرض أمامهم وعن يمينهم وشمالهم بالسهام وطلقات المدافع وكأن موجة عاتية من أمواجِ البحر ثارت أمامهم وأوشكت على ابتلاعهم.. كان هذا الوابل فقط كفيلًا بقتلهم جميعًا إذا أصابهم فكان بمثابة تهديدٍ لهم وأمرٍ بألا يتحركوا من مكانهم.. فتحطمت معنوياتهم تمامًا.. قد سقط معظمهم على الأرض يصرخون بيأس يريدون للأرض أن تبتلعهم أما الآخرون فلم يعد باستطاعتهم النطق وتيبست أجسادهم من هول ما هم فيه.

بعد أن سمع القائد جالانوس صيحات جنوده ورأى ذلك الوابل من السهام وطلقات المدافع لم يتمالك نفسه وجثى على الأرض بركبتيه وأغمض عينيه ممسكًا مؤخرة رأسه وتخلل به اليأس من كل جانب ثم قال: - " ارفعوا الراية البيضاء وابعثوا بتيراس إليهم وادعوا أن ننال بعضًا من الشفقة "

يا رجل لقد كان قلب ألاكاس يتراقص من الفرحة لم يتوقع أبدًا أن ينجح ما قام به بهذا الشكل... " ليتك كنت هنا يا ماهر لتشهد عظمة ما أراه... كنت أريد أن أرى مقدار ذهولك لقد حقق الله ما أردته منذ البداية... ذلك الهلع والخوف في عيونهم.. صيحات الذعر تلك.. لقد أرعبهم الأمر أكثر مما كنت أتوقع.. لقد كُتب اليوم انتصار من كنتم تعتقدونه مجنونًا.. فهنيئًا بالنصر يا جنودي الأوغاد يا أيها الحمقى المغفلين "

ذهب تيراس على فرسه مسرعًا إليهم وقد صُدم مما رآه عندما وصل إليهم، وقد أشاد بباله بخبث ذلك الرجل ألاكاس ومكره ودهائه.. (ألاكاس زاروس).. يا له من رجل وغد محتال!!!!...

وصل تيراس وأطلعه القائد (عمرو) من المملكة بما عليه فعله... ثم ذهب معه القائد عمرو في طريق عودته ومعه خمسون جنديًا حتى توقف هو ومن معه في منتصف المسافة بين كلا الجيشين وأكمل تيراس طريقه نحو قوات جاجاران... وعندما عاد تيراس أخبر القائدين جالانوس وألاكاس بأن عليهما أن يتقدما بمفردهما إلى قائد المملكة (عمرو) وجنوده... قد أشار تيراس إليهم وأخبر القائدين أن القائد عمرو يرغب بالتحاور معهما فوافق القائدان على ذلك وتقدم ألاكاس وجالانوس ومعهما تيراس الذي قد علم حقيقة ما يحدث بالفعل لكنه لا يجرؤ على فعل أي شيء وزاد رعبه من ألاكاس الذي يتقدم بهدوء في ظل جالانوس عندما لمح تلك الابتسامة الخبيثة على وجهه.

طلب القائد عمرو من جالانوس قائد جاجاران أن يسلم نفسه إليهم في مقابل أن يدع جنوده يرحلون في سلام وإن رفض فإن مصيرهم جميعا

الموت: - " أظن أن هذا عرض غير قابل للرفض أليس كذلك؟ " قال عمرو.

= " هذا صحيح أيها السيد.. معك كل الحق... لكنني فقط أريد أن أعلم ما الذي ستفعلونه بنا " رد جالانوس

- " لا أدري دعني أفكر قليلًا... ربما قد نبقيك عندنا كرهينة أو نقتلك... أظن أنه يجب عليك أن تسأل طارق "

= " وأين هو السيد طارق يا حضرة القائد؟ "

- " إنه يقف بجانبك أيها الأحمق "

تعجب جالانوس للغاية مما سمعه واستغرب بشدة.. ما الذي يقصده هذا الرجل الذي يدعى عمرو؟!!!... كان يقف ألاكاس على يمينه وتيراس على شماله.. وحالما التفت جالانوس إلى ألاكاس سمعه يقول وهو ينظر لعمرو:

- " ما بالك يا رجل؟... لم أخبرت ذلك المعتوه بالأمر؟!! " رد ألاكاس ثم التفت لجالانوس وقال له: - " أعتذر يا جالانوس الأحمق على إفساد عمرو للمفاجئة... صدقني يا رجل كنت أريد أن أخبرك بنفسي "

صُعق جالانوس عندما علم أن ألاكاس هو طارق وتوقف عقله عن التفكير.. أخذ يسب طارق ويلعنه.. يسأله ويكثر في أسئلته.. بعينين ينبثق منهما غلٌ وحقدٌ شديدان.. فرد عليه طارق:

- " هراء!!.. هراء!!.. هراء!!!.. اخرس يا هذا ليس ذنبي أنا أنك أحمق وغبي للغاية.. الحرب خدعة أليس كذلك؟!!.. كل ما في الأمر أنني خدعتك لأغير مسار هذه اللعبة لصالحي.. لهذا فلتصن لسانك أيها الوغد

الأبله وإلا أمرت بقتلك... وإن كنت تظن أن هذه هي المفاجئة الوحيدة فأريدك أن تعلم أن الأمر لم ينتهي بعد... فأنت تنتظرك مفاجأةٌ كبيرة أخرى ستثير دهشتك بشكل أروع "

= " انتهى الأمر أيها القائد جالانوس... أرجو أن تذهب معهم بهدوء فلن تستطيع فعل شيء الآن " رد تيراس

* " ما الذي تقوله يا تيراس؟!!.. ولما لا أراك مندهشًا مثلي؟!!!... لا تقل لي أنك.... " قال جالانوس

- " نعم لقد كان تيراس معنا منذ البداية... يا رجل إن وجهك يبدو مضحكًا للغاية لكن وفر دهشتك لما هو آت... " رد طارق ساخرًا منه ثم قال بحزم وصوت غليظ: " والآن هيا تقدم وإلا فإنك ستلقى حتفك... أما انت يا تيراس فاذهب ونفذ مهمتك الأخيرة وتعال إلي "

استسلم جالانوس.. وذهب تيراس إلى جنود جاجاران وقد كانوا متلهفين لسماع الأخبار منه وتوالت عليه أسئلتهم مثل ماذا حدث؟.. ولما لم يأتي القائدان معه؟.. وما هو مصيرهم؟.. فقال لهم تيراس:

- " لقد ضحى القائدين بنفسيهما وتم أخذهما كرهينة مقابل أن يدعوكم تذهبون في سلام... قد أمر القائدان ألا تمروا بروسال بل اهربوا من الممر الجبلي إن فيكم من يعرف مكان ذلك الممر أليس كذلك؟... أسرعوا بالرحيل فقد انتهى الأمر لقد خسرنا " ثم استدار تيراس بفرسه واتجه نحو جيش المملكة.

= " مهلا يا تيراس انتظر لما أنت متجه إليهم؟ " صاح أحد الجنود

– " أنا من يحدد لحظاتكم الأخيرة " رد تيراس بعد أن توقف

* " ما الذي يعنيه ذلك؟ " قال جندي آخر

– " أمرني قادة المملكة بالعودة إليهم وإذا عدت قبل أن ترحلوا من هنا فسيطلقون وابلًا آخر من السهام وطلقات المدافع.. وقد وعدوني أن هذه المرة ستقضي عليكم جميعًا!!! "

بعد هذه الكلمات لم ينتظر الجنود لم يهتموا بما سيحصل لتيراس فليعذبوه أو يقتلوه لا يهم أي من الأمرين المهم فقط أن يهربوا من هنا ويظلوا أحياء... هناك كثير ممن يموتون في الحرب لن يكون تيراس وكذلك جالانوس وألاكاس إلا أناسًا منهم.. هم يرغبون بالعيش ولا يرون شيئا آخر غير ذلك.. فكانوا يسارعون في الهرب لدرجة أن بعضهم كانوا يسقطون الذين أمامهم حتى يتقدموا عليهم ويسبقوهم فهذه هي المعجزة التي أنقذتهم ولن تتكرر مجددًا.

الآن يسير القائد جالانوس وهو على حصانه مع طارق وعمرو وجنودهما بعدما جُرد من سلاحه يجر الخيبة ليرى خيبةً أخرى ويشهد صدمته الكبرى ومدى حماقته التي لا توصف.. فعندما وصل ورأى الجيش بوضوح أخذ يذم نفسه ويسبها ويلعنها.. وجد ما على الأحصنة مجرد قطع من الخشب تقارب شكل جسد الإنسان، وأغلب الجنود مجرد قرويين يمسكون عصيًا وفي اليد الأخرى بدل الترس الحربي كانوا يحملون سلالًا.. قد خُدع بذلك بسبب الغروب فكان هو العامل الأكبر لنجاح خطة طارق، إذ كانت الشمس وراء قوات المملكة وكان جالانوس يرى جنود جيش المملكة وكأنه يرى ظلالًا.. لم يمتلك وقتًا للتفكير خاصةً بعد وابل السهام والقذائف الذي انهال عليهم

وتذمر جنوده فضاق فكره وانطلت عليه تلك الخدعة.. قد كره نفسه للغاية وجن جنونه ولم يستطع السيطرة على أعصابه فهجم على الوغد المحتال العاهر الذي تسبب في كل هذا.. هجم على طارق ولكن سرعان ما أوقفه الجنود الذين كانوا يقفون من حوله وألقوا جسده على الأرض وثبتوه جيدا وأخذ يرمق طارق بنظراتٍ كلها غل وغضب وحنق وظل يسبه بالداعر الوغد الحقير فقال له طارق:

– " أتعلم ما سيكون مصيرك بعد فعلتك تلك الآن سيكون مصيرك هو الموت ولا تظن بأنك تؤذيني بكلماتك ونظراتك تلك بالعكس فأنت تشعرني بلذة الانتصار.. سأعلمك بشيء آخر.. إن عدد قوات المملكة من الجنود المدربين على القتال هنا والآن هم فقط الخمسون جنديًا الذين يقفون حولك أما الباقي فهم بالكاد يستطيعون إطلاق السهام وقد أمرت جنودك بالهرب وإلا أطلقنا عليهم وابلًا آخر من السهام وطلقات المدافع.. أحب أن أخبرك أننا لم نكن نستطيع أن نطلق وابلا آخر أبدًا لأننا أطلقنا كل الأسهم والقذائف دفعة واحدة في المرة الأولى.. حاليًا نحن ليس معنا أي سهم أو قذيفة مدفعية واحدة "

= " تبًا لك أيها الوضيع الحقير!!!.. سوف تندم على فعلتك صدقني سوف تندم!!!.. هناك أمر قد غفلت عنه.. فما زالت روسال لنا وبها خمسمائة مقاتل من جاجاران!!!! " رد جالانوس وهو يصيح

– " ما الذي تقوله أيها الوغد؟!!.. من المفترض الآن أن روسال قد عادت ضمن حدود المملكة.. سأعذرك لجهلك فقط لأنك غبي أحمق " فتعجب جالانوس مما قاله طارق وكذلك القائد عمرو والجنود من حولهما.

= " ما الذي تقوله أيها الداعر؟!!!.. كيف ذلك؟!!!! "

– " أولَا أنت مخطئ بشأن عدد قوات جاجاران بروسال... لقد أمرت سرية من مئة جندي بجلب الإمدادات لنا بعد فترة من رحيلنا أليس كذلك؟... إذًا قد أصبح عددكم أربعمائة جندي... ثانيًا.. من الذي تركته من رفاقي هناك بروسال؟ حاول أن تتذكره "

= " ساراز!!!" رد جالانوس ثم صمت لبرهة وقال " ولكن ما الذي يستطيع ذلك الضعيف فعله وحده؟!!! "

– " ولكني لم أتركه وحده يا أحمق أنسيت أمر المائة وخمسين جندي الذين أمرتك بحبسهم فقط وعدم قتلهم؟!! "

= " ما الذي يعنيه ذلك؟!! ما الذي فعلته هناك؟!!! " رد جالانوس وهو ينتظر سماع الإجابة بشدة

– " حسنًا للحق فإن ساراز هو الذي فعل أما أنا فقد قمت بتوجيهه سأعيد عليك أوامري لساراز وكأنك أنت هو.. أريدك أن تبقى هنا وبعد رحيل السرية التي معها الإمدادات ستصعد في أول كل ليلة لنفس المبنى الذي صعده تيراس مع ذات المشعل وتنتظر أن ترى تلك الإشارة والتي هي عبارة عن ثلاث ومضات وفور رؤيتها بادر برد الإشارة أنت أيضًا.. ثم أريد منك أن تنزل للسجن الذي به جنودنا كل يوم لتراقب السجناء من الجنود حتى يعتادوا على بقائك معهم ولا يشعروا بالريبة.. ففي الليلة التي سترى فيها الإشارة ستقوم بعد أن تنتهي من ردها بالذهاب للسجن وحينها اطلب من الحراس الذين معك بأن يرتاحوا الليلة.. خذ منهم المفاتيح وانتظر مغادرتهم ثم حرر جنودنا والحق بأولئك الحراس بسرعة

وقم بقتلهم.. ثم قم بعد ذلك بالتسلل مع قواتنا واذهب للمكان الذي ينام فيه جنود جاجاران وقم بإشعاله.. قم بعد ذلك بأمر كل حراس جاجاران المستيقظين بإخماد ذلك الحريق.. اذهب لمخزن العتاد والأسلحة وتأكد من ذهاب حراسه وإذا وجدت أحدًا منهم هناك قم بأمرهم بالإسراع والمشاركة في إخماد الحريق.. افتح الباب وأدخل قواتنا وقم بتسليحهم ثم اذهب إلى البوابة الوسطى لروسال وقم بقتل حراسها إن وجدتهم ما زالوا هناك ثم افتحها.. بعد ذلك تمركز عند تلك البوابة وحارب عندها حتى يصل الجنود الذين بادلتهم الإشارة وسيكون عددهم ثلاثمائة وخمسين جندي.. بعد أن يصلوا قم بالتغلغل في روسال واقضي على كل الحراس وكذلك جنود جاجاران الذين لم يتمكن منهم الحريق.. بعد كل هذا فلنقل أن كل مقاتليك الأقوياء يا جالانوس قد نجوا من الحريق ولكن هناك سرية من مائة جندي قد خرجت لتوصل إلينا الامدادات فعددكم إذن أربعمائة كما قد قلت سابقًا لكن جنودي استولوا على عتاد وأسلحة مائة وخمسين جندي منكم إذن عددكم الآن مائتان وخمسون جنديًا مسلحًا ومائة وخمسون بدون سلاح فلنعتبرهم إذا مائتين وخمسين وقد أضفت على جنودي ثلاثمائة وخمسين جندي فيصبح عددنا خمسمائة جندي إذن فهناك مائتان وخمسون جندي من جاجاران ضد خمسمائة جندي من المملكة وذلك في حال إن نجا كل جنودك من الحريق.. أخبرني إذا لمن ترجح الكفة؟ "

بعد ذلك لم ينطق جالانوس بكلمة ولم يفعل شيئًا سوى أن أخفض رأسه ونظر إلى الأرض بقلب يملؤه الحسرة والندم وعينين بائستين.. يلعن نفسه.. يلعن العالم.. يلعن ذلك الوغد ألاكاس بل.. ذلك الوغد طارق..

ترك طارق جالانوس هكذا للحظات، ثم أمر الجنود بأن يساعدوه على النهوض ليتابعوا مسيرهم نحو لارن وعندما وصلوا إلى هناك في وقت متأخر من الليل وجد طارق الأميرة ووصيفتها وبعضًا من الحراس يقفون عند بوابة لارن بانتظارهم وقد لمح الأميرة وهي تبكي فسأل طارق الوصيفة رؤى عما جعلها تبكي بهذا الشكل فردت الوصيفة:

* " لقد كانت قلقة عليك للغاية في غيابك وكانت حزينةً من ألا ترجع حيًا "

= "ما الذي تقولينه؟!!.. هذه الشريرة كانت قلقة علي وهي التي كانت تثرثر بقتلي طوال الوقت؟!!.. أراهنك أنها كانت قلقة من أن أموت هناك فتضيع عليها فرصة قتلي بنفسها "

فتضايقت الأميرة من سماع ذلك من طارق وصاحت بوجهه:

- " حتى بعد عودتك من الخطر ما زلت أحمقًا وتتفوه بمثل هذا الكلام وأنا التي كنت قلقة عليك طوال الوقت... أمن الغريب أن أقلق عليك أيها الغبي؟!! " ردت الأميرة وهي تحاول أن تمسح دموعها

= " نعم... ذلك غريب للغاية!!! "

- " لا أعلم ما الذي جعلني أقلق على غبي مثلك؟!.. يبدو أنني حمقاء أنا أيضًا " ردت الأميرة وهي تشيح بنظرها بعيدًا عنه

= " حسنًا من الجيد أنك اعترفت بذلك... وأظن أنه يجب أن أعترف أنا أيضًا بأمر ما... إن هناك قلة من البشر في حياتي هم من أستطيع أن أعاملهم فقط بطبيعتي دون تكلف.. وأنت منهم... أنا حقًا أشكرك على انتظاري "

احمر وجه الأميرة آية للغاية بعد أن سمعت هذه الكلمات وتلعثمت ثم انعقد لسانها عن الكلام فهذا ما كانت تشعر به أيضًا.. شعرت بأنها قد وجدت نفسها عندما كانت تجلس مع طارق فهو الوحيد الذي حدثها كآية وليس كالأميرة آية.. بدون تملق أو مجاملات أو تكلف زائد.. كان أكثر شخص تعاملت معه بطبيعتها.. كان الشخص الوحيد الذي تتكلم معه دون تفكير دون أن تلقي بالًا لما تقول.. لكن بماذا سترد عليه الآن؟!!، فلم يخطر بباله أبدًا أن يقول لها مثل هذا الكلام فانقطع سيل الكلمات من لسانها ولم تعلم ما الذي تقوله.

أنقذها من ذلك الوضع مجيء حراس طارق الذين فارقوه بعد أن خرجوا من جاجاران ومعهم هشام ليرحبوا بطارق وقد فرحوا لعودته بشدة.. أتوا يتغنون بقائدهم العظيم.. يتبادلون العناق والابتسام...

ثم طلب طارق من هشام الذي أتى مع حراسه أن يقف بجانبه وأمر الجنود بجلب تيراس إليه ثم قال لكل منهما:

- " لقد انتهى الأمر الآن ولم أعد بحاجة إليكما ولذا علي أن أتخلص منكما ".. دق قلبا تيراس وهشام بسرعة فالأمر قد انتهى الآن وحانت نهايتهما.. نعم.. فذلك الوحش لن يدعهما على قيد الحياة.

- " لكن أريد أن أسألك يا تيراس... لماذا برأيك قد خطفت عائلتك؟ " أكمل طارق.

= " لقد أخذتهم كرهينة لديك يا سيدي لتضمن عدم خيانتي وطاعتي لك أليس كذلك؟ " رد تيراس وهو متوتر بشدة.. ويظهر الخوف على وجهه.

- " هذا صحيح ولكن هناك أمر آخر غير ذلك أتعلم ما هو؟ "

= " كلا يا سيدي لا أعلم "

- " لقد كنتما عونًا كبيرًا لي في خطتي وأعلم أنكما لم يكن لكما علاقة بأمر تلك الحرب لكنني قد أقحمتكما معي بالرغم من ذلك.. فلنقل الآن أنني لم أخطف عائلتك ولم أجلبهم إلى لارن يا تيراس وقد فزنا كما هو الوضع الآن.. لكن ماذا سيحدث لو اكتشفت جاجاران أنك كنت خائنا؟.. أول شيء قد يخطر ببالك هو سعيهم لعقابك والانتقام منك لكنهم لن يستطيعوا الوصول إليك لأنك ستكون معي كما الحال الآن.. إذا سيقومون بالانتقام منك في أهلك.. أنا أعلم أن هذا سيكون صعبًا عليك للغاية لهذا قد قمت بخطفهم وإحضارهم إلى هنا فأنت الآن ستقيم في لارن معنا ولا تقلق فسأحرص على أن تكون أحد النبلاء في لارن " ثم التفت طارق لهشام " أما أنت يا رجل لقد أزعجتني للغاية بكلامك عن أميرتي وبالطبع أنا لم أكن لأدع ذلك يمر مر السحاب.. لهذا قد حرصت على أن أجعلك تدفع ثمن ذلك بضربك في ذاك اليوم وتعذيبك بما مررت به معي.. والآن أظنّ أن ما شهدته يكفي وزيادة.. لكن لا تقلق أنت أيضًا يا رجل.. قد وعدتك بكيس كبير من المال في أول لقاء لنا سأعطيك أضعافه.. لكن لن أجعلك نبيلًا كتيراس لكونك وغدًا ومجرمًا سابقًا فاكتفِ إذا بالمال وسأعطيك إياه شرط أن تعدني بأن تكون رجلًا صالحًا.. لقد عانيتما معي حقًا أيها الرجلان وقد تحملتما ما قد لا يقوى عليه أشد الناس بؤسًا.. ولم تخيبا ظني بكما ولم تخذلاني فهذا أقل ما أقدمه لكما.. وإن لم تقبلا فسأقتلكما الأمر بسيط للغاية "

ظهر على وجههما دهشة كبيرة.. بدا وكأن كلاهما لم يصدقا ما سمعاه..

فرحا بشدة وصرخا بصوت عال..صرخا وكأنهما يقولان ويعلنان للعالم.. سأعيش سأظل على قيد الحياة.. أنا لن أموت الآن ولن تكون هذه نهايتي.. أخذا يذرفان الدموع وعانقا طارق بشدة.. قد عانقاه بشدة بالفعل.. تتساقط دموعهما على ملابسه.. وأبيا تركه حتى هدئا.. أخذا يحمدان الله بأن انتهى الأمر على هذا الحال.. وأخذا يشكران طارق على عفوه لهما..

بعد ما رأياه من وحشية ذلك الرجل ظنًّا أن مصيرهما الموت لا محالة وستكون معجزة لو فقط تركهما يذهبان في سلام... لكن أن تؤول الأمور إلى هذا هو أفضل شيء حدث لهما في حياتهما... قد شعرا حقًا بسعادة غامرة وكأن الحياة قد دبت في أجسادهما من جديد، أما الحراس الذين كانوا يقفون حول طارق أخذوا يتبادلون الابتسام ويزدادون إعجابًا وفخرًا بقائدهم طارق بعدما سمعوا قراره..

أما الأميرة ووصيفتها فلم تعلما شيئًا مما حدث للتو وما واجهه هذان الرجلان، ولكن آية قد زاد إعجابها بطارق كثيرًا بعد رؤيتها لذلك المشهد.. على الرغم من قسوته في بعض الأحيان إلا أنه يملك قلبًا طيبًا.. ترى هذين الرجلين يبكيان يعانقانه يتمسكان به بشدة وهو ينظر إليهما بحنان وشفقة.. أحبت ما سمعته منه عندما حدث هشام عنها.. لم يدع كلام ذلك الوغد يمر بسهولة وسعى لينتقم لها منه.. شعرت بأن طارق يهتم بها بالفعل حتى وإن لم يقل ذلك.

الفصل السابع : النهاية

دخل طارق ومن معه المدينة فوجدوا أهل لارن يرحبون بهم ترحيبًا حارًا وأقاموا احتفالًا كبيرًا بعودتهم فعَلَت أصوات الطبول وكثرت الزغاريد حتى الأطفال كانوا مستيقظين في هذا الوقت من الليل وأخذوا يجرون في كل مكان... ظل هذا الاحتفال قائمًا حتى بزوغ الفجر وشهد هذا اليوم أكبر تجمع في مدينة لارن لأداء صلاة الفجر وبعد الصلاة سكنت الأجواء وخلد الجميع للنوم... ثم انتشر خبر الانتصار في جميع أنحاء المملكة وارتفع صخب الناس واحتفالهم لشدة فرحهم وزادت أفراحهم بعد عودة ماهر ومعه مجد بعد يومين سالمين من روسال فاستمرت الاحتفالات في المملكة كلها لعدة أيام فقد كانت تلك الأيام وكأنها عيد بالنسبة لهم... أما جلال فقد عاد من أوستا قبل ماهر ومجد بيوم.

في الليلة التي عاد فيها طارق ومن معه بعد أن سكنت الأجواء قليلًا ووصل للمنزل الملكي الكبير بلارن، وجد سامر هناك وكان يحمل معه كتابًا وادعى سامر المرض كحجة يعتذر بها لطارق لعدم الذهاب لاستقباله فرد عليه بألا بأس بذلك ثم اقترب طارق من سامر وعانقه فهمس في أذنه... بدا سامر غاضبًا جدًا لما سمعه فرد قائلا " لا تغترَّ بنفسك كثيرًا أيها الحقير إن الأمر لم ينتهِ بعد... فأنت لا تعرفني جيدًا حتى الآن أيها الوغد " لكن الأميرة ووصيفتها والحراس لم يسمعوا ما قاله سامر.

في اليوم الذي تلا تلك الليلة فإذا بالأميرة تذهب لغرفة طارق بعد

الظهيرة ووجدته نائماً كعادته فقامت بإيقاظه ولكنه لم يرد عليها وعانت في إيقاظه كما يحصل دائماً.. وعندما نهض أخيرًا استأذنها ليقوم بما يفعله كل مرة.. يصلي ويأكل.. وقال لها عندما رجع:

- " ما زلت كما تركتك لا أعلم من أين يأتيك كل هذا النشاط.. ألا يمكنكي أن ترتاحي يومًا "

= " وأنت ما زلت ذلك الأحمق الكسول... وأيضًا حتى إن كنت بطل هذه الحرب فأنا هي الأميرة ولي الحق لأفعل ما أريد "

- " حسنًا لن يكون بمقدورك قول هذا عندما أرحل لقريتي "

= " ماذا؟.. أتود الذهاب إلى قريتك حقًا ألا تريد أن تنال منصب القيادة الذي عرضته عليك؟!! ألا يمكنك أن تبقى؟!! " ردت الأميرة منزعجة.

- " كلا لاأريده سيكون فقط مجرد ازعاج لي "

لقد تفاجئت الأميرة بما قاله طارق حيال أمر المنصب لقد توقعت أنه سيطمع به بالفعل لم تتوقع أن طارق بسيط لهذه الدرجة وأنه لا يسعى للمال أو السلطة كبقية الحثالة الذين كبرت وسطهم.. لكن ما أزعجها حقًا لما هو مُصِر على الرحيل؟

= " ألا تريد إذا أن تبقى معي بعدما انتظرتك كل هذه المدة؟!! لما لا تبقى هنا ولو قليلا!! " قالت الأميرة وقد بدت حزينة.

- " حسنًا أنا يمكنني البقاء هنا لبضعة أيام.. ولكن لما تريدين مني البقاء وأنت لديك سامر؟ "

= " أنا فقط أود قضاء بعض الوقت معك كما فعلنا سابقًا كما أنني لا أعرف ما أريده بشأن سامر بعد الآن "

- " بما أنك تودين أن نقضي بعض الوقت معًا حسنا فلنستغل هذه الأيام جيدا ولربما تعرفين أمر مشاعرك تجاه سامر في هذه المدة.. لا تقلقي فحتى يحين موعد رحيلي سأكون بجانبك وأنا لا أكذب هذه المرة "

وافقت الأميرة طارق على ما قاله وقد بدت حزينة ومحتارة نوعًا ما ثم أخذ طارق يحكي للأميرة ما حدث معه وسرعان ما اندمجت معه ونست حزنها، وهي لم تكن تعلم لماذا كانت سعيدة هكذا عندما كانت تستمع له.. صحيح أنها تراه أحمقًا ويجادلها كثيرًا ولكن جزءًا منها يحب ذلك فقد أدركت ذلك عندما غاب عنها... استمر طارق برواية ما حدث معه لها لكنه لم يكمل لها كل ما حدث وطلب منها أن تمر عليه غدًا ليحكي لها الباقي، ثم أتى الغد وكان اليوم الذي عاد فيه جلال فرحب طارق والأميرة به عند عودته... ثم توجها معا لغرفة طارق بعد ذلك وأكمل لها ما حدث حتى النهاية وكانت الأميرة تشعر بأمر غريب ففي كل لحظة تمر عليها جالسة معه كان يزداد إعجابها به فقد انبهرت حقًا بذكائه ومهارته.. وعندما انتهى طارق من حديثه قالت الأميرة:

- " لم أتوقع أبدًا أنك خبيث وماكر بهذا الشكل يا طارق بالرغم من أنك تبدو أحمقًا ولا يظهر عليك ذلك... لقد بدأت أخاف منك حقًا "

= " هنالك العديد من الأمور التي لا تعلمينها عني أيتها الأميرة "

- "لكن أريد منك أن تخبرني عندما وصلتني الرسالة التي كتبت فيها (اسألي الوصيفة) قد استغربت من ذلك حقًا... وعندما سألتها أخبرتني

أنك تركت معها ورقة قبل رحيلك وأمرتها بألا تفتحها ولا تعطيها لأحد أبدًا حتى يعطيها الإشارة... وقد كان بها شرح لفائدة كل ما طلبت مني أن أفعله سابقًا وكذلك شرح عمَّا سنفعله تاليًا... لماذا لم تعطيها لي وتخبرني بذلك منذ البداية.. والذي صدمت منه أن جميع القادة كانوا يعلمون كثيرًا من هذه التفاصيل وأمر قدوم الرسالة.. ألم تكن تثق بي؟ "

= " كلا ليس الأمر كذلك... أنا فقط أخذت ذلك الطبع من قائدي ثابت عندما كان يلعب معي القمار في صغري.. فكان يقول لي دائما لا تجعل أحدًا أبدًا يعلم ما يدور في رأسك وما تخطط له أو حتى يتوقعه فإذا حدث ذلك فأنت قد خسرت منذ البداية "

- " يبدو أنك كنت تحبه كثيرًا "

= " أجل... لقد كنت أحب ذلك العجوز حقًا "

بعد ذلك قررت الأميرة آية أن تعود لغرفتها وقابلت سامر في طريقها لكنه لم يتوقف ليحييها بل مضى في طريقه وهو يرمقها بنظرات حادة غاضبة، وقلقت آية من نظرات سامر تلك كثيرًا واعتراها شعور سيء حيال ذلك فمنذ آخر مرةٍ تحدثا بها منذ عدة أيام ظلَّا على هذه الحال.. لم يتبادلا حديثًا قط.. فقط تنال الأميرة تلك النظرات الغاضبة من سامر عندما يلتقيان، ولم تعد ترتاح لسامر كما في السابق... شغل ذلك بالها وهي تمشي لغرفتها وعندما وصلت وجدت وصيفتها رؤى بانتظارها فقالت رؤى:

- " ما الأمر يا أميرتي؟ لم أنت شاردة هكذا؟ "

= " لا تقلقي فالأمر ليس مهماً.. لا تهتمي لذلك "

- "حسنًا أيتها الأميرة... ولكني أعتقد أن الوقت قد حان أليس كذلك؟... يجب عليك الآن أن تخبريني برأيك في طارق "

- " لا أعلم إنه شاب جيد ولكنه يضايقني أحيانًا هذا كل ما في الأمر " ردت الأميرة وقد بدت حزينة

= " كلا ليس هذا كل ما في الأمر... لقد أتى إلى هنا خادمًا ثم غادر قائدًا والآن قد عاد ليكون حاكمًا... يجب عليك أن تتزوجيه فهل أنت راضية به؟ "

- " أنا لا أعلم حقًا.. أنا أود منه أن يبقى لكنه يرغب فقط في الرحيل ربما هو لا يريد أن يبقى معي "

= " إذا أنت تريدين منه البقاء.. لا تقلقي حيال ذلك يا أميرتي فهو لا يعلم بعد أنه سيكون حاكمًا وأن مصيره هو الزواج بك.. ومن لا يرغب في أن ينال أميرتنا الجميلة فهو لا يمكنه أن يكون أحمقًا لهذه الدرجة.. ولو كان كذلك فأنا سأرغمه على البقاء لكن أخبريني أنت الآن لا تمانعين الزواج به؟ "

- " حسنًا.. ربما.. ربما أنا لا أمانع الزواج به " ردت الأميرة وهي خجلة

= " كنت أعلم ذلك منذ البداية.. فأنتما الاثنان تتجادلان كثيرًا وكأنكما زوجين.. وشعرت أنكما مناسبين لبعضكما كثيرًا كنت أعلم أنك تحبينه أليس كذلك؟ "

- " نعم أظن بأنني.. أحبه.. أحبه كثيرًا " ردت الأميرة ووجهها محمر وهي تبتسم وشردت بعد ذلك تفكر في طارق ثم أخذت رؤى تتحدث معها وتشاكسها بذكر طارق أثناء حديثهما وظلتا تتحدثان معًا بلا توقف طوال الليل.

الأمر غريب حقًا كيف استقر قلبي على شيء مثل هذا.. هذه المشاعر المتضاربة وكل شيء قد حدث انتهى على ذلك الشعور، كيف يمكن أن تحب شخصًا لم تعهد عنه سوى القليل وتشعر أن شيئًا يربطك معه أنك مقيد به لا ترى من الناس أحدًا غيره.. تتمنى لو أنكما التقيتما منذ زمن لكنك سعيد لوجوده معك الآن ولا تريده أن يفترق عنك أبدًا... هذا ما كانت تشعر به الأميرة بعد كثير من الاضطرابات والتفكير المستمر أدركت أنها أحبته ولا شيء آخر فقط أحبته، كيف ذلك؟! هي نفسها لا تعلم فبالرغم من قلة الوقت الذي أمضياه معا إلا أنها كانت أجمل لحظات مرت بها في حياتها.

***

فلنرجعٍ بالوقت قليلًا قبل عودة طارق ببضع أيام... قد وصل في ذلك الحين رجلٌ عجوز إلى لارن وذهب إلى المنزل الملكي وطلب لقاء الأميرة، فاعتذر له الحراس بأنها ليست موجودة وعندما سألوه عن سبب رغبته في رؤيتها أخبرهم بأن لديه شيئًا يريد أن يعطيه للأميرة ويجب أن يسلمه لها بنفسه فطلب منه الحراس العودة في وقت لاحق.. فرد عليهم بأنه لا يستطيع ذلك وطلب منهم أن يدلوه على المكان الذي ذهبت إليه لكنهم أجابوه بعدم معرفتهم بمكانها وفي ذلك الوقت ظهر سامر وعندما رآه ذلك العجوز ناداه فتعرف سامر عليه... كان ذلك الرجل العجوز صديقًا مقربًا للحاكم وقد ائتمنه على كتاب ما وقال له بأن يحرص على أن يتسلم الحاكم الجديد ذلك الكتاب وألا يقرأه أحدٌ غيره.. فطلب الرجل العجوز من سامر أن ينفذ له تلك الرغبة فوعده سامر بذلك.

في ليلة ذلك اليوم عندما كان سامر في غرفته أخذ يفكر في أمر ذلك

الكتاب وفي أمر العجوز (عبد الملك) الذي أعطاه الكتاب ولماذا كان يبدو خائفا بشده وقلقا للغاية؟... أخذ سامر يقنع نفسه بإلقاء نظرة على ذلك الكتاب فهو سيتخلص من ذلك الأحمق طارق وسيصبح هو الحاكم الجديد على أي حال، ومن يأبه لذلك فحتى وإن لم يحدث ذلك فسيفتح ذلك الكتاب لا حاجة له لكثير من التفكير فليشرع بقرائته الآن... ما لاحظه عندما بدأ بالقراءة أن ذلك الكتاب ليس لديه عنوان وعندما قرأ أول صفحة به وجد بها العديد من الأشياء الغريبة والمهمة.

شدّ ذلك الكتاب سامر كثيرًا وأخذ يقرأ فيه ويأكل صفحاته وكان ذلك الكتاب غامضًا للغاية وكلما قرأ فيه انكشف مقدار ضئيل من الغموض الذي به... لم يكتفِ سامر بما قد قرأه فدفعه فضوله بأن يقرأ أكّثر وأكثر، وقد صُدم سامر لما في الكَتاب وذُهل له... وقد بدا له في بادئ الأمر أن كثيرًا مما يحتويه ذلك الكتاب ضرب من الجنون وتساءل عن المعتوه الذي كتبه لكنه عجب واستغرب عندما علم من ألف ذلك الكتاب... لقد كان (القاسم القيرواني) فجعله ذلك يصدق ما به قليلًا فما سمعه عن القاسم كفيلٌ بأن يجعله يصدق ما ورد في الكتاب.

" تبًا لذلك الحاكم لقد ورط نفسه في كارثة ضخمة.. لكن حقًا الأمر يبدو مثيرًا.. يبدو مثيرًا للغاية " ذلك ما دار بخلد سامر بينما كان يقرأ ذلك الكتاب... قد اندمج ولازم قراءته لبضعة أيام حتى وصل لتلك الصفحات الممزقة التي قاطعت عليه قراءته فتضايق وانزعج كثيرًا... قرر أن يقرأ ما بعدها فلم يفهم الكثير من الجزء الذي حاول قراءته ولكنه كان مشدودًا للغاية، وعندما وصل للحظة مهمة فيما يقرؤه فإذا به يجد الصفحات التالية

ممزقة أيضًا فغضب سامر غضبًا شديدًا ورمي ذلك الكتاب على الأرض وأخذ يسب ويلعن من كثرة الغيظ... ثم حاول أن يُهدأ نفسه وجلس على سريره وعندما نظر إلى ذلك الكتاب وجده مفتوحًا على صفحاته الأخيرة، وقد لمح أن الخط المكتوب فيها مختلفٌ عن الخط في الصفحات التي قرأها سابقًا وأكبر بكثير فأخذ الكتاب بسرعة وقام بقراءتها.

ما ورد في تلك الصفحات كان التالي " لقد أذنبت بحقك أيها القاسم لقد كنت مغفلًا للغاية وإن قلبي ليحترق من شدة الندم وكأن سيفًا مغروزًا في صدري يأبى الخروج ويتحرك بداخلي ليزيد عليّ ألمي وجرحي ولكني وغد جبان.. مع أني قد عرفت الحقيقة إلا أني ادعيت الجهل وأبقيتها لنفسي.. أواه كم أكره نفسي وأمقتها.. لقد تورطت في كثير من المصائب بعد موتك ولكنها لا تضاهي آلام ندمي وحرقتي... لقد عشت والذنب يقتلني وفقدت لذة الحياة حتى ضاق بي الأمر وذهبت للبحث عن ابنك لأتولى رعايته تكفيرًا عن ذنبي ولكني لم أجده مهما بحثت... مرت السنوات وأنا على هذا الحال حتى شاءت الأقدار أن أراه في قرية دوران بعد أن أصبح رجلًا.. لم يعترف لي بأنك ابنه ولكني أعذره فلا بد أنه عانى كثيرًا بعد كل هذه السنين.. وقد كنت متأكدًا بأنه ابنك لقد كان يشبهك كثيرًا حقًا وكأنني أراك فيه وقد كاد قلبي يتفطر وكادت عيناي تفيض بالدموع... لقد أوصيت أن يكون هو الحاكم من بعدي أعلم أن هذا لن يعوضه أبدًا عما سلبته منه ولكن أرجوك سامحني أيها القاسم.. سامحني يا ابن القاسم.. أرجوك اعفُ عن هذا الرجل العجوز وسامحه.. قد وهبتك ملكي وابنتي وهذا قليل مقارنة بما سببته لك من ألم لكنه كل ما لدي فرجاءً ارضَ عني وسامحني يا ابن القاسم "

كان الرجل العجوز الذي قابل طارق في قريته وتابعاه اللذان كانا يلبسان عباءات بقلنسوات والذي أمسك بوجه طارق وسأله عن القاسم هو من كتب هذا الكلام وقد كان هو حاكم البلاد وتابعيه هما اللذين قد عثرا على طارق مع الأميرة، وعندما قرأ سامر هذه الكلمات لم يعبأ بها ولم يلقِ بالا لتلك العبارات الفارغة التي كان يهذي بها ذلك الوغد العجوز وسجلها قبل موته.. فكل ما شغل باله وأثار اهتمامه هو أن طارق هو ابن القاسم القيراوني" هذا رائع.. لم أتوقع ذلك أبدًا الآن فحتى ولو انتصر يمكنني أن أقلب عليه الطاولة في أي لحظة... على الرغم من أنك قد ألقيت نفسك لحتفك سيكون من الأفضل لو انتصر فسيوفر علي عناء استرجاع روسال وأيضًا أنا أتحرق شوقًا لأرى تلك التعابير على وجهه بعد أن انتزع منه لذة انتصاره.. " بعدها تعالا صوت سامر بالضحك وأكمل " أريد منك ان تفرح وتستمتع بكل لحظة يا ابن القاسم فسأحرص جيدًا على أن أجعلك تتجرع ما يفوق تصورك من الألم "

زاد حنق سامر لطارق وعزمه على القضاء عليه في الليلة التي عاد فيها بعدما تقابلا واعتذر له عن عدم استقباله، فقد احتضنه طارق ثم همس في أذنه " لقد تعمدت إبعادك عن رفاقك منذ البداية أيها الحقير وجعلت كل شيء يبدو مبهمًا وسخيفًا لكي تكون عاجزًا لا تظنني مغفلًا أيها الأحمق.. لقد كنت أخطط لقتلك ولكني طيب القلب لذلك سأعفو عنك لأذِّلك" وما زاد غضبه وجعله يشتعل هو مغادرته بعدما رد عليه وابتعاده عنه رافعًا يده وكأنه يقول له لا أبالي هات ما عندك تاركا إياه يحترق من الغيظ.. قد فهم سامر مقصد طارق عندما رفع يده لكن من كانوا مع طارق ظنوا بأنه يودعه فقط لا غير.

في اليوم الذي عاد فيه جلال طلب سامر من أحد الحراس أن يجلبه إليه وعندما وصل جلال إليه رحب به سامر وأخذ يحدث سامر عما قام به في أوستا وأخذا يتبادلان الكلام حتى قال جلال:

- " ذلك الوغد طارق قد أرسل معي ثلاثة رجال ليتأكدوا من إتمامي الأمر كما يريد... لم أستطع أن أتخلف عما طلب وإلا كان سيكتشف بقية القادة عن مخططنا لإفساد خطة ذلك الحقير العاهر لو وشى بي هؤلاء الرجال وقد فعل المثل مع مجد... لكن الأهم هو ما الذي سنفعله حيال طارق الوغد ذاك؟... إن الأمور تسير في صالحه إلى الآن وإذا استمر الوضع هكذا قد ينتهي أمرنا!! "

= " لا تقلق فقد توصلت للحل مسبقًا سأخبرك به وستقوم أنت بشرح ما سنفعله لمجد عندما يعود.. لكن احرص ألا تخبر الأميرة الحمقاء بما سنقوم به أبدًا "

- " لماذا؟!!.. هل حدث شيء ما؟ "

= " تلك الأميرة الغبية البلهاء لن تفيدنا بعد الآن... قد أرسلتها لتوقعه في حبها فأحبته هي "

- " ما الذي تقوله؟!!.. ما الذي يعنيه هذا؟!! "

= " فقط اصمت ودعني أخبرك بما سنفعل ولا تحدثني عن تلك العاهرة فأنا غاضب بما فيه الكفاية "

***

عاد ماهر وكان معه مجد وهما يحملان خبر استعادة روسال فكانت الأيام

التي مرت أكثر الأيام فرحًا للمملكة وسكانها وزادت الفرحة والاحتفالات كثيرًا في ذلك اليوم وخرج طارق ليستقبل ماهر ومن معه وقال لماهر:

- " أرأيت لقد انتهى الأمر على خير.. ما رأيك إذًا يا رفيقي؟ "

= " يا رجل أنت تعلم أنني لم أشك بك منذ البداية " رد ماهر

- " حقا؟!! "

= " نعم ألا تصدقني؟!! "

حينها لم يتمالكا نفسيهما وتعالا صوتاهما بالضحك.. لم يفهم أحد من حولهما سبب ضحك هذين الاثنين ولكنهم كانوا سعداء باجتماع الرجلين اللذين كان لهما الدور الأكبر في هذه الحرب... أخذ ماهر وطارق يتحدثان ويضحكان طويلا حتى اقترب المساء وحكى له طارق ما حدث بعد مغادرته روسال مع جالانوس وكيف خدعه وقد بدا ماهر منبهرًا للغاية بما فعله طارق، ثم أتى أحد الحراس لطارق يطلب منه أن يقابل الأميرة وأخبره بمكانها فقال ماهر لطارق أنه سيذهب ليرتاح قليلًا ومضى طارق في طريقه وعندما اقترب من مفترق الطرق في نهاية الممر سمع مجد وجلال يتحدثان.

- " لقد انتهى الأمر أخيرًا ونلنا مبتغانا " قال جلال

= " نعم لقد فاق طارق ذاك توقعاتي " رد مجد

- " واليوم ستجمعنا الأميرة لمهمتنا الأخيرة... سوف نتخلص من طارق في هذه الليلة "

= " مسكين ذلك الأحمق طارق لقد خدعته الأميرة منذ البداية... وهو

كان آملا بالنجاة لم يعلم بأن مصيره الموت لا محالة "

صُدم طارق مما سمع ولم يعلم أيصدق ذلك أم لا؟!! وكان يفكر في الأميرة وكيف كانت تحدثه لكنه لم يلحظ أبدًا أنها تخدعه.. لم يكن يعلم ماذا يفعل كان محتارًا للغاية وظل مشغولًا بالتفكير في ما سمعه.. ثم أخذ نفسًا عميقًا بعد كل هذا التفكير وحاول أن يتمالك نفسه وقرر أن يذهب ليرى ما سيحدث ويتبين الأمر.

وصل طارق للغرفة ووجد الأميرة ومعها سامر ومجد وجلال بانتظاره وأخذ ينظر للأميرة وهي كانت تبتسم له ثم أشار له سامر بأن يجلس بجانبه ثم قال سامر:

- " لقد أحسنت عملًا يا طارق أهنئك على انتصارك لقد أبهرتني حقًا "

= " أشكرك على مديحك "

- " لا بل نحن من يجب عليه شكرك "

= " أيمكنك أن تخبرني سبب استدعائي إلى هنا؟ "

- " يا رجل لقد أنقذتنا حقًا وسيكون من العار علينا ألا نعطيك ما تستحق أليس كذلك؟ "

= " أقدر حقًا اعترافك بما فعلت ولكن أليس غريبًا اجتماعنا هكذا لهذا فقط؟!.. أظن هناك أمر آخر ما هو؟ " رد طارق وهو ينظر لسامر بحزم

- " كلا ليس هناك أمر آخر لقد أنقذت المملكة والتي تضم لارن وروسال والثقراء وراسيك وجهمان وجاليا التي كانت تحت إمرة الحاكم نور الدين...

فيجب علينا أن نعطيك ما تستحق... أليس كذلك يا ابن القاسم؟ " رد سامر وهو يبتسم لطارق ويرمقه بنظرات خبيثة

وقع ذلك الكلام على طارق كالصاعقة ولم يستطع أن ينطق بشيء وأخذ ينظر لأسفل وعيناه متسعتان.. إن قريته (دوران) المعزولة كانت تابعة لدولة أخرى بعيدة للغاية عن هذه الأرض التي هو فيها الآن، وكانت أخبار هذه الأرض غير مهمة لدولته ونادرًا ما كانت تصل لهم ولم يعلم أن حدود الحاكم نور الدين قد امتدت لهذا الحد... قد استغرب طارق بالفعل عندما أبى جميع من سألهم في القصر وفي لارن عن الحديث عن الحاكم وتكتمهم الشديد حياله لكنه لم يشغل باله بذلك الموضوع.. لقد ناداه سامر بـ(ابن القاسم).. لقد بدأت الأمور تصبح أكثر منطقية.. فدار في باله " أولئك الأوغاد قد خدعوني تمامًا!!! ".. ثم نظر للأميرة وقال:

- " هل حقًا أنت ابنة نور الدين حاكم جاليا؟!! "

= " نعم يا طارق أنا ابنة الحاكم نور الدين " ردت الأميرة

- " الأمر هكذا إذن... يبدو أن ما سمعته كان صحيحًا "

= " ما بالك يا طارق؟!! هل هناك خطب ما؟!!.. ما الذي سمعته؟ "

- " لا تدعي الجهل أيتها الحقيرة أنت تعلمين أنني لست طارق... أنا مالك بن القاسم القيرواني وأبوكِ هو الرجل الذي جعلني يتيمًا وأنت قد جلبتني هنا لتقومي بقتلي فقد خططت لذلك منذ البداية!!!!.. أليس كذلك أيتها المحتالة؟!!! " صاح مالك في وجهها بشدة وبكت الأميرة عندما سمعت ذلك منه وقالت:

= " ما الذي تقوله يا طارق؟ من أين سمعت هذا؟ لم أكن لأفعل هذا أبدا... فأنا... "

- " اخرسي!!!!! " رد مالك ووقف وقام بإمساك الأميرة من عنقها بشدة.

= " ...أنا أحبك " أكملت الأميرة وعيناها تنهمر بالدموع لا تتوقف عن البكاء.

ولكن في نفس اللحظة التي أمسك بها مالك رقبة الأميرة قام سامر ومجد وجلال ووجهوا سيوفهم نحو رقبة مالك... وما زال مالك يوجه نظره بعينين حانقتين نحو الأميرة ثم قال سامر: " أنصحك بأن تأتي معي أيها الوغد... فبيننا دين يجب رده "

لم ينطق مالك بكلمة واحدة وأخذ يرمق سامر بنظرات مخيفة لبضع لحظات.. ثم بعد ذلك ترك الأميرة فعلم سامر أن مالك سيأتي معه فغادر سامر وتبعه مالك إلى الغرفة المجاورة... بعد أن دخلا وجد مالك السيف الذي أعطته إياه الاميرة ملقًا على الأرض ذلك السيف القصير.. فذهب إليه سامر وركله نحو مالك وقال: " سوف تبارزني الآن أيها الحثالة وأعدك بأنني سأحرص على أن تتجرع من الألم ما يجعلك تتمنى الموت "

أخذ مالك ذلك السيف وفور أن رفع رأسه انقض عليه سامر فاستطاع مالك بالكاد أن يصد ضربته.. وظل سامر يهاجم مالك بضراوة ومالك لا يستطيع فعل شيء سوى الدفاع ومحاولة تفادي الضربات التي أصابته الكثير منها... كان الفرق في مستوى المهارة بينهما شاسعًا وظلّا هكذا حتى أُنهك سامر مالك من كثرة ضرباته... كان شعور مالك بالألم أضعاف العادي ولم يستطع التحمل فتمكن سامر من توجيه ضربة قاتلة نحو صدر مالك

ثم طعنه في كتفه وبعدها لوح بسيفه فتسبب بجرح عميق لمالك فتح بطنه.. فسقط مالك على الأرض وكاد يغمى عليه من شدة الألم فقد فَقَدَ الكثير من الدماء وأصبحت رؤيته غير واضحة.. كان يشعر بأنه يحتضر وأدرك سامر أن مالك قد انتهى أمره فابتعد عنه وأعطاه ظهره وقال: " لا بد أن أمك العاهرة نادمة أنها أنجبت داعرًا مثلك لهذا العالم أيها الحثالة " وهمّ بالرحيل...

تأجج غضب مالك وثار.. كان حانقًا كاد ينفجر من الغضب.. لم يعد يفكر إلا في شيء واحد فقط لا يرى غيره.. أبدًا لن يترك ذلك الوغد سامر يبقى على قيد الحياة... اندفع مالك نحو سامر بالرغم من كل ما يشعر به من ألم وضرب سامر بسيفه فتسببت بجرح في ظهره واستدار سامر للخلف فأمسك مالك بقميصه وألقاه على الأرض ووجه سيفه نحو رقبته لكن سامر بادره بطعنةٍ اخترقت جسده فسكن مالك... وحينها صاح سامر وهو يخرج سيفه من جسد مالك قائلًا: " كيف لك أن تجرحني أيها الحقير الضعيف... هذا جزاؤك يا أحمق كل ما فعلته هو أنك عجلت بموتك " ولكن مالك لم يمت بعد ووجه لسامر نظرات مخيفة أثارت رعبه فارتجف سامر وصاح يقول:

- " مستحيل كيف يمكن أن تكون حيًا بعد؟!!.. من أنت يا هذا؟!! "

= " لا أعرف حقًا ما يحدث لي أيها الوغد... لكن هناك شيء واحدٌ أعرفه.. هو أنني لن أدعك تبقى حيًا!! " رد مالك بصوت غليظ ونظرات مخيفة وفي تلك اللحظة فُتح عليهم باب الغرفة.

كانت الأميرة خائفةً وحزينةً للغاية بعد تصرف مالك الذي ما زال طارق بالنسبة لها.. وظلت تفكر بما سيفعله سامر مع طارق وكانت قلقةً كثيرًا...

ثم أخذت تمسح دموعها وهدأت في مكانها دون كلام والقلق يقتلها، وبعد أن صمتت طويلًا أخذت تسأل مجد وجلال عما إذا كانا يعرفان شيئًا حيال ما حدث؟، وما الذي يريده سامر من طارق؟، وهل حدث شيء لطارق قبل أن يأتي هنا؟.. فأجاباها بعدم معرفة أي شيء عمَّا تقوله.. ولم تستطع الأميرة أن تظل جالسة هكذا من كثرة القلق فقررت أن تذهب لتتفقد ما يحدث وأخذت معها الصندوق لتقدمه لطارق لعل هذا قد يجعله ينصت لها.

دخلت الأميرة عليه وقد وجدت الأميرة آية سامر ملقًا على الأرض ومالك الذي تسيل منه الدماء دون توقف ممسك بسامر بيده اليسرى من قميصه ويوجه سيفه الذي بيده اليمنى نحو رقبته تعلو وجهه نظرات غضب مجنون.. حينها صاحت:

-" توقف!!!.. ما بك يا طارق؟!! ما الذي يحدث معك؟!!.. أرجوك توقف لو كنت أخطأت بحقك أرجوك سامحني.. فقط توقف!!!! "

لمح سامر الصندوق بين يدي الأميرة فأسرع يقول لها : = " خذي المشعل الذي بقربك وأحرقي ذلك الصندوق أيتها الأميرة إنه يحاول قتلي ولن تنفع معه الكلمات.. هيا أسرعي!!! "

* " كفاك سخفًا لا تدعي البراءة أيتها الحقيرة... لن تنطلي علي خدعك مرة أخرى فأنت تريدين قتلي والتخلص مني " رد مالك بغضب.

- " ما الذي تقوله؟!!.. لما لا تتوقف عن قول ذلك الكلام؟!!.. لا أريد أن أراك هكذا لا تجعلني أكرهك أرجوك " ردت وهي تبكي بشدة

* " لقد سئمت منك ومن كلامك الفارغ.. فلن تدركي مقدار حنقي

وغيظي لما فعله والدك بي!!.. لن تدركي مقدار ما عانيت!!.. لن تدركي الشعور بالوحدة والخوف والذعر من جميع الناس لأنهم يرونك فريسة سهلة فلا يمكنك أن تلجئي لأحد!!.. لن تدركي أبدًا مقدار الألم عندما يبيعك ويتخلى عنك الشخص الذي تصلك به روابط الدم!!!... قد أخبرتك أيضًا أيتها العقربة أنا لست طارق بل أنا مالك فتوقفِ عن ادعاء الغباء!!!! " رد مالك وهو يصرخ فيها

= " هيا أسرعي أحرقي ذلك الصندوق سوف يقتلني ذلك المجنون " قال سامر

- " أنا آسفة حقا يا طارق لا أعلم ماذا أقول لك ولكن توقف.. أنت تقطع قلبي أرجوك لا تفعل هذا بعد أن أحببتك.. أحببتك كثيرًا... توقف!!! " ردت وهي لا تنقطع عن البكاء

* " لما لا تتوقفين أنت عن الكذب والتمثيل؟!!.. قلت لكِ لقد أخبرني من في القصر سابقًا أنك تحبين هذا الحقير سامر وقد اعترفتي بذلك.. لذا سأقتله وسأجعلك تشعرين بألم فقدان من تحبين!!!! " رد مالك ثم رفع سيفه ليقطع رقبة سامر.

= " هيا أسرعي!!!! " قال سامر

حينها تحرك مجد من خلف الأميرة بسرعة والتقط منها الصندوق عنوة وأشعله فوقع السيف من يد مالك وسقط جسده على سامر بعد أن أفلت سيفه وظلَّ ملقًا عليه دون حركة... فقدت الأميرة السيطرة على نفسها بعد ما فعلته وعلا صوتها بالصراخ والبكاء واضعةً يديها على خديها وجسدها يرتجف بقوة... ثم أزاح سامر جسد مالك من عليه واتجه نحو الأميرة

وضمها إليه، وهي تبكي ممسكة بقميصه ونظرها موجه لمالك تمد يدها ناحيته وكأنها لا تصدق أنه قد مات بل قد شعرت بأنها من قتلته بجلبها ذلك الصندوق... أخذ سامر يواسيها ثم طلب منها أن تنهض وتخرج معه من هذه الغرفة، وعندما خرجا وجدا مجد وجلال ينتظرانهما بالخارج.

بعد مرور القليل من الوقت...

" ما الذي حدث لي؟ أشعر بغثيان شديد وأريد أن أتقيأ وما الذي أفعله هنا؟!... صحيح تلك الأميرة الحمقاء قد أشعلت الصندوق ولكنني لم أمت كما قالت يبدو أنها كانت تخدعني بذلك... لقد كنت أحمقًا للغاية لأصدق سخافةً مثل هذه... يبدو أن هناك أشخاص حولي ما الذي يفعلونه؟.. تبًا أنا لا أستطيع أن أرى جيدًا كل شيء غير واضح... ما الذي يتحدثون بشأنه؟... يبدو أن شيئًا قد سقط منهم وهو يتدحرج نحوي ما هو ذلك الشيء؟!..... ياللهول!!!.. كلا ذلك مستحيل كيف يمكن ذلك؟!!! كيف؟!!!!.. لقد!!!.. لقد!!!!.... "... حَرْقُ ذلك الصندوق لم يقتل مالك كما قيل له لكن ما حدث هو أنه قد حمل جسده فوق طاقته وما لا يقوى عليه أي جسد عادي وفقد من دمائه الكثير فغاب عن الوعي رغمًا عنه في لحظة حرق الصندوق.. أما الأناس الذين كانوا حوله هما مجد وجلال، وأما الشيء الذي تدحرج نحو مالك وأثار رعبه.. كان رأس الأميرة المقطوع والذي كانت تعلوه ملامح وجهها الحزين المرتعب التي أثارت حزن مالك للغاية ومزقت قلبه.. إذًا هي كانت تحبه حقًا.. لقد كانت ضحيةً مثله.

- " إن هذه الأميرة كانت تمتلك حقا جسدًا رائعا يا رجل " قال جلال

= " كنت أريد أن أستمتع معها أكثر.. لقد بدا وجهها رائعًا بعد أن

جردناها من ملابسها " رد مجد

- " تلك الأميرة حمقاء للغاية لم تتوقع أبدًا أن نفعل بها هذا "

= " لقد كانت مثيرة للشفقة فكانت تبكي وتستنجد بذلك الوغد مالك وكأنه قد يعود إلى الحياة وظلَّت تقول أنا آسفة وسامحني وكل هذا الهراء "

- " لا أعلم ما الذي جعلها تحب ذلك الحثالة... لكن كانت خسارة حقًا أننا لم نأخذ كفايتنا في الاستمتاع بها "

= " أنت السبب في قطع متعتنا معها... لقد كنت أريد ان أعاشرها قليلًا يا رجل ما كان عليك فعل ذلك فنحن لم نفعل شيئًا سوى أننا قد تحسسنا جسدها وعبثنا به قليلًا "

- " كنت لتفعل نفس الشيء أيها الأحمق لقد عضتني حتى خرج الدم من يدي فأثارت غضبي وأخذت أضرب رأسها في الحائط فقط لتترك يدي ولكن تلك العنيدة ظلت متمسكة بقوة... أنا لم أقصد قتلها حقًا "

= " حسنًا لا بأس فهناك الكثير من النساء غيرها... يجب أن نسرع ونحرق هذين الاثنين الآن لنلحق بسامر "

" ما الذي يقولانه هذان الوغدان؟!!!.. إنهما من أكثر الناس حقارة الذين قد مروا عليّ كيف يفعلان ذلك بآية!!!... لقد كانت تحبني حقًا لم تكن تكذب لقد ظلمتها وقد ماتت بسبب غبائي... لماذا لم أستمع لها من البداية؟!!! لماذا؟!!!!.. لقد كنت أحمقا للغاية... كانت تقول سامحني!!! أنا هو الوغد الذي يجب عليه أن يتأسف!!!... أما هذان الاثنان فلن أعفو عنهما أبدا!!!.. سأقتلهما سأجعلهما يدفعان الثمن!!!.. سأقتلهما هنا والآن!!!..

ستكون نهايتهما على يدي أنا!!!!.. فقط سأقتلهما!!!!! " كان ذلك ما يفكر به مالك حتى أتى مجد وأمسك مالك من شعره وقال لجلال: " بقي الآن أن نصلب ذلك الحثالة كما أمرنا سامر... معنا عشرة قضبان حديدية سنثبته على الحائط بوضع قضيب في كل كتف وقضيبين في كل ذراع وقضيبين في كل رجل.. ثم نشعل هذا المكان ونرحل " وبعد أن أنهى مجد كلماته أسرع مالك وسحب سيف مجد من غمده وطعنه به في بطنه فاقترب جلال ليضرب مالك... لكن مالك رفس مجد نحوه وسقطا كليهما على الأرض ثم ركل مالك يد جلال التي تحمل السيف وأخذ يدوس على وجهيهما بقوة ثم بدأ يطعنهما بالسيف وأخذا يصرخان يطلبان رحمة مالك... لكن طلبهما ذاك كان يثير غضبه أكثر ويجعله يزيد عليهما ضربًا بالسيف وركلًا في وجهيهما حتى هشمهما وشوه شكليهما فأصبح لا يمكن التعرف عليهما ثم قال مالك لهما وعيناه تشتعل غضبًا: " لسوء حظكما.. أنا لم أمت بعد!!!!.. فلتموتا من أجلي إذًا!!!!! "... قطع مالك رجليهما وركلهما بعيدًا... ثم توجه نحو مجد وداس مالك بقدميه على ذراعي ذلك الوغد.. ثم أدخل السيف في عنقه وتعالا صوته بالصراخ وأخذ يتلوى لكن مالك لم يخرج السيف من حلقه حتى مات وتوقف عن الحركة، وقد رأى جلال ذلك فأخذ يرتجف من الرعب ويصرخ طلبًا للنجدة حتى اقترب منه مالك فأخذ يتوسل إليه ويترجاه يطلب عفوه وقبل قدمي مالك وهو يبكي لكن مالك بادله بنظرات باردة وفعل به كما فعل مع مجد.

كان مالك قد لاحظ في هذا اليوم أن حراس المنزل الملكي قد تم تغييرهم بحراس جدد لا يعرفهم ولم يلق لذلك بالًا فهو لم يعلم أنهم من أتباع سامر المخلصين والذين عيَّنهم في ذلَك اليوم ليتكتموا على ما حدث ويزوروه

ليظهر أن سامر ذاك ليس له يدٌ فيه.. وعندما سمع هؤلاء الحراس صوت صراخ مجد وجلال ذهبوا إليهما ليتفقدوا أمرهما وبعد أن وصلوا وجدوا مالك مضرجًا بالدماء ينظر إلى جثة الأميرة ساكنًا جامدًا لا يتحرك والتي كان منظرها مروعًا بحق كان ينظر إلى جسدها العاري المجرد من الملابس الذي مُزقت أطرافه وقطع نصف جسدها العلوي عن السفلي كما قد فصل رأسها عن جسدها.. كان ثغرها مفتوحًا وطبعت على وجهها علامات بكائها الشديد كما قد فقئت عيناها ونزع شعرها عنوة حتى خرجت الدماء من رأسها... كان مالك يحترق قلبه في هذه اللحظة من الغيظ والندم وكانت عيناه لا تتوقف عن البكاء وكاد أن يفقد عقله بل قد فقده بالفعل ولم يعد يرى شيئًا أمامه لم يعد يميز أحدًا... قد اجتمع الجنود حوله ليقتلوه فثار وهاج عليهم وأخذ يقتل كل من يجده أمامه منهم لا يبالي بما يصيبه من الضربات يقتل من أمامه بأسلوب هائج وحشي وكأنه قد فقد إنسانيته ولم يعد من البشر.. قد اخترق جسده عدة سيوف وتلقى ضربات كانت من المفترض أن تجعله يخر صريعًا لكنه ظل يقتل من أمامه دون مبالاة بما يحدث له ولألمه الذي كان مضاعفًا جدًا.. قرر أن يشق طريقه نحو ذلك الوغد سامر فتوغل وقتل عددًا كبيرًا من الحراس حتى وجده وتمكن من اللحاق به واستطاع الاقتراب منه فأصبح على مسافة ضئيلةٍ منه.

ما كان مثيرًا للريبة أن سامر لم يكن متفاجئًا للغاية من رؤيته لمالك لم يفعل شيئًا سوى أنه قد أمر الشخص الذي بجانبه أن يوقف مالك.. ولم يستطع مالك أن يتبين ذلك الشخص والغريب أن ذلك الشخص لم يكن مسلحًا وقد اقترب منه مالك مسرعًا كما اقترب منه ذلك الشخص وهو يقول: " توقف يا.... ".. كل ما كان في بال مالك هو أنه لن يدع أحدًا أبدًا يوقفه

أيًا كان حتى يشبع رغبته بقتل ذلك الوغد سامر فطعن مالك ذلك الرجل في صدره بعدها صدم مالك بعدما تبين من هو ذلك الرجل ورأى وجهه، وأكمل ذلك الرجل " ... أخي طارق "... لقد كان ذلك الرجل هو ماهر الذي اعتبره مالك واحدًا من أقرب الناس إليه بعد مكوثه في هذا المكان وما مرا به.. كان ماهر ذاك هو أعز شخص له هنا، وأكمل ماهر كلامه " لماذا فعلت هذا يا طارق؟!!... لطالما قمت بأشياء لا أفهمها ودائماً ما كان لها أسبابها ولم تخبرني بها... لكن هذه المرة حقًا لماذا فعلت هذا يا رجل؟!!! "

قد قال ماهر تلك الكلمات وهو يحتضن مالك حتى انتهى منها وفارق الحياة ولم تعد تقوى قدميه على الوقوف فكاد أن يسقط فتمسك به مالك وأخذ يصرخ ويصرخ حتى كادت حنجرته أن تتمزق من شدة الصراخ... لم يعد عقله قادرًا على تحمل كل هذا.. كان كل ما حدث كثيرًا جدًا عليه.. قد كره نفسه وأصبح يمقتها للغاية.. وظل يبكي ويبكي متمسكًا بشدة بجسد ماهر.

ولكن سامر ذاك لن يترك مالك وشأنه فقط لأمر كهذا فعندما رأى سامر مالك وهو في هذه الحالة صاح سامر قائلًا " أطلقوا " فإذا بسيل من الأسهم ينهمر على مالك وجسد ماهر الميت جعل كلاهما يسقطان على الأرض... بعدها أمر سامر بتقييد مالك وجعل بعض الحراس يقومون بتثبيته على الأرض حتى لا يتحرك ثم قال سامر " قد أخبرتك أنك لا تعرفني جيدًا فهذا جزاؤك أيها الحثالة حينما تحاول أن تعبث معي أيها الحقير الأدنى من الحشرات... لا أعلم ما الذي جعل تلك العاهرة تحب حشرة وضيعة مثلك لهذه الدرجة ولكن لا يهم ذلك فنهايتك ستكون بائسة للغاية... عندما

خرجت معي تلك العاهرة كانت لا تنفك عن البكاء عليك... لما لا أحكي لك إذا ما الذي قالته؟! "

***

كانت الأميرة آية لا تنفك عن البكاء بعد أن خرجت من الغرفة وقلبها كان يتقطع لشعورها بفظاعة ما قد فعلته ثم أخذت تكلم نفسها تهذي وكأن طارق يقف أمامها:

- " لماذا قد فعلت هذا؟!! لما وصلت الأمور لهذا الحد؟!! أنا فظيعة فظيعة للغاية ليتني ما فعلت ذلك!!!... لماذا؟!! لماذا جعلتني أحبك؟!! لماذا؟!!!.. أرجوك سامحني أرجوك أنا آسفة حقًا!!!... لا يمكن أن يكون هناك أبدًا أمر أسوأ من هذا!!!!... أنا حقًا.... "

= " كلا بل يوجد ما هو أسوأ أيتها الحقيرة... لأنك سوف تموتين هنا والآن " رد سامر وهو ينظر إليها ببرود

- " ما الذي تقوله؟!! لماذا تتحدث إلي هكذا؟!!! " ردت آية وهي تنظر لسامر باستغراب شديد وهي تبكي

= " أريد أن أخبرك أيتها العاهرة الباكية أن السبب في كل ما حدث للآن هو أنت... لقد كنت كثيرًا ما تحاولين التودد لي والآن قد أحببت ذلك الحثالة... لا أهتم لذلك ولا لما يدور في عقلك الأحمق الصغير فأنا لم أحبك أبدًا بل كنت أكرهك وأمقتك كثيرًا والآن استعدي لنهايتك!!! "

فور أن سمعت الأميرة ما قاله حاولت أن تلطمه على وجهه... ولكن سامر استطاع أن يمسك يدها وقام برفسها برجله فسقطت على الأرض بقوة

ثم أمر مجد وجلال بأن يجهزا عليها فتقدم مجد قليلًا نحو سامر ونظر إليه بنظرات وابتسامة خبيثة ثم قال:

– " لكن أيها القائد نحن نريد طلبا قبل ذلك... نريد أن نفعلها معها أولًا ألا تمانع ذلك؟ "

فبادله سامر تلك النظرات والابتسامة ورد عليه: = " حسنًا افعلا ما تريدان ولكن لا تتأخرا " ثم غادر سامر وتركهما لحالهما.

أخذت دموعها تنهمر من عينيها... لم تعد قادرة على تحمل كل ما حدث... لا تسطيع تصديق أنها كانت تكن مشاعرًا لذلك الوغد وأن حياته قد أُنقذت على حساب طارق... لقد حانت نهايتها.. هذا ما اعتقدته.. وبضعفها قد قتلت الشخص الذي أحبته وكان يهتم لأمرها فعلًا... شعرت بأنها شخص مريع للغاية.. وكان ندمها يقتلها حقًا... ترى هذين الوغدين مجد وجلال يتقدمان إليها ببطء بنظرات شهوانية.. " أرجوك يا طارق.. أنقذني "... قالتها بالرغم من أنها تعلم أن الأموات لا يمكن أن يعودوا للحياة مجددًا... ربما قالتها لأنها تتمنى لو يحدث هذا... كانت مشفقة على نفسها فهي الآن تستنجد بمن قتلته بضعفها.. بمن أحبته حقًا.. وزاد ذلك من ألمها.

***

بعد أن انتهى سامر من رواية ما حدث قال لمالك: " أتريد أن أخبرك بما كانا يريدان فعله؟ " حينها تذكر مالك منظر الأميرة وحديث هذين الرجلين فعلا صوته بالصراخ والعويل بقوة وهو يشعر بحسرة وحرقة شديدة أما سامر فقد بادله بالابتسام وقال " أووه يبدو أنك تعلم ذلك بالفعل... ولكن اعلم يا مالك الوغد أنك أنت السبب في كل ما حدث أنت الملام على مقتل

الأميرة وماهر لا يمكنك أن تنكر ذلك لم يكن ليحدث ذلك لولا وجودك أنت أيها العاهر... فأنت هو سبب كل هذا "... لقد كذب سامر حيال أن مالك سبب كل هذا فقد خطط سامر سابقًا أن يتخلص من الأميرة وكل من يقف في طريقه سواء في وجود مالك أم لا... لكنه أراد أن يزيد على مالك ألمه وعذابه وحزنه ومشاعره المتضاربة التي توجعه وتزيد من حرقة ألمه... ثم أمر عددًا من الجنود أن يطعنوا مالك بسيوفهم في آن واحد فصرخ مالك إزاء ذلك صرخة قوية ولكنها انقطعت في منتصفها.. بعدها عم الهدوء في المكان بعد أن سكن مالك ولم يعد يتحرك فكانت هذه (النهاية).

أمر سامر حراسه أن يقوموا بتصليب مالك كما طلب من مجد وجلال ثم أمرهم بإحراق المنزل الملكي والذي ذُهل لرؤية ذلك الحريق جميع من في لارن فقاطع عليهم احتفالهم بالنصر وفرحتهم بعودة روسال... ادعى سامر بعد ذلك أمام أهل لارن محاولته إخماد هذا الحريق وفشله في إنقاذ من فيه واعتذر إليهم لخسارة الأميرة وبطل الحرب طارق ورفيقه ماهر ومجد وجلال وكذلك بعض الجنود الذين معهم، تصَّنع الحزن وشعوره بالذنب على فقدانهم ثم جمع الناس ليصلوا الجنازة عليهم وجعل هذا المنزل الملكي ضريحًا وقبرًا لهم... بهذا انقلبت في تلك الليلة أفراح الناس إلى أحزان وآلام، وتقلد سامر بعد ذلك حكم البلاد إذ كان صاحب أكبر سلطة في البلاد بعد الحاكم فذهب له الحكم تلقائيًا ولم يعترض الناس على ذلك فكانوا يرونه جديرًا بحكم هذه البلاد وأنه خير من يتولاه.

الفصل الثامن : العهد الجديد

- " ما الذي يعنيه ذلك يا ملك دولة (ماعن)؟ أنت لم تدفع لي إلا نصف ما اتفقنا عليه " قال ساندور

= " أرجوك اعذرني أيها السيد لقد تعرضنا لحادث مروع فقد أُحرقت حقولنا ونهبت مخازننا فلم نستطع جمع ما يكفي من المال أرجوك اعفُ عنا " رد ملك ماعن

- " أمر العفو ليس بيدي أنتم الآن تحت حمايتنا... وأنتم أيها المسلمون من رفض السجود لأبناء الإله وعبادتهم وأوامري قد اقتضت بالقضاء على كل من لا يدفع "

= " أرجوك ألا يوجد هناك حل آخر؟ ألا يمكنك تأجيل موعد الدفع قليلًا؟ "

- " كلا ليس هناك حل آخر أنصحكم بالاستسلام للموت لأنه بعد أسبوع سوف نستولي على هذه الدولة ونقتل كل من نجده فيها "

= " أرجوك ألا يمكنك فقط أن تزيد مهلتنا قليلًا؟ "

- " كلا لا يمكنني قد انتهى كلامي وسأذهب الآن "

= " أرجوك انتظر أرجوك "

حينها دخل أحد الحراس ليطلب الإذن لدخول.. رجل من أتباع ذلك

الرجل (ساندور) الذي كان يحدث ملك ماعن.. فدخل ذلك الرجل وهمس في أذن ساندور وبعد أن انتهى توجه ساندور نحو ملك ماعن وقال:

- " يبدو أن الحظ قد حالفك أيها الملك... سوف نتغاضى عن تقصيركم هذا ولكن بشرط واحد... يجب عليك أن تعطيني ألف عبدٍ بالإضافة إلى كل ما جمعت من مال حتى الآن.. وسأبقى هنا حتى يتم جمع العبيد وبذلك سأمهلكم شهرًا من الآن لتكملوا جمع ما بقي عليكم دفعه "

= " ولكن.."

- " بدون لكن هذا هو عرضي النهائي... والآن أرشدني إلى غرفتي فأنا أريد أن ارتاح قليلًا ولا أريد أن يزعجني شيء أثناء بقائي هنا فصدقني ستندم على ذلك "

= " حـ... حسنا "

بعد أن خرج ساندور أخذ الملك يفكر فيما سيفعله بخصوص هذه المشكلة العويصة " يقول هذا الرجل أنه سيمهلنا شهرًا فقط!!! لن نستطيع أبدا توفير ما يحتاج في هذا الوقت القصير... كما أنه يريد ألف عبد مقابل هذه المهلة يمكن أن نعطيه ممن نحتفظ بهم في سجوننا ولكن ذلك لن يكفي... إذا ما الذي يمكن فعله حيال هذا؟!! "

بعد ذلك قرر الملك أن يجمع كل من لم يستطع أن يدفع ما عليه وكذلك من لم يدفعوا إلا القليل وقرر أن يكمل بهم عدد العبيد، وقد سخطت أهالي هؤلاء الناس كثيرًا واحتجوا على ذلك بشدة... أما الآخرون من سكان ماعن فكانوا يسمعون ويرون مقدار البؤس الذي شعر به هؤلاء الناس لكنهم لم

يشاركوهم في احتجاجهم لم يفعلوا شيئًا سوى أنهم واسوهم قليلًا.. فبقية أهل ماعن رضوا لهم ذلك وحمدوا الله أنهم ليسوا من هؤلاء بل إن بعضهم قد قال أنهم يستحقون ذلك.. أن هؤلاء تضحية ضرورية لأجل هذه البلاد وتركوهم يعانون وكأن الدائرة لن تدور عليهم... (طالما أن الأمر لن يضرني أنا فهو لا يعنيني).. قد تعلقوا بهذا المعتقد السخيف الذي دائمًا ما تكون تبعاته أسوأ ما يمكن.

- " لقد انتهوا يا سيدي ساندور من جمع العبيد أظن أن وقت الرحيل قد حان " قال أحد أتباع ساندور

= " هذا جيد لقد استطعنا أن نجمع مقدارًا كبيرًا من المال من هؤلاء الحمقى... " تعالت ضحكات ساندور بالضحك في هذه اللحظة وأكمل قائلًا " يقول ذلك الملك المغفل أنهم قد تعرضوا لحادث أدى لعجزه عن دفع المال كاملًا ذلك الأحمق لا يعلم أنني أعرف ذلك سلفًا... فنحن من قام بفعل ذلك " رد عليه ساندور وهو يشرب الخمر

فور أن انتهى ساندور من حديثه سمع طرقًا من الباب فصمت قليلًا ثم أشار لتابعه أن يفتح الباب فوجد ملك ماعن (خالد) يقف أمامه، فاعتدل ساندور في جلسته وأشار له ليجلس بجانبه ثم قال الملك:

- " لقد سمعت كل شيء يا ساندور "

= " وما الذي ستفعله حيال ذلك يا خالد؟!! " رد عليه ساندور بصوت غليظ وبنظرات صارمة

- " لن أفعل شيئًا "

= " ما الذي تعنيه؟!! " رد ساندور متعجبًا

- " لا أريد أن أعبث معك فأنا لا أريد افتعال المشاكل مع أبناء الإله "

= " إذا ما الذي تريده؟ "

- " أنت تحب المال أليس كذلك؟ "

= " بدأ حديثك يعجبني يا هذا... هيا أكمل " رد ساندور وهو يبتسم بخبث

- " قد اتفقت مع الوزراء وسنعطيك مبلغًا جيدًا مقابل أن تدعنا نحن نغادر هذه البلاد سالمين دون أذى "

= " حسنًا هذا جيد ولكن ماذا عن شعبك وبلادك؟ "

- " افعل ما تريده مع هؤلاء الحثالة فأنتم كنتم ستستولون على هذه البلاد على أي حال "

= " إذا سوف أقتلهم جميعًا وربما قد أستعبد بعضهم فقد سمعت أن هذه البلاد بها العديد من النساء المثيرات فلا ضير ببعض المتعة أليس كذلك؟ "

- " افعل ما تشاء... فأنا لا أهتم بأمر أولئك العامة القذرة "

= " هذا رائع للغاية... لكن أتريدني الالتزام بتلك المهلة التي حددناها أم لا؟ "

- " لا يهمني ذلك طالما قد خرجت سالمًا "

= " هذا جيد للغاية لقد أثرت إعجابي بك حقًا أيها الملك خالد "... وقف كلاهما وتصافحا ثم ذهب الملك وأمر وزراءه بالاستعداد للرحيل مع

ساندور ليفروا من هذه البلاد مع أهاليهم.

غادر الملك والوزراء وتركوا الدولة تنقلب رأسًا على عقب خاصةً بعد اقتراب جيش بقيادة ساندور من ماعن بعد بضعة أيام من رحيل الملك ورأى أهل ماعن ذَلك الجيش.. جيش أبناء الإله... هلعوا وساد الرعب والفزع في المدينة وأخذوا يصرخون "كيف حدث ذلك؟!! ".. " لم تنتهِ المهلة بعد لقد خدعونا!!! ".. " يجب أن نهرب بسرعة وإلا سنموت!!! ".. " يبدو أن مصيرنا هو الموت يجب أن نستسلم لذلك " فعمت الفوضى في كل أرجاء المدينة.

حاول كل من معه عربة أن يلوذ بالفرار من هذه المدينة وأخذ العديد من سكان ماعن يلحون عليهم أن يأخذوهم معهم.. ولكن هؤلاء الأوغاد استغلوا هذا الموقف العصيب واشترطوا المال مقابل اصطحابهم.. كانت البلاد في حالةٍ شديدة من الفقر فكانت فئة قليلة من السكان هم من يستطيعون الدفع ليهربوا مع أهلهم أما معظمهم فلم يستطيعوا أن يجدوا عربة ليهربوا بها.. قام نبلاء البلاد والأثرياء ذوو النفوذ بالاستحواذ على هذه العربات لأنفسهم فكانوا يدفعون مبلغًا كبيرًا لأصحاب العربات ليجعلوهم في خدمتهم هم فقط.. وكان أغلبهم يستأجر عربتين.. عربة يضع بها ذلك الثري بها زوجته وأولاده فقط مع أنها كانت تتسع لمزيد من الناس لكنه رفض مشاركتها مع أحد لأنه لا يريد لأهله أن يختلطوا مع هؤلاء العامة الحثالة، أما العربة الأخرى فيركب هو بها بعد أن يضع بها بضاعته وأدواته الثمينة وأمواله.

حاول بضعة قليلة من جنود ماعن أن يتشجعوا ويقوموا بالتصدي لجيش

ساندور لكن رؤيتهم وهم يتم قتلهم بسهولة وكأنهم مجرد بعوض قد جعلت بقية الجنود يفقدون أي أمل يمكنهم التعلق به فيأسوا جميعًا وهرعوا هربًا من هذه المعركة البائسة واتجهوا نحو أصحاب العربات يهددونهم بسيوفهم ليحملوهم معهم وينطلقوا بهم بعيدًا... ثم اقتحم جيش ساندور المدينة ولم يبقَ إلا عدد قليل من العربات تهافت عليها أهل ماعن وكان من بين هؤلاء زوجين معهما طفليهما (مصطفى) و(رنيم) استطاعا بأعجوبة أن يجدا مكانا لطفليهما في إحدى تلك العربات، وكان بها صديقهم (مروان) الذي ائتمنوه عليهما لكنهما لم يركبا معهما فلم يكن معهما ما يكفي من المال إلا لطفليهما فقط.. وعندما رأت رنيم والديها يبتعدان عنهما صرخت تقول:

- " إلى أين تذهبان يا أمي ويا أبي.. لما لا تركبان معنا؟!! "

= " هناك شيء يجب علينا أن نقوم به لا تقلقا سنكون بخير " رد والدهما

- " ما هو ذلك الشيء؟!!! " صرخت رنيم وهي تبكي

= " لا أستطيع أن أخبرك يا صغيرتي رنيم أرجوك فقط ابقي مع العم مروان في العربة فهو سيأخذكم إلى (أرناس) هناك سوف تجديننا "

أدار والدها ظهره وشرع بالابتعاد عن العربة وكانت أمها تمشي بجواره تضع رأسها على كتف زوجها وهي تبكي أثناء رحيلهما، كذلك كانت رنيم ذات التسع سنوات تبكي وتصرخ تنادي عليهما وأخوها الصغير مصطفى لا ينفك عن البكاء والصراخ أيضًا، أما والدهما فكان بالكاد يمسك دموعه ويحاول أن يصبر نفسه على هذا.

- " هناك من استطاع الهرب بالعربات أيها القائد ولا نعلم ما إن كنا

سنستطيع اللحاق بهم أم لا؟؟ "

= " لا تلقي بالًا لهم فقد قتلنا الكثير منهم وجمعنا عددًا لا بأس به من العبيد " رد ساندور

- " أنتركهم يهربون إذا؟! "

= " كلا لن نفعل ذلك فأنا لدي فكرة أظن أنها فرصة جيدة لإطلاق ذلك الوحش.. أطلقوا ذا الرؤوس!! "

كان ذو الرؤوس ذاك كلبًا أسودًا ضخمًا بثلاث رؤوس وكان حجمه يفوق حجم العربة بكثير.. كل رأس لها فكين قويين للغاية يستطيع أن يقضم بها الحديد.. كذلك كان يقدر على تحطيم الجدران لشدة صلابة جسده.. وكان يتألف شعر ذيله من الأفاعي.. وقد عرف في الأساطير اليونانية باسم سيربيروس حارس بوابة العالم السفلي...

كان ذو الرؤوس حبيسًا لعدة أيام وكان جائعًا للغاية.. يمقت البشر كثيرًا لأن هؤلاء الجنود قد قاموا بتعذيبه وتجويعه، وفور أن أطلقوا سراحه وراء الأسوار هاج وأكل من حوله من الجنود ثم أخذ يجري وراء أقرب عربة يشتم فيها رائحة البشر بلعابه السائل وشراهته الكبيرة البادية عليه.. ولسوء الحظ كانت هذه العربة هي التي بها رنيم ومصطفى.

قد حل المساء وقد اقتربت تلك العربة من الأرض المهجورة التي لا يجرؤ أحد على الدخول إليها والتي كان يغشى كل من يقترب منها شعور بالكآبة والضيق منها... قد رأى بعض الركاب الذين في الخلف ذلك الوحش ذي الرؤوس يلحق بهم ففزعوا وانتابهم الهلع وأمروا السائق بأن يسرع بأكبر

قدر ممكن فأسرع السائق وقد ارتبك كثيرًا وقلق بشدة نتيجةً للاضطراب الذي يحدث في العربة ولم يلحظ تلك الصخرة الكبيرة التي أمامه فارتطمت بها إحدى عجلات العربة فتحطمت العربة وانقلبت... عندما نهض الناس وجدوا ذلك الوحش قد اقترب كثيرًا فسادت حالة من الهلع والرعب وهرعوا إلى تلك الأرض المهجورة بدون تفكير، وكان رنيم ومصطفى يركضان في خوف شديد وهما يبكيان ويزداد رعبهما عندما يلتفتان ويريان ذلك الوحش يأكل ويهاجم كل من يتمكن منه ويقترب أكثر منهما.. كانا يستنجدان بوالديهما وهما يصرخان بعدما تخلى مروان ذاك عنهما وهرب بعيدًا.. فقط قد أرادا بشفقة ويأس والديهما.

رأى رنيم ومصطفى بعض الناس يتجهون إلى منزلٍ ضخم مهجور قد تصدعت جدرانه فاتجها إليه معهم وحمدا الله بعد أن وصلا إلى هذا المنزل وظنا أنهما سيكونان بأمان فيه... صعدا لإحدى الغرف في الطابق الأعلى وقررا أن يختبئا فيها وجلسا في أحد أركان تلك الغرفة وهما يبكيان يقولان " أين أبي؟!!.. أين أمي؟!!! ".

سكت هذين الطفلين وأصيبا بخوف شديد بعد أن سمعا صراخ رجل يأتي من خارج الغرفة ولم يمض إلا القليل ورأيا أحد بابي الغرفة يُفتح ودخل إليها ذلك الرجل ولكن الجدار تحطم عليه وقد امتلأ المكان بالغبار من ذلك التحطم... ثم انكشف بعد قليل فوجدا الوحش ذو الرؤوس يثبت ذلك الرجل على الأرض بإحدى قدميه والرجل لا يتوقف عن الصراخ وطلب النجدة ثم أنزل ذلك الوحش أحد رؤوسه نحو الرجل ومزق نصف جسده العلوي بأنيابه وابتلعه بعد أن تناثرت أحشاؤه ثم التهم بنهم النصف الآخر.

كانا يرتجفان من شدة الخوف.. كادا يتقيآن.. لم يقويا على الحراك.. وضعا أيديهما على أفواههما ليمنعا نفسيهما من الصراخ.. ثم لمحا عيني ذلك الوحش تنظر إليهما بعد أن اشتم رائحتهما.. فأسرعا ليهربا من باب الغرفة الآخر يجريان يريدان العيش بالرغم من أنهما يظنان أن ذلك مستحيل بوجود وحش لا يقف شيء في وجهه والذي يخترق الجدران بتحطيمها... وبينما هما يجريان تعثر الصغير مصطفى ووقع على الأرض...

تمكن ذلك الوحش من مصطفى ووقف ذلك الوحش أمامه ينظر إليه ووقعت عيني مصطفى في عينيه وقد انعقد لسانه وعجز عن الكلام.. سمع صوت أخته تصرخ تطلب منه أن يهرب ولكنه لا يستطيع فقد أصيبت قدمه ونظر إلى أخته فوجدها تقذف ذلك الوحش بالحجارة فمد إليها يده وهو يصرخ ينادي اسمها ولكن قد فات الأوان... رأت رنيم رأس أخيها يتحطم بأحد أنياب الوحش ودماؤه قد انفجرت على الأرض... رأت ذلك الوحش وهو يلتهم جسد أخيها أمام عينيها يمزقه ويمضغه بشراهة تسمع صوت عظامه وهي تتحطم ترى ذلك الجنون في عيون ذلك الوحش... ارتجفت قدماها وأصيبت بقشعريرة شديدة... جثت على ركبتيها ثم أسندت ظهرها على الحائط الذي خلفها بعد أن استسلمت ويئست.. فلا مفر الآن... أخذ الوحش يقترب نحوها ببطء وعندما وقف أمامها وهمّ بأن يلتهمها شم رائحة غريبة قد أثارت جنونه وهيجانه وكانت آتية من خلف الحائط الذي كانت تستند رنيم عليه.. فحطم ذو الرؤوس ذلك الحائط واتجه مسرعًا نحو مصدر هذه الرائحة... فتساءلت رنيم لما قد فعل الوحش هذا؟!! لكن سرعان ما سمعت صوت صراخ رجل آخر ربما هي محظوظة فقط لا أكثر.

تَعِبَت.. لقد تعبت للغاية ولم تعد تقوى على الهرب.. تلك الطفلة الصغيرة قد يئست وفقدت الرغبة في الحياة فلم يعد هناك شيء تستطيع فعله سوى الاستسلام للموت وانتظار مصيرها المؤلم جالسة على الأرض الباردة تبكي تدعو الله وهي تسمع صراخ ذلك الرجل الذي يزيدها خوفًا ورعبًا لأنها تعلم أنه عندما يتوقف صراخه سيحين دورها... ثم قطع عليها حالتها تلك سماع ذلك الرجل يصيح قائلًا " ابتعد عني أيها الكلب الحقير وإلا قتلتك الآن!!!!".. ما الذي يتفوه به ذلك الأحمق؟!!.. كيف يجرؤ على قول هذا؟!!.. ألا يدرك ما يمر به؟!!!.. فثار فضول رنيم حيال ذلك المعتوه وقررت أن تلقي نظرة لترى ما يحدث فوجدت رجلًا شاحبًا بلحيةٍ كبيرة مغطًا بالدماء يأخذ أنفاسه بصعوبة يقف وسط كومة كبيرةٍ من العظام والجماجم.. يقف الوحش أمامه يتربص للهجوم عليه في أي لحظة، وكلاهما يحملان تلك النظرات المرعبة المجنونة، فسقطت رنيم من ذلك المنظر المرعب الذي رأته وقد سمع ذلك الرجل صوت ارتطامها فرمقها بنظرة مخيفة جعلت قلبها يدق بسرعة كبيرة " يا إلهي متى سينتهي كل هذا؟!!!.. أنا أريد أبي.. أريد أمي.. لم أعد قادرة على التحمل.. يا الله ساعدني "

***

" لقد فقدت الشعور بالزمن... كل الأيام سيان بالنسبة لي... لا أستطيع الرؤية بوضوح لا أعلم كم مضى من الوقت على آخر مرة قد رأيت فيها الضوء... بالكاد أستطيع التنفس والشيء الوحيد الذي أسمعه هو الهدوء التام... أشعر أن جسدي ضعيف للغاية وبأني خفيف كالورقة ولا أستطيع الحراك... أشعر بالعطش الشديد كذلك أنا جائع ويمكنني أن أكل أي شيء

أنا جائع للغاية..... يبدو أن هناك شيء ما في الخارج.. لا بد أنها هلاوسي مجددًا فمن المستحيــ.. ما هذا الشيء؟!! لقد حطم الجدار كيف فعل هذا؟!!!.. لا يمكنني أن أراه جيدًا لا أستطيع أن أتبين ما هو ربما يكون.... " كان ذلك ما يدور ببال ذلك الرجل قبل أن يهجم ذو الرؤوس عليه محطماً جزءًا من الجدار الذي خلفه واستطاع أن يمزق يده اليسرى ويقتلعها عن جسده ويبتلعها فجن جنون الوحش بعد ذلك وأخذ ينقض عليه بشراسة.

علا صراخ ذلك الرجل من ألمه الذي كان كفيلًا بأن يحث جسده على الحراك فركل ذلك الوحش في عنقه وسقط الرجل على الأرض وحاول أن يدفع الأرض بقدمه ليبتعد عن ذلك الوحش... رأى ذلك الوحش وهو يلتهم ذراعه اليسرى وسمع عواءه الشديد المثير للهلع.. أخذ ينقض الوحش عليه بهمجية بألسنته المتدلدلة التي يسيل منها لعابه وحاول الرجل أن يتفادى هجوم ذلك الوحش لكن ألمه كان يقيد حركته... فشل وطُرح أرضًا بعد أن أصابه الوحش بأحد كفيه ثم قام بتثبيت نصف جسده السفلي وشرع الرأس الأوسط بأن يلتهم ذلك الرجل.. لكن الرجل قد رفع الجزء العلوي من جسده وأمسك بحلق ذلك الرأس بشدة بيده اليمنى فتألم الوحش بشدة.. هجم كلا الرأسين الأيمن والأيسر على ذلك الرجل واخترقت أنيابهما جسده فزاد ذلك من حدة صراخه وقوة إطباق يده اليمنى على حلق الوحش، وظلا هكذا لبضع ثوان حتى قذف الوحش الرجل بعيدًا عنه فاصطدم جسده بالجدار ولكن الرجل قام من على الأرض غاضبًا للغاية وصاح في تلك اللحظة قائلًا " ابتعد عني أيها الكلب الحقير وإلا قتلتك الآن!!!! " وهو ينظر إلى الوحش بحنق... ثم لمح تلك الطفلة الصغيرة التي كانت تنظر إليه من وراء ذلك الجدار المحطم وكان بالقرب منها سيفٌ ملقًا على الأرض فقال لها

وهو يصيح " أنت أيتها الطفلة أسرعي وارم لي ذلك السيف هيا أسرعي!!! " فحاولت تلك الطفلة أن ترمي له السيفَ ولكنه كان ثقيلًا عليها لتحمله فقال لها " حاولي أن تدفعيه ناحيتي أسرعي وافعلي شيئًا ما!!!! " فرفعت تلك الطفلة السيف عن الأرض قليلًا ودفعته ناحيته... لكنه لم يصل إليه ولم يكن الوحش رحيمًا ليدعهما يفعلان ما يريدان ففور أن رفعت الطفلة السيف هجم على الرجل فقفز الرجل بعيدًا عنه وجرى نحو السيف والتقطه.

كان هناك جداران قد حطمهما ذلك الوحش الجدار الذي حطمه ليدخل الغرفة والثاني الذي حطم جزءًا كبيرًا منه في أول هجمة له على ذلك الرجل والتي أفقدته ذراعه اليسرى... كان ما يفكر به الرجل هو أن يحاول دفع ذلك الوحش خلال تلك الفتحة الكبيرة في الجدار الثاني ليسقط خارج المنزل ويلقى حتفه، فاتجه إليها ووقف أمامها.. هي فرصة واحدة فقط فليس أمامه إلا حالتين فقط يمكن أن يحددهما مصيره.. إما أن يستدرج ذلك الوحش إليه ويسقطا معًا.. أو أن يحالفه الحظ وينجو من هذا بطريقة ما بالحالة المزرية تلك التي وصل إليها جسده... فلم يملك شيئًا يفعله سوى أن يراهن على حياته ويرى ما سيحدث...

- " ما بالك أيها الوغد؟!!!.. هيا هلمّ إلي!!!!! "

زمجر ذلك الوحش بغضب جامح وانطلق نحوه بجنون وحاول ذلك الرجل أن يتفادى الوحش كما فعل سابقًا ولكن الوحش أصابه بمخالبه في صدره مهشمًا عظامه ومحطمًا جزءًا إضافيًا من الجدار فسقط ذو الرؤوس وذلك الرجل معًا... كانت الطفلة الصغيرة تراقب في ذهول ما يحدث وظنت أن هذه هي نهايتهما ولم تمضِ إلا لحظات قليلة وسمعت صوت سعال...

- " لا تقفي مكانك أيتها الحمقاء تعالي وساعديني!!! " قال الرجل وهو يصيح...

لمحت الطفلة ذلك السيف المغروز في الأرض بالقرب من فتحة الجدار والذي تمسكه يد ذلك الرجل فأسرعت إليه تحاول سحبه وهو يحاول أن يرفع نفسه... لقد تمكن ذلك الرجل من النجاة بأعجوبة وحالما تمكن من الصعود ألقى نفسه على الأرض وأخذ يلتقط أنفاسه ثم قال وهو يمسح جبينه:

- " يا رجل لقد كان ذلك مخيفًا للغاية "

التفت الرجل فوجد تلك الطفلة جاثيةً على ركبتيها تنظر إليه في ذهول بعينين متسعتين وكأنها لا تصدق ما تراه ثم وضعت يديها على فمها وشرعت بالبكاء بصوت عالٍ وبحرقةٍ شديدة فقام ذلك الرجل واعتدل في جلسته وقال:

- " ما بالك أيتها الصغيرة؟!.. لم تبكين الآن؟!! "

= " لقد افترقت أنا وأخي الصغير عن أبي وأمي ثم طاردنا ذلك الوحش والتهم رجلًا أمامنا فأسرعنا وهربنا منه.... ثم تمكن من أخي والتهمه أيضًا وقد يئست بعد ذلك وظننت أن اليوم سأموت حتى ظهرت أنت أيها العم أنا.... أنا لا أستطيع تصديق ما أراه ولا أستطيع تحمل كل هذا!!!.... أنا خائفة ومرتعبة كثيرًا!!! " ردت عليه وهي تبكي بصوت متقطع متهدج

- " لا بأس أيتها الصغيرة لا بأس لقد انتهى الأمر الآن أعلم أن الأمر صعب عليك للغاية ولكن اطمئني وامسحي دموعك فأنت الآن في أمان...

أخبريني أيتها الصغيرة ما اسمك؟ "

= " أنا رنيم وما اسمك أنت يا عم؟ " ردت وهي تحاول أن تمسح دموعها التي ما زالت تنهمر تفعل ما بوسعها لتجمع شتات نفسها.

- " أنا اسمي مالك "

رفعت رنيم رأسها لترى مالك ولكنها اضطربت مما رأته فقد لاحظت جراحه البليغة من أثار مخالب الوحش التي امتدت على صدره وكذلك الثقوب في جسده من أنياب ذلك الوحش والدم الذي يسيل من ذراعه اليسرى المقطوعة.. وقد تساقطت بعض قطرات دمائه على يديها، فهلعت وشحب وجهها وشعرت بالمرض فظلت تتقيأ حتى أصابها الإغماء من منظر الدماء وجراح مالك... لقد عانت تلك الطفلة كثيرًا ولم تعد تتحمل كل هذا فلم تتمالك نفسها عندما رأت منظر مالك فما مرت به اليوم كان فوق طاقتها.

كان مالك يشعر بالضيق بشدة في هذا المكان وقرر أنه من المستحيل عليه أن يمكث الليلة فيه ففضل النوم في الخلاء على أن ينام هنا... حمل الطفلة رنيم وأخذ السيف معه ثم خرج بها من ذلك المنزل المشؤوم وعند خروجه لمح غابة لا تبعد كثيرًا عنه فذهب إليها ليبتعد عن هذا المكان، وعندما وصل استند على جذع شجرة ووضع الطفلة رنيم بجانبه... ثم بدأ يسترجع ذكريات ما حل به بعد أن هزمه سامر.

" لم تكن تكذب... لقد كانت تحبني حقًا وأنا كنت السبب في موتها أتمنى حقًا لو كنت استمعت لها وتوقفت... أشعر وكأن سيفًا مغروزًا في صدري وأني مختنق لا أستطيع التنفس... قتلت ماهر بيدي قتلته ويا ليت الأرض ابتلعتني قبل أن أفعل ذلك... ليس هناك شيء يضاهي هذا الإحساس

بالذنب والندم الذي لا يفارقني وحتى أن آلام جسدي لا شيء مقارنة به... لا أعلم لما بقي شخص مثلي على قيد الحياة؟!!.. شخص يستحق الموت بأفظع الطرق.... هذه الحرقة هذا الألم هذه الاضطرابات.. هذا ما شعرت به أول ما فتحت عيني وأنا مصلب في تلك الغرفة المغلقة الذي كان منفذها الوحيد هو الباب المهترئ الذي كان يقع في الحائط المقابل لي وأنا محاط بجثث كل من قتلت... بقيت على قيد الحياة وعاد يراودني ذلك الكابوس عن أولئك الأشخاص الذين يقطعون جسدي ويلقونه لذلك الوحش الذين كانوا يسجدون له وأيضًا لقد حلمت بهما.. حلمت بآية وماهر وزاد ذلك علي ألمي ومعاناتي... ظللت أبكي كل يوم حتى جفَّ الدمع من عيني ولم يعد بمقدوري البكاء.. وبدأت أشعر أنني اعتدت على كل هذا الألم... أرى كل يوم تلك الجثث بنظراتهم الفارغة وأشعر أنهم يحدقون بي... أرمق أجسادهم وهي تتعفن أمامي حتى انبعثت رائحتهم الكريهة وملأت المكان.. أرى الديدان والحشرات تخرج من أفواههم وأجزاء أجسادهم وبقيت أراقبهم هكذا حتى لم يبقَ من جثثهم شيءٌ إلا عظامهم... ثم قضيت بقية أيامي أحدق في العظام والجماجم في ذلك الصمت التام حتى كدت أفقد عقلي... كم من الوقت تستغرقه الجثة حتى تتعفن وتتحلل حتى لا يبقى منها إلا العظام؟ بضعة أسابيع ربما أشهر أو سنة ولكن هذا مبالغ فيه فكيف لي أن أبقى حيًا على هذا الوضع كل هذه المدة؟!!!.. يا رجل سحقًا لكل شيء "

ظلّ هكذا لساعات يشعر بحزن شديد ثم أمسك مالك السيف الذي قاتل به الوحش وقد كان ذلك السيف هو الذي أهدته إياه الأميرة آية والذي قتل به أولئك الأشخاص من لارن سابقًا، واستغرب أن نصله ومقبضه ما زالا كما هما ولم يهترئا مع مرور الزمن فتساءل عن المادة التي صنع منها هذا السيف،

ولكن سرعان ما استغرق في النوم وقد هنئ بنوم عميق قد افتقده منذ مدة دون أن تراوده كوابيس في هذه الليلة.

استيقظ مالك في الصباح على صراخ رنيم ووجدها قد ابتعدت عنه قليلًا فقال لها بعد أن جلس:

- " ما الأمر الآن؟! لماذا تصرخين؟!! "

= " يدك!!!... يدك!!!! " ردت وهي تشير إلى يده اليسرى

- " ما بها؟! ما الغريب بيدي؟!! لا أرى أن بها شيئًا يستحق الصراخ لأجله!! " رد مالك وهو يرفع يده اليسرى...

حينها صُعق مالك عندما رأى يده.. لقد عادت إليه ألم يقتلعها ذلك الوحش والتهمها أمام عينيه؟!!! فكيف لها أن تعود إذًا؟!!! ولاحظ أيضًا أن جراحه كلها قد التأمت وشفيت تمامًا!!!... ثم نظر إلى رنيم وقد بدت خائفة وقالت له:

- " من تكون يا عم؟!!! "

= " لا شيء مجرد رجل عادي "

- " فكيف إذا عادت إليك.... "

= " لا تلقي بالا لهذا الأمر؟ سنتحدث به لاحقًا.... ما رأيك أن نبحث الآن عن بعض الطعام؟ ألست جائعة؟ "

لم يرد مالك الحديث في هذا الموضوع فهو نفسه لا يعلم ما قد حدث معه فأراد أن يغير ما يتحدثان عنه وأخذ يماطلها حتى تنسى الأمر وأيضًا لقد كان

بالفعل جائعًا للغاية... سألها وهما يبحثان في الغابة عمَّا حدث معها وتعجب عندما قالت له اسم ماعن فهو لم يسمع عن هذه الدولة من قبل وقد شعر بأمر مريب حيال هذه الغابة فهو لا يذكر أنها كانت موجودة هنا سابقًا.. وبينما هما يمشيان سمع مالك صوت ماء يجري فقرر الذهاب إليه وكما توقع وجد نهرًا فقام بالشرب منه هو ورنيم وحاول الاصطياد منه، وبعد محاولات كثيرة استطاع أخيرًا صيد سمكتين وقام بطهوهما وأكلهما هو ورنيم.

تذكر مالك أن هناك قرية كانت توجد بالقرب من هذه المنطقة يمكن الذهاب إليها سيرًا فتوجه إلى تلك القرية وفي طريقهما أكملت رنيم لمالك ما حدث معها، وكانت تلح على مالك أن يساعدها في الوصول لوالديها ومالك يحاول أن يتهرب من ذلك فهو لا يريد أن يورط نفسه معها.. لكن الطفلة لم تتوقف عن الإلحاح حتى وافق مالك في النهاية فسعدت الطفلة رنيم لذلك كثيرًا وقال مالك:

- " لكن لا تفرحي كثيرًا فقد أرميك للذئاب في أي وقت "

= " كلا لن تفعل ذلك " ردت وهي تبتسم

- " ما الذي يجعلك واثقة من هذا؟ "

= " لأنك طيب للغاية يا عم مالك "

- " كلا أنا لست طيبًا بل أنا مخيف كثيرًا وقد قتلت العديد من الناس من قبل "

= " ولكن ذلك لا يظهر عليك فوجهك يبدو شاحبًا دائمًا كالمرضى "

- " أستطيع أن أرى أنك حذقة ومزعجة قليلًا " ثم قال بصوت منخفض

" ليت ذلك الوحش التهمك كما التهم أخاك لكنت قد ارتحت الآن "

لم يرد مالك أن تسمع رنيم الجزء الأخير من كلامه الذي أخفض فيه صوته ولكنها قد سمعت فسكتت ولم ترد عليه وظهرت عليها علامات الحزن فلاحظ مالك ذلك واعتذر لها وأخبرها بأنه لم يقصد ما قاله... ثم طلب منها أن تحكي له عن بيتها وأصدقائها وما تحبه وتريد التحدث عنه فاستمرت بالحديث معه، وبعد فترة أخذا يتجادلان ويتشاجران مع بعضهما واستغرقا في ذلك حتى وصلا لتلك القرية بحلول المساء.

بعد وصولهما إلى قرية (شوسر) أخذ مالك يسأل الناس عن مكان يقيم فيه هذه الليلة فدلوه على نزل تؤجره فتاة للمسافرين ليمكثوا فيه وكان اسم هذه الفتاة (رقية) شابة في العشرينات من عمرها، لكن مالك لم يكن يملك أي مال وبالرغم من ذلك فقد ذهب إليها لعله قد يصل معها لاتفاق يغنيه عن دفع المال.

وصل مالك إلى ذلك النزل وأخذ يطرق على بابه وبعد قليل خرجت له فتاة من البيت المجاور وكانت هي رقية فألقت عليهم السلام وطلبت منهم الدخول ثم أشعلت المصباح، وكان ذلك النزل الذي تؤجره يتكون من صالة وحمامين وخمس غرف كل غرفة لها مفتاح خاص يأخذه المستأجر بعد أن يدفع المال.

– " أنا سعيدة برؤيتكما فأنا لم يأتني زوار منذ مدة طويلة " قالت رقية

= " آسف على إزعاجك في هذا الوقت أيتها السيدة... ولكن أسمعت عن ماعن وما حدث بها؟ " رد مالك

- " نعم لقد سمعت عنها ماذا في ذلك؟ "

= " نحن في الواقع اثنان من الناجين منها ولا نملك أي مال لندفعه لك لكن لا تقلقي الآن سأتدبر الأمر غدًا "

- " حسنًا لا تلقي بالًا لهذا فأنا سأبيع هذا النزل على أي حال ولا أمانع بقاءكما فيه ولكن أود منك أن تساعدني في بعض الأشياء "

= " أشكرك للغاية لقد ساعدتنا كثيرًا "

- " لكني قد سمعت أن كل من نجى من ماعن قد توجهوا إلى مدينة (أرناس) فكيف وصلت إلى هنا؟!! وأرناس في الطريق المعاكس!! "

= " إنها قصة طويلة لا أفضل أن أذكرها الآن "

- " يبدو أنكما قد مررتما بوقت عصيب... وكذلك يبدو أنكما جائعين للغاية أتريدان بعض الطعام؟ "

* " نعم أرجوكِ يا سيدتي فأنا لم آكل منذ الصباح سوى سمكة اصطادها مالك وقد كان طعمها مقرفًا جدًا فهو لا يجيد الطهو " قالت رنيم

= " ما الذي تقولينه أيتها الحمقاء؟! يجب أن تشكريني على ذلك أيضًا أنا السيد مالك بالنسبة لك أين هو احترامي؟ "

* " كلا لن أقول لك ذلك أنت دائمًا ما تنعتني بالحمقاء توقف عن ذلك وسأظهر لك بعض الاحترام "

= " أنتِ تثيرين غيظي أيتها الطفلة "

- " حسنًا سأترككما الآن وأجلب لكما بعض الطعام حاولا أن تتوافقا

حالما أعود "

غادرت رقية وظل مالك ورنيم يتشاجران ويتبادلان الحديث مع بعضهما حتى علا صوتهما وحينها قد عادت رقية ومعها الطعام فهدأ كلاهما وأخذا يتناولانه...

= " أريدك أن تخبريني يا سيدة رقية كم من المال تأخذين في الليلة " قال مالك

- " أنا آخذ مقابل الليلة خمسين جال لكن لا تقلق يمكنك الدفع حالما يكون معك مال "

= " ما هو ذاك الجال؟!! "

- " أنت تمزح أليس كذلك؟!.. من المستحيل ألا تعرف العملة التي يتعامل بها العالم!! "

= " كلا أنا لا أعلم عنها شيئًا " رد مالك وضحكت رنيم التي كانت تأكل بجانبه.. ثمٍ أخرجت رقية بضعة أوراق وأشارت له لإحداها وقالت أنها تكافئ جالاً واحدًا ثم أخبرته عن كم جال تكافئه الأوراق الأخرى وفقًا للأرقام المكتوبة عليها.

- " كانت تتغير الرموز والأشكال على هذه الأوراق كل بضعة أعوام وهذه آخر ما طُبع من هذه النقود منذ خمسة أعوام كما يقول التاريخ المكتوب عليها "

= " إذًا لقد أصبح العالم يتعامل بالأوراق الآن ولكن ما الذي تعنيه بأن آخر ما طُبع منها منذ خمسة أعوام.. من المستحيـ.... " رد مالك وقد توقف

في منتصف كلامه مفزوعًا يشعر بالذهول بعد أن تسمر في مكانه وهو ينظر للتاريخ الموجود على تلك الورقة بعينين جاحظتين مستغرقا في التفكير "كيف ذلك؟!! هذا لا يعقل أبدًا كنت أظن أن بقائي بضعة أشهر في ذلك المكان أمر مستحيل!!!.. هل يسخرون مني أم ماذا؟!!!... هذا التاريخ يدل على أنه قد مر علي في ذلك المكان أكثر من خمسين عامًا!!!.. أمرت كل هذه السنين منذ ما حدث معي في ذلك المنزل الكبير في لارن؟!!!... هذه حماقة!!!!.. هذا جنون!!!!! "

- " ما بالك يا مالك؟!.. أهناك شيء ما؟ "

= " أخبريني يا رقية في أي عام نحن " رد مالك وهو ينظر إليها بعينين فارغتين وكأنه لا يصدق ما رآه وفور أن أخبرته بالعام الذي هم فيه وضع يده على رأسه واتسعت عيناه وبدأ يهتز مضطربًا يقول: = " أكاد أفقد عقلي سأصاب بالجنون وكيف لا أصاب بالجنون؟!!! وكل هذه الحماقة تحدث معي... أنت تخدعينني أليس كذلك؟!! "

- " ما بك يا مالك؟! ما الذي تقوله؟!.. أنت تبدو غريبًا الآن هل أنت مريض أم ماذا؟!! "

= " كلا بتاتًا ليس هناك شيء مهم... من فضلك أخبريني ما الذي تعلمينه عن لارن؟ "

- " أتعني الأرض المهجورة؟!.. القليل فقط هم من يعرفون هذا الاسم والذي أخبرني عنه هو جدي... تلك الأرض لا يجرؤ أحد على الاقتراب منها خصوصًا ذلك المنزل الكبير الذي بها فالناس يشعرون بالقشعريرة عندما يمرون بها "

= " إذا هل تعلمين شيئًا عن شخص يدعى سامر بن مراد الجارح؟ "

– " إنه أحد وكلاء الحرب الذين يعاونون أبناء الإله وهو ذو نفوذ وسلطة وقوة كبيرة فالكل قد سمع به "

= " إذًا ذلك الوغد ما زال على قيد الحياة... سوف أريك أيها الحقير!!!.. لقد سئمت من لوم نفسي سأجعلك تدفع الثمن سأنهي على حياتك أيها العاهر!!!... لكن أولًا أخبريني الآن من هم أولئك الحمقى الذين يدعون أنفسهم بأبناء الإله؟ "

– " ما الذي تقوله؟!!!.. لا يجب أن تتحدث هكذا عنهم أبدًا فسوف تتورط في مصائب إذا استمريت بذلك... وما كل تلك الأسئلة التي تسألها؟!! ألم تكن تعيش في هذا العالم أم ماذا؟!! "

= " نعم شيء من هذا القبيل "

– "ما الذي جعلك تتحدث هكذا عن وكيل الحرب سامر؟!!.. أتعرفه؟! هل هناك شيء بينك وبينه؟! "

= " سأقتله!!!! "

– " ألم أخبرك ألا تتفوه بهذا الكلام؟!!.. أتريد أن تلقى حتفك؟!! "

= " دعكِ من كل هذا فقط أخبريني عن أبناء الإله الذين ذكرتهم "

ثم شرعت رقية تحكي لمالك عن أبناء الإله...

بعد مرور ما يقارب أربع سنوات على ما حدث لمالك في لارن... كان هناك خمس دول يعتبرهم العالم الأقوى في ذلك الحين واجتمع حكام كل

دولة منهم وقرروا أن يشكلوا تحالفًا معًا ويتحدوا لتكوين منظمة تمثل العالم وأوكلوا لأنفسهم الاهتمام بالمشاكل التي تحدث فيه... ثم بدأوا ينظرون لأنفسهم دونًا عن الناس بأنهم خير من الحثالة التي تملأ هذا العالم حتى ادعوا بأنهم يملكونه وكانوا دائمًا ما يقولون بأنهم المصطفون الذين فضلهم الإله على غيرهم.. " لماذا نحن قد ولدنا ملوكًا وقد أصبحنا نحن أقوى من في الأرض في حين أن باقي العالم يولدون فقط ليكونوا من الحثالة القذرة الذين يملؤونه كالحشرات؟!!!.. لماذا؟!!!... هناك معنًا واحد فقط لهذا.. نحن الذين اختارهم الإله ليحكموا هذا العالم لأن الإله لم يكن ليمنح هذه المكانة لأي كان.. نحن أبناؤه!!!!.. نحن هم الوحيدون الذين لهم هذا الحق ليكونوا حكّام الأرض والسماء أما أنتم أيها الحثالة القذرة قد وجدتم لتعبدونا وننزل عليكم أحكامنا!!!! ".. كان هذا رد أحدهم على أحد حكام الدول الذي قد أتى ليحاورهم وقد كان معارضًا لهم قبل أن يقتلوه ويمثلوا بجسده ليكون رسالة للعالم أجمع بأن هذا مصير من يعارضهم ويقف في وجههم...

ثار حكام الدول الأخرى ضد هؤلاء المتعجرفين الأوغاد وأعلنوا الحرب عليهم حتى يلقنوهم درسًا ويجعلونهم يعرفون مكانتهم الحقيقية بعد أن تمادوا إلى هذا الحد، وظن هؤلاء المتعجرفون بأن ذلك قد أصبح خطرًا عليهم وأنهم قد لا يستطيعون مواجهة كلٍ هؤلاء الذي قد ثاروا ضدهم دفعة واحدة لوحدهم، فاقترح أحدهم حلًا لهذه المشكلة وهو أن يضموا المزيد إليهم...

ولكن هؤلاء لم يريدوا أن يشاركهم أحد من القذرين الحقيرين في لقبهم الذي أطلقوه على أنفسهم فمن المستحيل أن يجعلوا أحد هؤلاء الحثالة

نظيرًا لهم لذا فقد عرضوا لقب وكيل الحرب لمن سينضم لجانبهم وبعثوا للقوى الكبرى التي تستطيع أن تنافسهم... استطاعوا جمع ستة وكلاء وكان من بينهم سامر بن مراد الجارح الذي كان من أوائل مرشحيهم، وكان لا يشترط هذا اللقب على فئة من الناس بل كانوا يعرضونه على حكام وقراصنة ومجرمين وقطاع طرق ورجال عصابات.. لا يهم من يكونون ما يهم فقط هو القوة التي يتمتعون بها والتي يريدون استغلالها مقابل تقديم امتيازات لهم بفعل أي شيء يريدونه في أي مكان بشرط ألا تتعارض مع رغباتهم رغبات أبناء الإله الحمقى.. فكان يحق لهم القتل والسرقة والنهب بالإضافة للسلطة والنفوذ التي حصلوا عليها، وقد تركهم أبناء الإله يتكفلون بأمر من يعارضهم مع جيوشهم...

انتهى الأمر بأن فرض أبناء الإله سيطرتهم على العالم ولم يعد هناك أحد يستطيع أن يتعرض لهم بسوء أبدًا... احتكروا ما في العالم كله لأنفسهم وأصدروا تلك العملة الورقية التي أسموها (جال) وكانوا يفرضون مبالغ طائلة على كل دولة لا تعترف بهم وترفض عبادتهم بعد أن أصدروا تعاليما دينية خاصة بهم.. تطاولوا على الكثيرين في هذا العالم مدعين بأن لهم الحق في ذلك، وكانت ماعن إحدى الدول التي دُمرت جراء تخلفها عن دفع ما عليها بعدما أوقع بهم ساندور فأصبح العالم الآن بين يدي من يسمون أنفسهم بأبناء الإله.. أمامك فقط أن تعبدهم أو أن تدفع الثمن.. فلم يملك أحد القوة الكافية لمعارضتهم وعكف الكثيرون على عبادتهم والخضوع إليهم والتذلل لهم.

الفصل التاسع : الطبيب المجنون

بعد أن انتهت رقية من إخبار مالك بما يريد معرفته عن أبناء الإله دخل عليهم رجل كبير في السن ذو بنية قوية نوعا ما.. في يده زجاجة من الخمر ويترنح في مشيته.. ثم اقترب من مالك فبصق في وجهه وحطم الزجاجة على رأسه وأخذ يضحك فغضب مالك وأمسكه من قميصه وصاح بوجهه قائلًا:

- " كيف تجرؤ على فعل هذا أيها الوغد؟!.. ما بك؟!! "

= " توقف أرجوك هو لم يقصد ذلك " ردت رقية.

- " ألم تري ما قد فعله للتو؟!! "

= " اتركه أرجوك.. إنه أبي!!! "

- " حسنًا اعذريني على ذلك سوف أتركه... ولكن يجب عليك أن تمنعيه من الشراب لو كان دائمًا يثمل لهذه الدرجة "

= " لقد حاولت ولكنه لا يستمع لي... فهو قد فقد عقله.. أنا آسفة هو دائمًا ما يسبب المشاكل.. أرجوك اعذره " ردت وقد بدت حزينةً للغاية وسمع مالك ذلك الرجل يهذي خلفه

- " ما الذي جعله هكذا؟ "

= " حسنًا.. لقد كان طبيبًا ماهرًا ونال قدرًا كبيرًا من الشهرة وكان أهل

القرية دائماً ما يتفاخرون بأبي (حسان) وكونه ابن قريتهم لكن في أحد الأيام أصاب القرية وباء غريب وكان أبي مسافرا في ذلك الوقت... ثم عاد وأخبر القرية أنه توصل لعلاج هذا الوباء ففرح أهل القرية كثيرًا وتسارعوا إليه يبتغون العلاج بتلهف.. ولكنه قد فشل ولقى الكثيرون حتفهم ثم أتوا جميعهم يلقون اللوم على أبي ويسبونه أما هو فقد ظلّ ملازمًا غرفته يشعر بالإحباط ومرت بضعة أيام على هذا ثم بعد ذلك خرج واختفى لمدة وعندما عاد أصبح كما تراه الآن.... لقد كنت دائماً معجبة بأبي في صغري وأردت أن أكون مثله عندما أكبر وقام أبي بتعليمي ما يعرفه عن الطب حتى صار يعتمد علي في الاهتمام بأهل القرية عندما يسافر أما الآن فجميعهم قد نبذونا ولم يتوقفوا عن احتقارنا ولعننا... أنا آسفةً لا أريد أن أستمر بالحديث بهذا الشأن لقد تأخر الوقت سأغادر الآن وأدعكما ترتاحان قليلًا " ردت وهي تحاول أن تمسك دموعها في البداية ولكن الحزن غلبها فبكت وهي تتحدث ثم ودعها مالك ورنيم وغادرت ومعها والدها.

في صباح اليوم التالي اعتذر مالك عن وقاحته بالأمس وقبلت رقية اعتذاره ثم طلب منها أداة ليحلق بها شعره، بعدها توجه للمرآة التي بالحمام وقام بحلاقة شعر خديه وسوالفه وترك شاربه وشعر ذقنه بعد أن خففهما وكذلك قام بقص بعض شعر رأسه واكتفى بتخفيفه حتى لا يستغرق وقتًا طويلًا، ثم همّ ليخرج بعد ذلك ويبحث عن عمل في حين ترك رنيم مع رقية لتساعدها فيما تحتاجه... لكن ملابسه كانت في حالة مزرية فأعارته رقية بعضًا من ثياب أبيها قبل خروجه.

بعد وقت طويل استطاع مالك إيجاد عمل في نقل البضائع وتحميلها على

العربات الكبيرة التي ستقوم بتوصيلها لوجهتها وكان العمل مجهدًا بحق واستمر العمل حوالي عشر ساعات... انتهى عمله بحلول المغرب وعاد للنزل بعد أن حصل على مائة جال...

في طريق عودته رأى مالك رجلًا كبيرًا في السن خارجًا من بيت رقية... كان يرتدي قبعة غريبة وملابسًا أكثر غرابة ويضع العديد من السلاسل حول رقبته كذلك لديه بضع أسنان ذهبية.. وقد بدا ذلك الرجل مبتسما وفرحًا عندما مر به.

ذلك الرجل الذي رآه مالك كان يدعوه أهل القرية بـ(القديس) أو (المبارك) واسم ذلك الرجل كان (عازف) وأهل القرية كانوا يحترمون ذلك الرجل ويقدرونه وكثيرًا ما كانوا يتبركون به ويلجؤون إليه في حل مشاكلهم.. كان محبوبًا للغاية بينهم وقد أتى إلى رقية ليتحدث معها بشأن والدها قبل عودة مالك.

- " لماذا لم تأتِ إلي لتأخذي العقار طالما أنه قد انتهى من عندك؟! " قال عازف

= " أنا آسفة فأنا لم يعد لدي مال لأستطيع شراءه منك " ردت رقية

- " لا تشغلي بالك بذلك يا ابنتي الأهم هو والدك أليس كذلك؟... خذي هذه القنينة لقد جلبت لك بعضًا من العقار فيها.. من المفترض أن تكفيكي لبضعة أيام وادفعي لي ثمنها لاحقًا "

- " أشكرك حقا أيها القديس أنا سعيدة كثيرًا بذلك " ردت وهي تبتسم

= " تذكري ما حدث له في آخر مرة لم يتجرع فيها العقار.. لا نريد لذلك

أن يتكرر فاحرصي إذا على أن يتناول بعضًا منه قبل أن ينام "

- " حسنًا يا سيدي لا تقلق "

= " كيف يجري أمر بيع النزل؟ ألم تخبريني أنك ستبيعينه وتتوقفين عن تأجيره؟ "

- " الأمر معلق حتى الآن فأنا لم أجد أحدًا يشتريه "

= " بكم تريدين بيع هذا النزل؟ "

- " أتمنى لو استطعت بيعه بسبعين ألف "

= " لا تقلقي إذا سأشتريه أنا منك بمائة ألف "

- " لا أعلم ماذا أقول لك يا سيدي لقد أنقذتني لن تعبر الكلمات عن مدى امتناني لك "

= " لا عليك فذلك أمر بسيط... ولكن أنا لدي حل آخر سيجنبك بيع النزل ويجعلك تحتفظين به وكذلك ستحصلين على المائة ألف جال "

- " وما هو ذلك الحل؟ "

= " أن توافقي على الزواج بي كما عرضت عليك سابقًا وستكون المائة ألف تلك هي مهرك ما رأيك بذلك؟ " قال وهو يبتسم لها بعد أن اقترب منها وأمسك يدها.

سحبت رقية يدها منه وتجنبت النظر إليه وردت: = " لا أستطيع الرد عليك الآن يا سيدي أرجوك أمهلني بعضًا من الوقت "

خرج ذلك الرجل عازف من عندها مبتسمًا وكانت تملؤه الثقة بأنها ستوافق

على الزواج منه ربما ليس الآن ولكن لاحقًا فإنها بالتأكيد ستأتي إليه موافقة، ولم يلحظ مرور مالك بالقرب منه بينما هو يمشي لاستغراقه في التفكير بذلك الأمر... كانت رقية قد ضاقت بالفعل من حالها فكان دائمًا ما يقع والدها في المشاكل ويأتي الكثيرون من أهل القرية إليها يشتكون منه ويطلبون تعويضًا مقابل ما فعله.. كذلك كان والدها يأخذ أموالها خلسة ويذهب لينفقها كلها فأصبحت تخبئها في أماكن عدة لكنه كان يجدها وإذا لم يفعل فإنه يثير الفوضى في البيت ولا يهدأ إلا بعد أن تعطيه بعضًا من المال، وفي آخر مرة قد أخذ فيها المال دون علمها لم يبقَ معها شيء إلا القليل من الطعام الذي قد يكفيهما لبضعة أيام فاضطرت للتفكير ببيع النزل بعد رفضها لهذه الفكرة دائمًا لتوفر المال.. لكنها لم تجد أحدًا يشتريه بعد فلم تعد تتحمل ما تمر به... قد رفضت عرض ذلك الرجل عازف سابقًا ولكن هذه المرة بدأت تفكر في هذا الأمر بجدية بأنها فعلًا قد تقبل الزواج منه فذلك الرجل هو الوحيد الذي ساعدها في وضعها الذي لا تحسد عليه، وهي أيضًا قد طفح بها الكيل من كل هذا فلم يعد يمكنها تحمل كل ذلك وحدها.

عاد مالك ووجد رنيم بانتظاره فاستقبلته وذهبت لإحضار بعض الطعام له وبعد أن جلبته طلب منها مالك أن تشاركه لكنها رفضت قائلةً بأنها قد سبقته بالأكل، وبعد أن انتهى مالك من تناول الطعام توجه ومعه رنيم نحو بيت رقية...

طرق عليها ثم أذنت له بالدخول وألقى عليها السلام ثم سألها عن كيف يستطيعون الذهاب لأرناس فأخبرته بذلك ثم أعطاها ما جمع اليوم من مال ليدفع مقابل هذه الليلة وليلة أمس وأخبرها بأنه قد يمكث هنا لبضعة أيام

أخرى حتى يستطيع تجهيز ما يريده ليستعد للذهاب، وفور أن انتهى من الكلام سمع مالك صوت طرقٍ على الباب فأسرعت رنيم لفتح الباب ووجدت رجلًا ضخمًا كبيرًا في السن خلفه وقال ذلك الرجل:

- " مرحبًا أهذا بيت الطبيب حسان؟ "

= " نعم تفضل بالدخول أيها السيد " ردت رقية ودخل الرجل وجلس بجوار مالك

- " أود أن أعرفك بنفسي... أنا محمد بن عباس أحد أصدقاء والدك وأيضًا كنت زميلا له في مهنته فأنا طبيب أيضًا... قد كنت في رحلة وصدف أن حدت عن طريقي ومررت بالقرب من قريتكم بسبب ما حدث في ماعن.. أود أن أراه كيف حاله؟ وأين هو الآن؟ "

= " في الواقع لا يمكنك رؤيته الآن "

- " لماذا؟ هل هناك خطب ما؟ "

= " فلنقل إنه مريض نوعًا ما "

- " كيف ذلك ولماذا لم تعالجيه؟!.. لقد حدثني والدك عنك كثيرًا ألست طبيبة أيضا؟!! "

= " لا أستطيع لا يمكنني فعل شيء له "

- " هل حالته صعبة للغاية؟ "

- " نعم إنها كذلك "

دخل عليهم بعض الرجال وألقوا والد رقية إلى داخل البيت أمامهم

وصاح أحدهم " ألم أخبرك أكثر من مرة أيتها الحقيرة أن تبعديه عني؟!! فلتحذري الآن لأنه في المرة القادمة التي سأراه فيها مجددًا سأقتله!!! ".. ثم أغلق الباب بقوة وغادر بعد أن بصق في وجه والدها، وقد بدا على والدها أنه تعرض لضرب مبرح وكان يتلوى على الأرض من شدة الألم.

صُدم الطبيب محمد من رؤية صديقه العزيز بهذه الحالة المزرية وعندما حاول أن يتكلم معه وجده يقول كلامًا لا معنى له وكان يتلعثم في العديد من الكلمات ولم يستطع حسان والد رقية التعرف عليه.. فاتجه الطبيب محمد لرقية يسألها عمَّا أوصله لهذه الدرجة فحكت له ما حدث معهما وعندما انتهت من قصتها سألها الطبيب محمد عن أعراض ذلك الوباء الذي فشل في علاجه فأخبرته بها وقد زاد ذلك من حرقته وحزنه على صديقه فقال لها:

- " أنا أعرف هذا الوباء الذي تتحدثين عنه... لم يفشل والدك بل إن علاجه كان فعالًا للغاية وقد أنقذ العديد من الناس " قال وهو يشعر بحزن وحنق شديد

= " ماذا تعني بذلك؟!!.. لقد لقى العديد من أهل القرية حتفهم نتيجة ذلك العلاج ما السبب الذي يجعلك تقول هذا؟!.. لا تجامله!!! "

- " أنا لا أجامله أيتها الغبية عليك أن تكوني أكثر ثقة بوالدك... أتريدين أن تعرفي لما قد قلت هذا لأنني قد كنت مصابًا بكل هذه الأعراض كلها ووالدك هو الذي أنقذ حياتي من هذا الوباء الذي تتحدثين عنه.. ثم طلبت منه أن يخبرني طريقة إعداد العلاج وقد نجى الكثيرون بفضله "

= " هذا مستحيل.. إذًا لماذا قد مات هؤلاء الناس؟!! "

- " هناك خطب آخر قد حل بهم.. أمر ليس له علاقة بوالدك قد تسبب بموتهم "

= " كفى لا أستطيع تحمل كل ما تقوله لا أريد أن أسمع المزيد فقط سأعطيه بعضًا من دوائه وأذهب لأنام " ردت وهي تشعر بالضيق والحنق ثم ذهبت لوالدها لتعطيه من العقار.

- " ما هذا الذي ستعطيه إياه؟ "

= " إنه عقار قد أعطاني إياه قديس القرية وهو الذي يجعل أبي هادئًا "

- " توقفِ وأعطني ذلك الشيء ألديك فكرة مما يتكون هذا الشيء؟ "

= " كلا.. ولكنه من صنع الرجل الذي استطاع إنقاذ هذه القرية وهو الوحيد الذي ساعدني وأنا واثقة أنه سيستطيع شفاء والدي ولن أعطيك إياه "

- " قلت لك أعطني ذلك الشيء ألست طبيبة أيضا؟!!.. يجب أن تكوني على دراية بأنه لا يمكنك أن تعطي المريض أي شيء دون أن تتأكدي ماهيته وما تأثيره!!! " رد محمد وقد بدا عليه الغضب وأخذ منها ذلك العقار بالقوة، وقرر الذهاب لذلك القديس الذي تحدثت عنه ليتحرى أمر ذلك العقار.

شهد مالك ورنيم كل ما حدث وقد قرر مالك ألا يتدخل ويدعهم وشأنهم فلم يتحدث معها وكل ما فعله بعد أن غادر ذلك الرجل هو أن استأذنها بالذهاب ولم ترد عليه فغادر في صمت هو ورنيم، وتركاها تجلس على الأرض تذم حالها بجوار والدها الذي أخذ يمسك رأسه ويصرخ من شدة الصداع الذي أصابه.

في صباح اليوم التالي قامت رقية وأعدت الإفطار ونادت على والدها ليأكل ولكنه لم يرد عليها فاستمرت تنادي عليه فذهبت إليه لتتفقده فسمعت في طريقها إليه صوته وهو يصرخ فأسرعت إليه ووجدته يمسك بصدره وثار عندما رآها وأمسكها من شعرها... أخذ يضربها بشدة فعلا صوتها بالصراخ.. حاولت أن تهرب منه ولكنه استطاع إمساكها وقام بدفعها بقوة فتحطم باب البيت وسقطت في الشارع.. ذهب إليها ورفعها من شعرها وظلَّ يضربها على رأسها حتى سالت الدماء منها...

استيقظ مالك من نومه على صراخهما فنهض بسرعة وذهب ليرى ما يحدث وعندما خرج من البيت وجد والد رقية يضربها على رأسها حتى فقدت وعيها وسقطت على الأرض فأخذ يركلها وقد اجتمع بعض الناس حولهما ليشاهدوا ما يحدث، فأسرع مالك نحو والدها ودفعه ليتوقف فقام بضرب مالك في بطنه فقاومه مالك وطرحه أرضًا فأخذ ذلك الرجل حسان يهذي ويشير بيديه يمنة ويسرة ومالك لا يفهم ما يقوله ثم نهض ذلك الرجل المجنون وهرب بعيدًا عنهم... قام مالك بحمل رقية ووضع بعض الضمادات عليها وانتظر حتى تستيقظ ولكنه سمع صوت طرق شديد فنهض ليرى من بالخارج...

- " أرجوك أوقف ذلك المجنون حسان!!!.. أرجوك سوف يقتل ابني!!! " قالت ذلك سيدة عجوز وهي تبكي.

كان بيت تلك العجوز قريبًا من بيت رقية وقد اقتحمه حسان وأخذ يحطم ما فيه فقام ابن تلك العجوز ليحاول منع حسان مما يفعله فانهال عليه حسان بالضرب، ولم تستطع تلك العجوز أن تفعل شيئًا سوى أن تستنجد

بأي أحد حولها ولكنها لم تجد أحدًا ليساعدها فاتجهت لبيت رقية فقابلها مالك وأخذت تترجاه بأن يساعدها...

وصفت تلك العجوز لمالك مكان بيتها وجرى مالك إليه ووجد ابن تلك العجوز مضرجًا بالدماء، فقام مالك بالتفريق بين حسان وابن العجوز وأخذ حسان يضرب مالك، فقام مالك بضربه هو الآخر حتى استطاع مالك أن يسقط حسان أرضًا مغماً عليه... ثم اعتذر مالك للعجوز عمَّا بدر من حسان والد رقية ولكنها أخذت تعاتبه وتلومه وتسبه ولم تتوقف عن ذلك فغادر مالك حاملًا حسان وترك تلك العجوز تقول ما تقول...

وضع مالك ذلك الرجل في غرفته في النزل وأوصد بابها عليه ثم ذهب إلى بيت رقية وأصلح بابه... بعد ذلك دخل البيت لتفقد رقية ووجدها قد استيقظت ورنيم كانت بجانبها تشربها بعضًا من الماء فجلس مالك وسألها عما جعل والدها يتصرف بهذا الشكل؟ فقالت:

- " العقار هو الذي سيهدئه أرجوك اذهب لعازف المبارك وحاول إقناعه بأن يعطيك بعضًا منه أرجوك "

وافق مالك على ما طلبته منه وذهب إلى ذلك الرجل بعد أن دلَّه الناس عليه، وقد كان يملك بيتًا كبيرًا بحق وكان يقف حارسان على بابه وسمعهما يقولان عندما اقترب منهما:

- " إذا هل تخلصتم منه؟ "

= " نعم لا تقلق كل شيء قد تم كما يجب "

ثم وجها نظرهما ناحية مالك وسألاه عما يريده فقال أنه يريد رؤية السيد

عازف ليأخذ منه بعضًا من العقار الذي يعطيه لرقية وأنه قد أتى إليه من طرفها، فذهب أحدهما ليخبر عازف عن طلب مالك فأمره بأن يجلب مالك إليه، وعندما دخل عليه مالك رحب به عازف وأعطاه جرعة إضافية منه على الفور وقال له:

- " أخبرها ألا تقلق حيال المال فيمكنها الدفع لي لاحقًا "

= " وكم سعر تلك الجرعة؟ "

- " سعرها مائتان وخمسون جال "

= " ولكن هذا كثيرٌ أيها السيد "

- " أعلم ذلك فسعره كذلك لأن تحضيره صعب ومكلف "

= " حسنًا.. أود أن أسألك عن شيء قبل أن أذهب "

- " تفضل "

= " هل أتى إليك رجل اسمه محمد يدعي بأنه طبيب؟ " رد مالك وهو ينظر إليه بطريقة صارمة فانزعج ذلك الرجل عازف عندما سمع هذا.

- " كلا لم يأتِ إلي أحد "

= " ولكنه قد قال لي أنه ذاهب إليك ليلة أمس "

- " لا أحب أن أكرر كلامي يا هذا قلت لك لم يأتِ أحد "

= " ألا تمانع أن أقوم بجولةٍ في هذا المكان لربما هو مختبئ هنا وأنت لا تعلم "

- " ما بالك أيها الوغد؟!! ألا تفهم؟!!.. قلت لك أنه لا يوجد أحد هنا اسمه محمد بن عباس!!! " رد عليه صائحًا في وجهه باديًا عليه الغيظ

= " حسنًا.. حسنًا.. ولكن اهدأ يا رجل تمالك أعصابك... هناك شيء آخر كنت أتساءل عنه ما الذي سيحدث لو لم أعطي العقار لذلك الرجل حسان؟ "

- " سيسوء الأمر أكثر "

= " حقًا!!.. أتعلم إذا؟!!.. أود أن أرى الأمر وهو يسوء لربما يعجبني ما سأراه.. فهذا الرجل وابنته لا يعنون لي شيئًا على أي حال ما رأيك بذلك؟ " رد مالك وهو يبتسم وينظر إليه بنظرات خبيثة.

- " حاول ذلك أيها الحقير وصدقني ستندم على ذلك!!! " رد عليه عازف وقد بدا حانقًا ومتوترًا للغاية.

= " لا تقلق أيها الأحمق أنا أمازحك فقط لا أكثر لن أفعل ذلك "

- " يُستحسن لك أيها الوقح ألا تفعل ذلك "

= " حسنًا.. أتمنى ان أراك عمّا قريب إلى اللقاء "

- " إلى اللقاء أيها الوغد "

خرج مالك من ذلك المكان وأخذ يفكر في طريق العودة بما دار بينه وبين ذلك الرجل " ذلك الأحمق لقد قال محمد بن عباس وأنا لم أقل اسمه كاملًا بل قلت محمدًا فقط... إذا ذلك الطبيب قد ذهب هناك بالفعل وقابل ذلك الرجل... حتى وإن لم يذكر اسمه كاملًا فلا يمكن لأحد أن يضل طريقه

عندما يقصد ذلك القديس عازف... قد بدا عازف ذاك متوترًا ومغتاظًا بشدة عندما ذكرت له أنني لن أعطي والد رقية العقار.. ذلك الرجل الوغد يبدو أنه يخفي شيئًا ما "

وصل مالك وأخبر رقية أنه قد حصل على العقار من ذلك القديس ففرحت كثيرًا وقالت له:

- " شكرًا جزيلًا لك أنا لم أرد أن أقحمك في مشاكلي... أعذرني لأنني قد أثقلت عليك "

= " لا تشغلي بالك بذلك أيتها الطبيبة الأهم الآن هو أن تتعافي... سأذهب الآن لأتفقد والدك "

- " حسنًا أرجوك إحرص على أن يتناول العقار الليلة "

= " لك ذلك "

" لن أعطيه شيئا ".. هذا ما قد قرره منذ أن خرج من بيت ذلك الوغد عازف، وعندما دخل النزل تأكد أن سيفه حيث تركه خارج غرفته ثم فتح باب الغرفة فوجد حسان يتلوى متألمًا على الأرض وكذلك وجد القيء يملأ المكان... جلس مالك في أحد أركان الغرفة بعد أن أوصد بابها ينظر إلى حسان من بعيد وهو يقيء ويمسك بطنه تارة ورأسه تارة أخرى وكان لا ينفك عن الصراخ وظلَّ هكذا لساعتين حتى هدأ وغط في النوم ولحقه مالك.

- " استيقظ أيها الوغد!! " قطعت تلك الكلمات على مالك نومه وعندما فتح عينه وجد سيفًا عند رقبته ورجلًا ينظر إليه بغل وغضب، وقد كان ذلك

الرجل هو حسان وكان ذلك السيف هو سيف مالك.

- " من أنت يا هذا؟!! " صاح حسان

= " لقد أصبحت تنطق كلامًا مفهوما الآن "

- " ما الذي تعنيه؟!!.. أتراني مجنونًا أم ماذا؟!! "

= " يبدو أنك لا تتذكر شيئًا فقط أنزل السيف وسأقول لك ما قد حدث لك "

لكن حسان أبى أن ينزل السيف فاضطر مالك أن يتحدث بهذا الوضع والسيف على رقبته فحكى لوالد رقية ما قد حدث والمعاناة التي تمر بها رقية الآن بسببه ولكن حسان لم يصدق مالك وظنَّ أنه محتال وعزم على إيذائه حينها أخرج مالك العقار من جيبه وقال:

- " انظر لهذا العقار.. شم رائحته.. ألا يذكرك بشيء ما؟ "

حينها صُدم الطبيب حسان وأسقط السيف ووضع يده على رأسه وكاد يبكي فقد تذكر شيئًا بالفعل إذا قد يكون ما حكاه ذلك الشاب صحيحا وشعر بذنب شديد وحنق أشد وقال:

- " إذا هذا ما فعله بي ذلك الوغد عازف "

= " ما الذي فعله؟ " قال مالك

***

بعد ما مات الكثير من الناس الذين أعطاهم حسان الدواء لازم غرفته ولم يخرج منها لبضعة أيام تلقى فيها لوم الناس ولعنهم وكذلك شتمهم له

بأفظع الألفاظ في تلك الأيام حتى هدأوا وتوقفوا أخيرًا... ثم أتى ذلك اليوم الذي قذف أحدهم حجارةً إلى غرفة الطبيب عن طريق النافذة وكانت تلك الحجارة مغلفة بورقة وعندما فتحها وجد بها رسالة تقول " قابلني أنا عازف في بيتي ومعك الدواء الذي أعطيته لهؤلاء الناس "

كانت هناك عداوة شديدة بين الطبيب حسان وذلك القديس عازف الذي كان يدعوه الطبيب بالدجال وقد تملك الطبيب الفضول ليعلم ما يريده ذلك الرجل منه فذهب إليه، وعندما دخل لم يكد يتحدث واستقبله عازف بالضرب الشديد وقام بأسره وحصل على الدواء منه رغمًا عنه ثم قام بتعذيبه ومنع عنه الطعام والشراب مبقيًا إياه حبيسًا عنده في قبوه مكبلاً بالأغلال... وبعد مرور أيام عدة على حاله تلك قرر القديس عازف أن يمر على ذلك الطبيب ليتفقد حاله ويزيد عليه معاناته ويشمت فيه فقال له عند دخوله عليه في حبسه وهو مكبلٌ بالأصفاد:

- " مرحبًا يا حسان كيف حالك الآن؟... أنا معروف بحسن ضيافتي ما رأيك بها إذا هل اكتفيت أم أنك تريد المزيد؟... لقد استمتعت حقًا بالتعامل معك... ما بالك لماذا لا ترد علي؟! " كان عازف يتكلم باستهزاء وهو يضحك أما الطبيب حسان فقد لازم الصمت.

- " حسنًا أعلم ما الذي سيجعلك تتحدث... أتريد أن تعلم كيف مات أولئك الذين كنت مشرفًا على علاجهم؟ " أثار ما قاله عازف اهتمام الطبيب وقلقه فنظر إليه بعينين حادتين وأكمل عازف " إن السبب في موتهم كان أنا.. لقد قمت بقتلهم جميعًا عن طريق تسميمهم "

= " أيها الوغد الحقير كيف أمكنك فعل هذا؟!!! " رد الطبيب بغضبٍ

عارم وحنق شديد.

قام عازف بإخراس حسان بوضع يده على فمه واقترب منه قائلًا بنبرة عنيفة:

- " لا تتجرأ على سب سيدك أيها الحثالة أبدًا... ولكن علي أن أعترف أن حثالة مثلك يستطيع أن تصنع شيئًا جيدًا... لن تصدق كم أصبح يمجدني الناس بعد أن أعطيتهم دواءك مدعيًا بأنه من صنعي " ثم أخذ يضرب رأس الطبيب في الحائط حتى فقد وعيه.

بينما كان الطبيب حسان يُعذب من قبل أتباع عازف خرج عازف بالدواء الذي حضره الطبيب إلى الناس مدعيًا بأنه قد استطاع التوصل إلى العقار الذي سيخلصهم من الوباء الذي هم فيه نهائيًا فتهافت عليه الناس وأخذوا يطلبونه منه وباعه لهم بثمن باهظ وجنى منهم كما كبيرًا من المال... مرت بضعة أيام لاحظ فيها الناس تحسن مرضاهم وتماثلهم للشفاء فأشاد الناس بذلك القديس عازف وعظموه ذلك الرجل الذي استطاع أن يشفيَ مرضاهم الذين عجز الطبيب حسان عن فعل شيء لهم.. فأصبح هو بطل هذه القرية وزاد إقبال الناس عليه وآمنوا بقدراته العجيبة التي تحدث عنها وبدأوا يستعينون به دائمًا في قضاء حوائجهم وهكذا أصبح عازف أهم شخص في هذه القرية.

والآن... بعد أن فقد حسان وعيه خرج عازف وذهب لغرفته وهو يظن أن حسان قد لقيَ حتفه لكن بعد مرور بعض من الوقت دخل على عازف أحد أتباعه يقول له أن الطبيب حسان ما زال حيًا... قام عازف وأخرج ذلك العقار الذي أمر تابعه بأن يجبر حسان على شربه رغمًا عنه ثم يطلق سراحه

بعدها، وكان هذا هو العقار الذي أفقده عقله... عندما خرج حسان يمشي في شوارع القرية لاحظ الناس مشيته الغريبة وهذيانه في كلامه فسخر أهل القرية منه يقولون بأن هذا المجنون كان يدعي بأنه طبيب وانهالوا عليه ضربًا وكان الأطفال يرمون التراب في عينيه ويقذفون عليه الحجارة ولم يمنعهم أهلهم عن ذلك بل شجعوهم على فعلتهم تلك.. حتى رأته ابنته فسارعت إليه واحتضنته باكيةً لتبعد أهل القرية عنه وتمنعهم من إيذائه ولكنهم لم يتوقفوا عن سبها هي ووالدها.. عادت رقية بوالدها إلى بيتها.. بكت طوال الليل على ما أصبح عليه والدها وفي اليوم التالي... ثار والدها وأخذ يحطم ما في البيت ولم تستطع إيقافه فأوصدت عليه باب البيت لتمنعه من الخروج وأخذت تطلب المساعدة من أهل القرية ولكنهم جميعًا أبوا مساعدتها وظلوا ينظرون إليها باحتقار، فيئست منهم كلهم وجلست على أرض الطريق تبكي فرآها القديس عازف وعرض عليها المساعدة...

أخذته إلى والدها وأخرج ذلك العقار وجعل أتباعه يجبرون حسان على تناوله فهدأ حسان وتوقف عما كان يفعل وتركه أتباع عازف فجلس على الأرض يقوم بحركات غريبة بيديه وهو يهذي... أخذت رقية تشكر عازف كثيرًا على مساعدته لها، ومنذ ذلك اليوم وهي تشتري بعضًا من العقار من عازف وتجعل والدها يتناوله حتى ينتهي ما معها وتكون قد جمعت في هذه المدة ما يكفي من المال لشراء المزيد منه، وهي لا تعلم أن هذا العقار هو الذي سيحافظ على حالة الجنون تلك ويبقي والدها هكذا دائمًا طالما استمر في تناوله ولا تعلم أن اهتياجه وألمه في كل مرة يتأخر فيها عن تناوله هو عارضٌ لا بد أن يمر به حتى يتعافى من تأثير هذا العقار لكن تلك الحمقاء صدقت أيضًا بقدرات ذلك الوغد عازف وآمنت بأنه الوحيد القادر على

علاج والدها.

- " ما هو الشي الأسوأ من الموت؟ هو أن تعيش حياة بائسةً ذليلة مثيرة للشفقة حتى يظن جميع من حولك أن الموت سيكون راحةً لك... أريد أن أرى معاناة ابن العاهرة ذاك أريد أن أرى ذاك الطبيب الحقير الذي كان يفخر به أهل القرية الحثالة أذلَّ شخص هنا.. " هذا ما قد قاله عازف عندما أمر تابعه بإجبار حسان على تناول العقار لأول مرة عندما كان حبيسًا عنده... لم يكتفِ الوغد عازف بهذا كله بل طمع في ابنة حسان وجمالها وعرض عليها ذلك القذر الزواج منه بعد كل ما فعله بحسان وكأن شيئًا لم يكن وهو يدعي الإحسان إليها ويتباهى بمساعدته العظيمة لها.. ذلك الوغد ذو الوجهين.

حكى الطبيب حسان لمالك ما حدث معه وأخبره أنه لا يتذكر أي شيء بعد أن تناول ذلك العقار رغماً عنه، وكان حسان يريد رؤية ابنته بشدة ولم يستطع مالك رفض طلبه ذاك.. فخرج هو وحسان وأخذا يطرقان باب بيت رقية في منتصف الليل... لكن ما لم يعلماه في هذه الأثناء أن هناك رجل كان يتنصت عليهما واستمع لكل حديثهما وكان ذلك الرجل أحد أتباع عازف.. قد أمره بأن يلحق مالك ويراقبه طوال الليل ليرى ما سيحدث معه وما سيفعله ويبلغه إذا كان قد أعطى العقار لحسان أم لا.. وفور أن انتهى مالك وحسان من كلامهما عاد ذلك الرجل مسرعًا لعازف ليخبره بما حدث.

كانت رنيم مقيمةً مع رقية في بيتها في حال احتاجت لشيء ما وناما معًا وفي منتصف الليل سمعتا طرقًا على الباب واستغربتا فمن الذي سيطرق عليهم في هذا الوقت؟ ثم سمعتا " إنه أنا مالك هيا افتحا " فغطت رقية رأسها وقامت رنيم وفتحت الباب لمالك فدخل هو وحسان، وتقدم مالك واستأذن

منها أن يفتح باب غرفتها فسمحت له وقال مالك لرقية " أريد منك أن تقابلي أحدًا ما " فتعجبت رقية وتساءلت عمن يكون هذا الذي يتحدث عنه مالك ولما قد أتى إليها في هذا الوقت؟.. فدخل والدها عليها وقال:

- " مرحبًا يا ابنتي كيف حالك الآن؟ " صدمت رقية.. وضعت يدها على فمها.. عيناها بدأتا تبكيان ولا تصدقان ما تريانه.

=" هل استعدتَ.... "

- " نعم يا ابنتي أنا في كامل وعيي.. لم أعد مجنونًا الآن... حقًا لقد اشتقت إليك كثيرًا!!!! " قال حسان ذلك وعيناه تبكيان وتوجه لابنته واحتضنها وهي تبكي بشدة وتحمد الله على عودة أبيها عاقلًا كما كان.. كانت تلك أسعد لحظات مرت عليها فرؤية والدها هكذا كان حلمًا بالنسبة لها وها قد تحقق الآن فأخذت تبكي وتبكي وتزيد في البكاء ووالدها يربت على رأسها بحنان ضامًا إياها يرى دموعها تنهمر على صدره... أخذ يتحدث معها وهي تبادله الحديث بفرحة كبيرة.. هو لا يتوقف عن الابتسام بنظراته الحنونة إليها.. وهي تشعر أنها قد ملكت الكون كله ولم تعد تريد شيئًا من الحياة...

رأى مالك ورنيم اجتماعهما وفرحا لأجلهما ثم أمسك يد رنيم وخرجا معًا ليتركاهما وحدهما حتى يتحدثا معا براحةٍ ولا يقطعا عليهما فرحتهما.

- " لا يمكن أن ندع هذا الرجل على قيد الحياة بعد الآن لقد طفح الكيل كل ما فعله لنا هو فقط تسببه لنا بالأذى.. قد رأيتموه نهار اليوم يضرب ابنته وجاءتني العجوز (زينب) تشتكي لي منه بأنه كاد يقتل ابنها وقد تعرض ذلك الرجل منذ قليل لأحد أتباعي اليوم.. سنقتله حتى نرتاح منه فلا يمكننا أن نسمح بعد الآن لذلك المخبول أن يجول في الطرقات!!! " قد جمع عازف

الناس بعدما عاد تابعه إليه وأخبره بأن حسان لم يعد مجنونًا بعد الآن... أحس عازف بالخطر فقرر أن يحث الناس على قتله وكذب بأمر تعرض حسان لأحد أتباعه فقط ليزيد الحافز لديهم.. أيده كل من في القرية وذهبوا جميعًا إلى بيت حسان واجتمعوا حوله وأخذوا يهددونه بالخروج وإلا قاموا بإحراق البيت بمن فيه...

عندما رأى مالك كل هذا الحشد الغاضب وسمع تهديد الناس دخل على حسان ورقية ليسألهما عمَّا سيفعلانه فوجد رقية متمسكةً بأبيها لا تريده أن يخرج لهم، ولكن أباها قد أصر على ذلك فلم يرد أن يرى ابنته تتعرض للأذى بعد أن أفاق مما كان فيه منذ وقت طويل وأوصى مالك بأن يمنعها من اللحاق به وأن يخرجها من هنا سالمة.. وقبل أن يذهب التفت حسان لابنته وقال لها باكيًا:

– " لا أعلم كم من الوقت قد مضى يا ابنتي لقد كبرتي كثيرًا.. كل ما أردته هو رؤيتك تكبرين في سعادة والآن أريدك أن تعلمي بأنني دائمًا ما كنت فخورًا بأنك ابنتي أنا ".. فصرخت رقية تبكي بصوت عالٍ تصاعدت معه ألسنة اللهب في البيت، وهي تريد اللحاق بأبيها ومالك يمنعها ووالدها يبتعد عنها شيئًا فشيئًا.. أمسك مالك رقية من ذراعيها وصاح في وجهها:

– " كفاكِ غباء أيتها الطبيبة الحمقاء لن تستطيعي فعل شيء وأنت بهذه الحال سنهرب من النافذة الآن لا وقت لدينا لما تفعلينه لقد ذهب والدك وانتهى الأمر!!! "

= " اخرس ما الذي تعرفه أنت عما أشعر به الآن فقط دعني وشأني!!!! "

– " أنا أعلم شعورك أيتها الغبية فلقد رأيت أمي تموت أمام عيني!!!..

لقد ضحى بنفسه لكي تعيشي لا تدعي ألسنة النار تلك تقتلك الآن بسبب حماقتك!!! " صاح مالك بصوت غليظ

صمتت رقية ولم تستطع أن تنظر لمالك في عينيه وقررت أن تتبعه بهدوء وقلبها يتمزق حزنًا على والدها الذي تعافى لتوه ولم تمض معه إلا القليل من الوقت فقط.. لقد أرادت أن يظل معها دائمًا عندما رأته معافًا.. لم ترد أن تفترق عنه بعد أن تحدث إليها أخيرًا.. لكن قسوة هذا العالم لم ترد هذا ولم يكن بيدها شيء لتفعله كما قال مالك... توجهت نحو النافذة مع مالك وقام مالك برفع نفسه وجلس على حافة النافذة وأمسك يد رقية وأجلسها بجانبه ثم قفز مالك من النافذة وقامت رقية برفع رنيم وأنزلتها إلى الناحية الأخرى ليلتقطها مالك ثم قفزت رقية أيضًا من النافذة وقد آلمتها سقطتها للغاية فما زال جسدها يؤلمها بعد ما فعله بها والدها صباح اليوم.. أعان مالك رقية على النهوض واستندت عليه لتستطيع المشي حتى يروا ما يحدث أمام مدخل البيت.

خرج حسان من البيت وهو مصابٌ بعديد من الحروق وفور خروجه طرحه الناس أرضًا وانهالوا عليه ضربًا بالسيوف والرماح وتلقى العديد من الطعنات فسالت منه كثير من الدماء والناس يصرخون " هذا هو ما تستحقه أيها الوغد!!! ".. " ستموت الآن ونرتاح منك!!! ".. " لم تجلب لنا سوى المصائب أيها الحقير لقد طفح الكيل منك!!! "... بدأ جسد حسان يرتعش كاد يفقد الوعي لم يستطع النهوض وقرر أن يستسلم ويلقى حتفه فهذه النهاية.. سيموت حقيرًا مهانًا وهو لم يرد أبدًا أن يموت بهذا الشكل المخزي.. ثم سمع ذلك الصوت صوت عازف " ما كان علينا أن نظهر

لك الشفقة ونتركك حيًا.. كان يجب علينا قتلك من البداية أيها الحثالة!!!
".. فتوجه نظر حسان إليه نظر له في غضب عارم وحنق شديد كاد ينفجر من الغضب بسبب نظرة ذلك الوغد عازف إليه شذرًا وبابتسامته الحقيرة تلك... نهض حسان وصرخ قائلًا " لا تظن أنك ستفلت بفعلتك أيها الوغد سيأتي يوم ستنال ما تستحق.. فلن يدع الله أبدا مظلومًا مثلي دون أن يجلب له حقه "

تعجب الناس من حوله وتوقفوا عن ضربه مما رأوه.. نظراته وكلامه كانت تلك كلمات لا يمكن أن تخرج من فم رجل مجنون.. هل عاد حسان إلى رشده؟!!.. ذلك ما تساءل الناس حياله والذي أخذوا يتحاورون فيما بينهم بشأنه... كانت اللحظة التي وقف فيها حسان هي اللحظة التي وصلت فيها رقية وشهدت ما قال والدها فنظرت رقية لمالك وعيناها لا تتوقفان عن البكاء وقالت لمالك:

- " أرجوك افعل شيئًا ارجوك لقد استفاق لتوه وها هو يموت الآن!!!.. أرجوك أنقذه!!! "

= " انظري إلى عينيه.. تلك عيني رجل يعلم أنه ميت لا محالة وبحق إن تلك النظرات مخيفةٌ إلى حد كبير.. أنت طبيبة أليس كذلك؟!.. إذًا أنت تعلمين أن وضعه ميؤوس منه... لكل رجل لحظةٌ عظيمة في حياته وأكثر ما يكرهه الرجال هو ميتة مخزية يجب عليك أن تحترمي ذلك وتتركيه يغنم بتلك اللحظة "

= " ولكني لا أريد أن أراه وهو يموت لا أريد ذلك أرجوك... "

- " ما تريدينه ليس مهما كذلك لن أكون أسرع من السهام على أي حال..

انظري إلى أولئك الرجال إنهم مستعدون لإطلاق سهامهم في أي لحظة وأعتقد أن الوقت قد حان "

أمر عازف بإطلاق السهام على حسان فأصابت العديد منها جسده وأصبح بالكاد قادرًا على الحراك.. صرخت رقية وعلا صوتها بالبكاء " توقفوا!!!!! " ولكن هؤلاء الرجال أتباع عازف استمروا برمي السهام كل واحد منهم يطلق سهمًا وراء سهم حتى خرَّ حسان على الأرض صريعًا.. صمتت رقية لبرهة تشاهد والدها يسقط أمامها على الأرض في ذهول.. كاد قلبها ينفطر من الحسرة والحزن، وعندما لامس جسده الأرض أطلقت رقية صرخة قوية ملأت المكان وأسرعت تجري نحو والدها في حرقة ومالك يراها وهو يشتعل غيظًا غاضبًا حانقًا يبتغي قتل ذلك الوغد عازف الذي يبتسم بخبثٍ ومكرٍ خلف أتباعه.

مشى مالك نحو ذلك الرجل ببطء ينظر إليه بنظرات مخيفة وكأنه يهدده فلمحه عازف وقال: " ها أنت ذا أيها الوغد كان عليك أن تستمع إلي وتعطيه العقار أنت السبب أيها الوضيع أنت الأحمق الذي عجل بموت هذا الرجل ".. لم يرد مالك على عازف واستمر يمشي نحوه فبدأ عازف يشعر بالقلق حيال ذلك الأحمق مالك الذي يتقدم نحوه وقال: " توقف أيها الصعلوك ولا تتقدم أكثر نحوي وإلا سينتهي أمرك!! ".. أكمل مالك سيره نحوه لا يبالي بما سيحدث فزاد عازف توترًا وقال: " قلت لك توقف وإلا أمرت بقتلك الآن!!! ".. كان مالك يتقدم وأهل القرية ينظرون إليه متسائلين بما ينوي مالك فعله وهو يفكر " ما الذي يثرثر به ذلك الوغد؟!! لا أهتم لما يقول فأنا أعرف ما سأفعله به جيدًا... أظنّ أنه لا ضير للموتى أن يتحدثوا

قليلًا قبل أن ينتهي أمرهم أليس كذلك؟!! ".. أكمل مالك سيره نحو ذلك القذر ولكن ذلك الوغد الجبان عازف بلغ به الخوف من نظرات مالك ما جعله يصرخ قائلًا: " أطلقوا على ذلك الحقير حالا!!!!! " فانهالت السهام على مالك وتألم بشدة فما زال يشعر بأضعاف ألم الإنسان العادي.. لكنه أكمل تقدمه بالرغم من ذلك وأطلقوا عليه سهامًا أكثر وأكثر.. ولكنه استمر في التقدم واقترب كثيرًا من ذلك الرجل عازف فتلقى كثيرًا من طعنات سيوف أتباع عازف.. لكنه استمر.. يتقدم بنظرات دبّت الرعب بقلب عازف ذاك حتى وصل إلى أوجه... ذُهل الناس وأولئك الرجال من أتباع عازف بشدة وشعروا بالخوف من مالك ذاك يظنون بأنه منيع لا يشعر بشيء لكنه كان يشعر بأضعاف ما قد يشعرون به من الألم لو تلقوا إحدى هذه الضربات...

كان يتألم بشدة ولكنه لم يبالِ بشيء في هذه اللحظة.. كان فقط يدعي القوة والجلد لكن ما رآه الناس جعلهم يتساءلون بخوف كيف يتحمل ذلك الرجل كل هذا؟!!، ورقية كانت تشاهد مالك متعجبة للغاية وتشعر بدهشة كبيرة وقلق أكثر لكل الإصابات القاتلة التي تعرض إليها فأحست بالشفقة عليه والذنب لكونه يفعل ذلك من أجلها... وصاح عازف خائفًا مرتعبًا بعد أن وقف مالك أمامه مباشرةً قائلًا:

– " من أنت يا هذا؟!!.. من تكون؟!!! "

= " هناك العديد من الأشياء المخيفة في هذا العالم حتى أنها قد تجعلك تظن أنها قد أتت إليك من قعر الجحيم لتقتلك " رد مالك عليه بصوت مخيف وأمسك بيده الباردة يد عازف ووضعها عند موضع قلبه وأكمل قائلًا " أتشعر بأي نبض أيها الدجال؟!!... لقد عبثت كثيرًا بما لم يكن عليك

الاقتراب منه.. والآن ستنال عقابك!!! "

صُدم عازف عندما لم يشعر بأي نبض من قلب مالك ورؤيته له مثخنًا بكل تلك الجراح.. وطريقة حديثه معه وكأن شيئًا لم يكن قد زادته رعبًا منه فظنّ أنه أحد أولئك الجن الذين كان يتفوه بأسمائهم عندما يقوم بشعوذته ودجله.. هل أولئك الوحوش موجودون فعلا؟!!.. أليسوا فقط محض خرافات وأوهام يخدع بها الناس؟!!.. لكن واحدًا منهم يقف أمامه الآن.. قلبه لا ينبض.. وجهه الشاحب المخيف.. برودة يده الشديدة.. والجراح التي لا تؤثر فيه.. لا شك في ذلك إنه واحد منهم.. وهو الآن يريد قتله.. لا يمكنه فعل شيء سوى التوسل وطلب الرحمة، فخرَّ عازف على الأرض ساقطًا من هول ما يراه وأخذ يتوسل قائلًا:

- " أرجوك أيها الخالد العظيم سامحني وارحمني أرجوك... أنا عبدك المطيع سأفعل كل ما تريد فقط اذكره وسأقوم به حالًا أرجوك سامحني " قال عازف في خوف شديد وهو يبكي واستغرب مالك من ردة فعل ذلك الرجل، فهو أراد أن يخيفه قليلًا فقط لا غير لكن ليس لدرجة أن يقول مثل هذا الكلام.

= " ما هذا الهراء الذي تتفوه بها أيها الحثالة؟!!.. فقط اخرس!!! " رد مالك

- " حسنًا لن أنطق بكلمة أيها العظيم واعذرني لوقاحتي "

أخرج مالك ذلك العقار من جيبه وأمسك بذلك الوغد عازف من شعره وقال:

- " والآن اعترف أيها الوغد ما هو ذلك العقار؟ "

= " إنه العقار الذي كنت أبيعه لرقية ابنة الطبيب حسان وخدعتها قائلًا بأنه علاج لوالدها ولكنه كان هو الشيء الذي جعله مجنونًا طوال هذا الوقت " رد عازف فورا دون تردد واستغرب مالك بشدة.. فلماذا رد عليه عازف بتلك السهولة؟!.. ذلك ما تساءل عنه مالك وأيضا عما جعل عازف ذاك يتصرف بهذه الغرابة.

- " أجبني الآن بصوت عالٍ!!!... من السبب في موت أولئك الذين كان يعالجهم الطبيب حسان؟!! "

= " إنه أنا!!.. أنا السبب في موتهم!!!.. لقد قمت بتسميمهم ثم اختطفت الطبيب حسان وعذبته.. ثم سرقت منه دواءه وبعته مجددًا لمن تركته حيًا من المرضى مدعيا أنه عقار من صنعي!!! "

صُعق الناس لما سمعوه من عازف وثار غضبهم وحنقهم للغاية عليه كما أشفقوا على ذلك الطبيب وابنته اللذين تطاولوا عليهما كل هذه المدة وتمادوا في إيذائهما.. شعروا بأنهم حثالة للغاية عندما رأوا ابنته المسكينة التي تجلس بجانب جثة أبيها بعينيها الباكيتين تشاهد مالك وهو ممسكٌ بذلك الوغد عازف من شعره.. وتقطع قلبهم من الحزن والحسرة والندم لما قد فعلوه بها وبوالدها ومقدار الظلم الذي تعرضت له من قبلهم.

أمر مالك أحد أتباع عازف بأن يعطيه سيفه فأعطاه إياه ويده ترتعش ثم قال مالك لعازف:

- " حان الوقت لتلقى حتفك الآن أيها الوغد!!! "

= " ما الأمر يا سيدي؟!!.. لماذا تريد قتلي؟!!!.. ألم أكن عبدًا مطيعا؟!! ألم أخبرك بكل ما تريد؟!! "

– " لقد قتلت الكثير من قبلك أيها الحقير وقتلك الآن لن يشكل فرقا بالنسبة لي فأنا لست رحيماً.. وهناك أمر آخر أيها الوغد أنا لست سيدك وأنت لست عبدي!!! " رد مالك وجزَّ عنق عازف ففُصل رأسه عن جسده ثم ألقى رأس عازف القذر ذاك على الأرض وتوجه بعد ذلك وهو يعرج ببطء نحو رقية وحسان ورنيم.. لكنه لم يستطع تحمل كل ذلك الألم الذي تفاقم عليه وهو يمضي إليهم فأخذ يتمايل يمينًا ويسارًا وبدأت رؤيته تضعف شيئًا فشيئًا حتى سقط على الأرض لا يستطيع الحراك وأخذ يصرخ لشدة شعوره بالألم الشديد... أراد أتباع عازف أن يستغلوا وضع مالك ذاك ويهجموا عليه لكن أهل القرية وقفوا في طريقهم وطردوهم من القرية... حمل بعض الرجال مالك إلى رقية ورنيم وحسان ووضعوه بجوارهم نائماً على الأرض...

رأته رقية تملؤه الجراح والدم يسيل منه فظنت أنه على وشك الموت فنظر إليها مالك وقال:

– " لقد انتهى الأمر الآن أليس كذلك؟ "

= " نعم... لقد انتهى كل شيء أنا عاجزة عن الكلام أشكرك لأنك فضحت ذلك الوضيع.. لكن أرجوك لا تمت أنت أيضًا فأنا أشعر بالذنب لإقحامك في كل هذا أنا آسفة حقًا " ردت رقية وهي تبكي بشدة.

– " لا تقلقي من الصعب عليَّ أن أموت الآن ربما في وقت لاحق.. أنا فقط جائع.. جائع للغاية.. وأيضًا أريد النوم بشدة " رد مالك وغط بعدها في نوم عميق.

= " يجب أن أعالج جراحه بسرعة وإلا سيفوت الأوان "

❋ " كلا لا تفعلي ذلك " قالت رنيم

= " ما الذي تقولينه يا رنيم ألا ترين كيف يبدو؟!!.. إنه يوشك على الموت!!! "

❋ " كل هذه الجراح لن تقتل العم مالك.. لقد مر بما هو أسوأ من هذا "

= " ولكن هذا لا يعني ألا أعالجه؟!! "

❋ " صدقيني لن يحتاج لذلك "

لكن رقية أصرت على علاج مالك فحاولت إيقاف نزيفه ثم وضعت بعضًا من المطهر على جراحه وقامت بتضميدها بعد أن وضعه أهل القرية على سريره في غرفته التي في النزل وظلت تراقبه هي ورنيم لمدة...

انقشع ظلام الليل.. ثم حل الصباح أخيرًا على تلك الليلة الفظيعة وقام أهل القرية كلهم بمواساة رقية على أبيها.. حمل الرجال والدها وقاموا بتشييعه في حسرةٍ وحزنٍ شديدٍ على هذا الرجل الطيب الذي ظلموه وأخطئوا في حقه.. صلوا عليه الجنازة في خشوعٍ، وبعد أن انتهوا تركوا ابنته تبكي على قبره... أما عازف الذي مات ميتة الكلاب قد أبوا أن يدفنوه بجوار الطبيب حسان ورفضوا أن يصلوا الجنازة عليه... قام أهل القرية بإصلاح الأضرار في بيت رقية الناجمة عن الحريق الذي أشعلوه وعوضوها عن الأشياء التي خسرتها في بيتها، وظلَّ نساء القرية يجلسون مع رقية بعدما عادت من قبر والدها يواسونها ويحاولون التخفيف عنها ويعتذرون إليها.. والقارئ الذي كان صديق حسان سابقًا لا يتوقف عن تلاوة القرآن في الخارج تجود عينيه

بالبكاء على ذاك الرجل.

أما مالك فقد كان مرهقا للغاية وظلَّ نائمًا أثناء كل هذا وكان صوت شخيره عاليًا نظرًا لشدة تعبه... لم يستيقظ إلا في اليوم التالي فخرج ووجد كثيرًا من النساء يلبسون الأسود يقفون حول بيت رقية وحيَّ الرجال مالك بحرارة عندما خرج وفرحوا لسلامته وطلبوا منه أن يذهب لرؤية رقية لأنها كانت قلقة عليه كثيرًا... دخل البيت ووجد البيت يعج بالنساء فرحين به وأدخلنه إلى غرفة رقية.. فزعت حالما رأت مالك لنهوضه من الفراش بجراحه تلك فكان يجب عليه أن يبقى ملازمًا له ولا يتحرك حتى يتعافى تمامًا.. أخبرها مالك أنه بخير الآن ولكنها لم تستمعِ له.. ظلَّ يخبرها مرارًا أنه استعاد عافيته لكنها أصرت على أن تتفحصه أولًا، وبالفعل قد وجدت جراحه كلها قد تعافت وتعجبت لذلك كثيرًا ولم تصدق أن مالك الذي أثخنته الجراح وكان مضرجًا بالدماء قد تلاشت جراحه بين ليلةٍ وضحاها فقال لها مالك:

- " هل ارتحت الآن؟! "

وقالت رنيم بنبرة المنتصر: = " لقد قلت لك أنه سيكون بخير وأنه لا يحتاج لما فعلته "

لم تفهم رقية كيف حدث ذلك ولكنها كانت سعيدة للغاية لسلامة مالك ورؤيته معافًا وقال مالك لها " أنا آسف حيال ما حدث لوالدك " وأخذ يواسيها قليلًا لكنها أخبرته أنها الآن بخير وبحال جيدة بالرغم من الحزن الذي قد بدا عليها وعينيها اللتين لا تخفيان بكاءها الشديد فمنهما تعرف أنها قد ظلت تبكي طوال الليل حتى جفت عيناها وغلبها النوم في النهاية...

طلبت رقية من مالك أن يتناول الطعام فأقبل مالك على الطعام بسرعة.. لأنه كان يشعر بجوع شديد بالفعل فلا سبيل للرفض.

حدثت رقية مالك عما فعله أهل القرية معها وأنهم قد طلبوا منها أن تصبح طبيبة القرية.. كذلك قد اشترى منها أحد أغنياء القرية البيت الذي كانت تؤجره بمائة وعشرين ألف جال.. كما أنها ستبدأ بتعليم الطب لأهل القرية، ففرح مالك لأجلها.. ثم عرضت عليه أن يأخذ خمسة عشر ألف جال لتساعده في رحلته فقبل مالك بدون تردد...

- " من الوقح أن تأخذ المال هكذا فورًا " قالت رنيم

= " ماذا تقولين أيتها الصغيرة هي قد عرضت علي وأنا قد وافقت ما الوقح في ذلك؟!! " رد مالك

- " كان يجب أن تكون لبقًا ترفض عرضها في البداية فتلح عليك وأنت تصر على الرفض ثم توافق في النهاية.. هكذا علمتني أمي "

= " هكذا إذًا... أظن أن نهايتي ستكون على يديك... دعكِ أيتها الطبيبة من هذه الطفلة إنها فقط حمقاء "

- " بل أنت هو الأحمق الوقح أنا أعلمك كيف تتعامل مع الناس بلباقة يجب أن تشكرني على ذلك!! "

= " ومن قال أنني أريد منك أن تعلميني هذه الأشياء؟!! "

لم تتمالك رقية نفسها وظهرت ابتسامة خفيفة على وجهها عندما رأتهما يتشاجران مجددًا مثل كل مرة ثم أخبرها مالك أنه سيعد نفسه اليوم للرحيل وسألها عن القرية التالية التي سيذهب إليها فقال لها:

- " اسم القرية التالية هو (جاترن) أليس كذلك؟.. كيف هي تلك القرية؟ "

= " نعم هذا هو اسمها أريد منك أن تكون حذرًا للغاية في تلك القرية فسترى هناك الكثير من الأشياء القبيحة والفظيعة والخطرة للغاية "

- " أهي خطرة لتلك الدرجة؟! "

= " نعم إنها كذلك.. وأرجوك مهما كان ما ستراه هناك لا تتدخل أبدًا.. وحاول ألا تمكث فيها لمدة طويلة.. يوم أو يومين فقط لا أكثر "

- " حسنًا لك ذلك.. سأفعل ما تريدين "

ودعها مالك ورنيم ثم شرعا بالرحيل وقد بدت رقية حزينة للغاية لذهابهما.. كذلك رنيم فقد تعلقت برقية كثيرًا وطلبت رقية من مالك ورنيم أن يأتيا لزيارتها يومًا ما فوعداها بذلك ثم انطلق مالك ورنيم معًا نحو وجهتهما التالية... نحو جاترن.

الفصل العاشر : أريد أن أشعر أني إنسان مجددًا!! ... أريد أن أكون رجلًا!!!

قبل عشر سنوات من الآن كانت جاترن قرية كبيرة وغنية وكانت من أكثر المناطق إنتاجًا زراعيًا في العالم وعُرفت بجودة محاصيلها العالية.. كان أغلب سكان القرية ميسوري الحال قلمّا كانت تحدث المشاكل بينهم وكانوا دائمًا على وفاق فيمكن القول أن كل شيء كان جيدًا في هذه القرية حتى أتى ذلك اليوم المشئوم.

كانت تلك القرية ضمن حدود دولة (أرانيا) وكانت تلك الدولة تابعة لأبناء الإله.. دائمًا ما كان حاكمها يتملقهم ويتذلل لهم كي لا يعزلوه عن الحكم، وفي يوم أمر أحد أبناء الإله بتخصيص المحاصيل التي تأتي من جاترن لأبناء الإله فقط وأنها لم تعد تابعة لحكم أرانيا بعد الآن وأن يصبح جميع أهل تلك القرية عبيدًا لهم.. لم يستطع حاكم أرانيا رفض أمره وقام بما أراده مع أن الأمر كان صعبًا عليه قليلًا لكن يا رجل كل شيء يهون مقابل أن يظل حاكما ذا سلطة، وأرسل ابن الإله ذاك أحد تابعيه وكان اسمه (ثيدوس) ليكون حاكمًا على جاترن ويشرف عليها.

كان ثيدوس ذاك واحدًا من التجار الأغنياء في بدايته ولكنه لم يكن له سلطة ونفوذ كما النبلاء وكان يرغب بشدة أن يكون أحدهم، فقرر أن يفعل المستحيل حتى يتزوج ابنة أحدهم وبعد عناء استطاع أخيرًا أن يتزوج ابنة النبيل (زاريس) أحد أقوى النبلاء وأكثرهم سلطةً ومن أقرب التابعين لأبناء

الإله... أنجب ثيدوس من ابنة زاريس ابنًا واحدًا وقد أسماه (كانت)، وكانت ابنة زاريس كثيرة الغيرة على ثيدوس ولا تحب أن تراه أبدًا مع واحدةٍ غيرها بأي شكل.. كان ذلك يضايق ثيدوس كثيرًا لأنه كان زير نساءٍ ويحب كثيرًا العبث معهم فقامت زوجته بتقييد حريته وشعر بالاختناقٍ منها فأراد أن يتخلص منها... قام ثيدوس بخداع واحدة من أقرباء زوجته اسمها (لانا) التي كان على علاقة معها وطلب منها أن تقتل زوجته ووعدها بأنه سيقوم بطلب يدها بعد ذلك.. كانت رافضةً في البداية فأخذ يلح عليها قليلاً ولكنها أصرت على الرفض فانقطع عنها ثيدوس لمدة طويلة حتى أتته بعدها تبكي لذلك.. أخبرته بأنها تريده أن يكلمها ويمضي معها الوقت مجددًا كما السابق وأنها تحبه كثيرًا.. لكنه اشترط بأنه لن يعود لها إلا بعد أن تقتل زوجته...

لم تجادله كثيرًا هذه المرة.. وافقت على ذلك وقامت في أحد الأيام بقتل زوجته وألصقت التهمة في إحدى خادمات زوجة ثيدوس ولم يشك بها أحد... ثم أتت بعد ذلك لثيدوس تطلب منه أن يتزوجها كما وعدها.. لكن نبرة صوته قد تغيرت وغلظت معها كما أصبح يعاملها بجفاء وكأنها لا تعني له شيئًا، فرفض وغضبت كثيرًا وأخبرته بأنه قد وعدها فيجب عليه فعل ذلك لأنه نبيلٌ الآن ويجب أن ينفذ كلمته.. لم يغير رأيه فهددته بأنه سيندم على خداعها أشد الندم فقال لها بنبرةٍ ساخرة: "ستجعلينني أندم.. حقا؟!!.. أود أن أرى ذلك ما الذي ستفعلينه إذاً؟!!.. أستخبرينهم أيتها النبيلة أنك قد خسرتِ شرفك معي أنا وتجلبين العار لوالدك؟!!.. أم أنك ستقولين أنني قد خدعتك لتقتلي زوجتي؟!!.. حتى وإن قلتِ ذلك وصدقوك فالخاسر الأكبر هو أنت أيتها العاهرة الحمقاء.. أتقولين أَنني نبيل الآن؟!!.. لا أنكر أنها كلمةٌ ذات إيحاءٍ جيد حقًا.. لكنكم أنتم أيها النبلاء قد جعلتموها الآن

مرادفًا للقذارة!!! ".. أخبرته بأنها حامل منه لكنه لم يهتم لما قالته.. سألها ما الذي سيجعله يصدق أنه ابنه وليس ابن أحدٍ آخر؟!!.. نعتها بالعاهرة الساذجة وتركها وحدها تبكي على خيبتها.. أصابها اكتئاب شديد ظلت حزينةً يعتريها الندم.. حابسةً نفسها في غرفتها مضربةً عن الطعام.. تلعن اليوم الذي عرفت فيه ذلك الرجل الوضيع ثيدوس.. تتمنى لو لم تحمل طفل هذا الوغد في بطنها.. تتحسر كثيرًا عندما تدق خادمتها عليها الباب فتأبى أن تفتح فتخبرها من ورائه أن ابن أحد النبلاء قد تقدم لخطبتها ويريد رؤيتها.. فلا ترد عليها وتظل تبكي في غرفتها... ظلت هكذا لعدة أيام حتى كادت تختنق من شدة ألمها ففضلت الموت.. انتحرت وشنقت نفسها.. قد وصلت ثيدوس أخبار موتها لكن لم تتحرك أي ذرة من الحزن في قلبه على موتها فهي لم تعنِ له شيئًا سوى أداة يفرغ بها شهوته...

قد حقق ثيدوس الآن ما يريد.. أصبح لديه المال والسلطة والنفوذ كأحد النبلاء.. قد تخلص من كل شخص يزعجه، وكان سعيدًا بما حققه... حتى أتاه ذلك اليوم الذي جاء به رسول ابن الإله إليه يخبره أنه يريده أن يكون حاكمًا على قرية جاترن.. شعر ثيدوس بإهانةٍ كبيرة وأن كل ما قد فعله قد ذهب هباءً فكيف بعد أن عانى الأمرين ليصبح نبيلًا يأمره ابن الإله أن يحكم تلك القرية فقط!!!.. قد كان طامعًا بأن يحكم دولةً بأسرها وهذا لا يليق بمقامه ومكانته الآن.. لكن ليس بيده حيلة فلا يستطيع أن يعترض على حكم أحد أبناء الإله.. قد نال قدرًا كبيرًا من سخرية النبلاء الآخرين عليه بعدما انتشر الخبر مما جعله يشتعل من الغضب وشعر بغلٍّ شديدٍ على ما يحدث معه.

كان ثيدوس شديد الحنق والغيظ لما حل به وعندما وصل القرية انزعج لعدم وجود مكان يليق بمقامه ليقيم فيه، فسكن بأكبر بيت في القرية بعد أن طرد أهله منه والذين كانوا أغنى من في القرية حتى ينتهي بناء القصر الذي أمر أهل القرية ببنائه...

قرر ثيدوس أن يصب جام غضبه على القرية بمن فيها فجمع الرجال وأذلَّهم وأهان كرامتهم ومحى كبرياءهم فأخذ يعذبهم جميعًا وامتلأت غرفة التعذيب بدمائهم حتى تمنى الموت كثيرٌ منهم.. وعندما انتهى أخيرًا من تعذيبهم جعل كل واحدٍ منهم يقبل قدميه إقرارًا بالطاعة التامة له وإلا فإنه سيعتبر خائنًا ويتم قتله وقتل أهله فقبَّل قدمه جميع الرجال... كذلك قد جمع نساء القرية واغتصبهن جميعًا هو وجنوده ولم يدع واحدة إلا وقد اُنتهك عرضها ونُهش لحمها ولُوث شرفها...

لم يعد هناك غني وفقير في هذه القرية كذلك لم يعد هناك شريف وحقير لم يعد هناك شيء يفرق بينهم كلهم حثالة قذرة بلا استثناء.. لا يملكون ما يمكنهم فعله أمام ذلك الرجل الذي قد نهب أموالهم واستولى على أراضيهم.. فلم يعد لأحد منهم الحق في أن يقول أن هذه الأرض ملكٌ له أو لغيره بل هي ملكٌ السيد الأعلى ثيدوس... كان يمنع عنهم الطعام وجعله كله بين يديه هو وجنوده فكان يقوم بتجويعهم بشدةٍ لدرجةٍ تجعلهم يفعلون أي شيء مقابل الحصول فقط على قطعة من الخبز، فكان يغتصب نساءهم في أي وقت يشاء ويكافئ من تعجبه منهم بالطعام، وقد وصلوا لدرجة أن الرجال أحيانًا أصبحوا يحثون نساءهم على الزنا والفاحشة ليحصلوا على الطعام بسبب شدة ما يمرون من الجوع.. " لا يهم أي شيء الآن أريد فقط

أن آكل لأعيش!!!!! " هذا ما كان في بال معظمهم... جعلهم يعملون في أراضيهم بدون مقابل وكان جنوده يجلدون كل من يتكاسل منهم كما كانوا لا يلقون بالًا لشدة إرهاقهم... أمر بقتل العجائز وكل من لا يستطيع العمل بحجة أنهم سيكونون فقط عبئًا عليه فإذا مرض أحد منهم وعلم الجنود بالأمر ستكون هذه نهايته...

انتشرت الرذيلة والفاحشة في تلك القرية بعد كل ما مر به أهلها.. قد أصبحوا حيوانات لا يهمهم شيءٌ سوى الحصول على الطعام فقط، وليس من المبالغة وصفهم بالحيوانات فقد أمر ثيدوس بوضع أطواق حول عنق كل شخص في القرية لتجعل الجنود يميزون بين أهلها وبين من هم غرباء عنها كالرحالة والمسافرين والتجار الذين يمرون بها من حين لآخر كذلك المجرمون والخارجين عن القانون الذين أتوا من الخارج وانتشروا في تلك القرية.. كما كانت تلك الأطواق أيضًا تساعد جنود البلدان الأخرى على تمييز أهل قرية جاترن الذين استطاعوا الهروب منها ليتم قتلهم على الفور كما طلب ثيدوس، إذًا لا سبيل للنجاة فأصبحوا هم الحيوانات والقرية هي القفص.

انتشرت السرقة في تلك القرية.. بل أصبح الآباء يعلمون أبناءهم كيفية السرقة فأصبحت كالحرفة بينهم لأنها كانت أحد أسهل الطرق للحصول على الطعام بالنسبة لهم... كانوا يجلبون ما يسرقون للجنود ويعطونهم الطعام مقابله فكان من لا يسرق في هذه القرية لا يمكنه العيش أبدًا.. وإذا سُرقتَ أنت في هذه القرية فانسَ أن تستعيد ما تمت سرقته منك... قد عمل أكثر النساء في الدعارة مقابل الطعام أو المال ليستبدلوه بالطعام من الجنود

فكثرت العاهرات والمومسات في تلك القرية.. في البداية قد كرهن أنفسهن وما يفعلنه، وشعرن بأنهن حقيرات لكنهن حاولن أن يتغافلن عن تلك الأمور فهن قد فضلن العيش على الشرف.. قد لقي من بدأن منهن بذلك هجومًا كبيرًا وسبًا ولعنًا فأخذن يحاولن إقناع غيرهن بفعل ما يفعلن فلم تكن تعجبهن نظرات الناس إليهن فقررن أن يجعلن بقية النساء عاهراتٍ مثلهن.. ولقد استطعن بالفعل إقناع الكثيرين وأصبح معظم نساء القرية يقمن بذلك وصرن يهزأن ويسخرن من القلة الحمقاء التي أبت فعل ذلك يتباهين بأنهن يستطعن جلب الطعام وهن لا... يقال (إن العاقل في بلد المجانين هو المجنون).. والآن العاهرات قد أصبحن هن النساء المكافحات اللاتي تستطعن جلب الطعام أما العفيفات فقد أصبحن هن الحمقاوات اللاتي لا يشكلن سوى عبء على أهلهن.. فيمكن القول إذا أن العفيفة في بلد العاهرات هي السخيفة الحمقاء الغير منطقية... فكيف تفضل الشرف والجوع على حياتها؟!!!!...

كان كل يوم يقوم ثيدوس بإشباع شهواته من شرب الخمر وتناول ألذ الطعام ومضاجعة النساء كذلك كان يعشق تعذيب الرجال والنساء من القرية فكان أحيانًا يأمر الجنود بأن يجلبوا أحد الرجال أيًا كان ليقوم بتعذيبه كما يشاء حتى ينتهي بقتله... قد ضاجع العديد من النساء حتى ملَّ منهم وتغيرت ميوله فأصبح يضاجع الرجال أيضا كذلك الأطفال أصبح يشتهيهم أحيانًا... أما ابنه الذي كبر في هذه القرية والذي صار عمره بعد مرور عشر سنوات عليه في تلك القرية عشرون عامًا قد أصبح كوالده تمامًا يفعل ما يشاء وقتما يشاء ولا يمكن لأحد منعه أبدًا فهو ابن السيد العظيم ثيدوس ولا يجرؤ أحد على رفض أمرٍ له.

كان مالك يتساءل في الطريق لماذا حذرته رقية من تلك القرية جاترن؟!!.. تمنى لو كان قد سألها حيال ذلك قبل أن يرحل لكنه لم يفكر في ذلك قبل ذهابه.. لا يهم الآن فهو ذاهب لهناك على أي حال وسيرى بعينيه ما في تلك القرية...

بعد بضعة أيام وصل مالك ورنيم لتلك القرية وأعطى للرجل الذي أوصلهم بعربته أجرته، وأكمل ذلك الرجل طريقه ولم يتوقف في القرية ليرتاح فاستغرب مالك من ذلك.. عندما دخل مالك القرية تعجب من كل هؤلاء الناس الذي يرتدون هذه الأطواق وأشكالهم التي توحي بالبؤس وأنظارهم التي كانت كلها متوجهة نحوه...

لم تلقَ هذه القرية زوارًا منذ مدة فحاول الكثيرون سرقة مالك ولكنهم فشلوا فاستغرب مالك وتعجب من أمر هذه القرية المجنونة وحينها بدأ يفهم نوعا ما لماذا حذرته رقية من هذه القرية.... قد صادف بعض الرجال الذي أرادوا ضربه ليحصلوا على ما يملك بالقوة لكنه استطاع الهروب والتملص منهم بتضليلهم وهو يجري مبتعدًا عنهم حتى توقف مالك ومعه رنيم في زقاق بدت فيه البيوت التي من حوله قديمة ومتداعية للغاية سمع فيه أصوات نساءٍ يتأوهن ولم يلقِ لذلك بالًا، فالأهم الآن هو أن يخفي ما معه من أشياء.. قرر أن يخبئ ما معه في مكان ما حتى لا يلفت الأنظار إليه فحاول أن يحفر بسيفه القصير وقام بدفن ما معه في تلك الحفرة ولم يبقَ معه شيء سوى بعض من المال ليستأجر مكان يقيم فيه هذه الليلة ويرحل عن هذه القرية غدًا...

مشى مالك ورنيم قليلًا مبتعدين عن المكان الذي خبئا فيه حاجاتهما

بعد أن حفظ مالك مكانها... رأى كثيرًا من الناس ظهرت عليهم العديد من الجراح في أجسادهم وبدا على وجوههم أيضًا الكثير من الندوب... ظهرت عليهم جميعًا تلك العلامات من رجال ونساء وأطفال، واستغرب كثيرًا لأنهم كلهم كانوا نحيفين بشدة.. كان يراهم جميعًا يربطون بطونهم بالحبال لا يعلم أنهم يفعلون ذلك لشدة جوعهم... ثم رأى مالك بعد مدة رجلًا يجلس على كرسي يقف بجانبه ثلاث من الحراس وتجمع حوله كثيرٌ من الناس.. كان هؤلاء الناس يقومون بلعق قدميه وكان يعطي قطعةً من اللحم لكل من يفعل ذلك يقول لمن يتقدم له راغبًا في اللحم " هيا الهث أيها الحثالة وانبح كالكلب ثم العق قدماي وحينها سأكافئك فأنا أحب الكلاب المطيعة!!! " فكان كل الناس حوله يفعلون ذلك ولمح ذلك الرجل مالك وهو ينظر إليه فقال له:

- " ما الأمر أتريد لحمًا أنت أيضًا أيها الكلب؟!!... أظن أنك تعرف ما عليك فعله وإذا جعلت تلك الجروة الصغيرة التي معك تفعل ذلك أيضًا فسأعطيك قطعة إضافية "

= " أشكرك على كرمك أيها السيد الوغد لكني لا أريد لحمك... ربما لو لعقت أنت قدمي سيكون ذلك أفضل " رد مالك وقد أغضب ذلك الرجل فوقف وتقدم نحوه...

- " ماذا تقول أيها الحثالة أتدرك مع من تتحدث؟!!! " صاح بغضب

= " نعم أدرك ذلك "

- " هذا جيد كيف تجرؤ إذا..... "

= " أنت وغد وضيع أبله أليس كذلك؟!!... كلا انتظر أنت مغفل عاهر أيضًا " قاطع مالك ببرود ذلك الرجل فاشتعل وجهه من الغضب برده ذاك...

- " كيف تجرؤ أيها الوغد الحقير؟!!!... كيف تجرؤ الكلاب على أن تتحدث مع الأسود هكذا؟!!.. ستكون هذه نهايتك!!! " رد الرجل صائحًا حانقًا يشعر بغيظ كبير وهو ممسكٌ بقميص مالك...

= " معك حق كيف تجرؤ الكلاب على أن تتحدث مع الأسود هكذا؟!!.. ربما أنا فقط متواضع لا غير لهذا أنت لا تعرف حدودك.. لكنك أصبحت تنبح بصوت عالٍ أخفض صوتك قليلًا أيها الجرو واترك قميصي فهذه وقاحة.. يبدو أن صاحبك لم يروضك جيدًا هذا كان ما ينقصني اليوم جروٌ غير مروض ينبح في وجهي!! "

لم يتمالك ذلك الرجل نفسه ووجه لكمة نحو مالك فأمسك مالك يد ذلك الرجل وعرقل رجله وطرحه أرضًا فتقدم إليه حراسه، فأخذ مالك يخنق ذلك الرجل وهدد بقتله إن لم يأمر حرسه برمي سيوفهم نحوه فأمرهم الرجل على الفور بذلك.. أسرع مالك وأخذ سيفين من الذين قد رموهم وأمرهم مالك بأن يهربوا وإلا قتلهم جميعًا فلاذوا بالفرار من ذلك المجنون.. أما الرجل الذي طرحه مالك أرضًا كان ينظر لمالك في ذهول فقام مالك بركله وصاح قائلًا: " ما الذي تنتظره أيها الوغد؟!!.. هيا اذهب واغرب عن وجهي!!! " فقام ذلك الرجل مذعورًا وهرب بعيدًا...

أصيب أولئك الناس الذين شاهدوا ما فعله مالك بالفزع والخوف وأخذوا يهربون من هذا المكان وهم يسبُّون مالك بحقدٍ وغل ويدعونه

بالأبله المعتوه ربما لأنه أضاع عليهم فرصة الحصول على اللحم لكنه كان جاهلًا بذلك، فتعجب مالك من ردة فعل هؤلاء الحمقى وابتعد هو ورنيم أيضًا من هذا المكان.. لا يعلم من هو ذلك الرجل الذي ضربه.. وظلَّ يمشي هادئًا لا يعلم مقدار الورطة التي أقحم نفسه بها.. وأن الرجل الذي ضربه كان (كانت) ابن ثيدوس...

بينما مالك يمشي هو ورنيم جذبته يد رجل ما وسحبته إلى أحد الأزقة فصاح مالك قائلًا:

- " من أنت يا هذا؟!! "

= " أرجوك أيها السيد ساعدنا أرجوك لا بد أنك قوي للغاية لتجرؤ على هذه الفعلة فلم أرَ أحد غيرك من قبل قد قام بما فعلته "

- " ما الذي تقصده أيها الرجل؟! "

= " ألست أنت الذي ضرب السيد كانت ابن السيد الأعلى ثيدوس؟!!... لقد شاهدت ذلك... الرجل الذي ضربته منذ قليل أتذكر؟ "

- " أتعني ذلك الوغد؟!.. نعم أنا من ضربه... ولكن ما الذي يدفعني لمساعدتك أنت؟!! "

= " ساعدني يا سيدي أرجوك... لقد سئمت من كل هذا أريد العيش كإنسان ولا أريد أن تكبر ابنتي ليغتصبها أحد هؤلاء.. أرجوك!!! " رد ذلك الرجل وعيناه تفيضان بالدموع يبكي بحرقة شديدة

- " أنا لا أعلم من أنت يا هذا وما الذي تتحدث عنه.. أنا لن أساعدك فدعني وشأني وامسح دموعك ولا تبكي هكذا.. ما بك؟!! "

= " أنت لا تعلم يا سيدي مقدار المعاناة والذلّ التي نمر بها كل يوم!!!... ما كنت لأطلب مساعدتك ولكن.. لكن... "

- " معاناتك وذلّك ليسا من شأني أيها الوغد!!... فقط ابتعد عني ولا تقترب مني مجددًا!! " قاطعه مالك ببرود وعينين صارمتين...

= " لكن ابنتي الصغيرة ستموت يا هذا!!!.. لا أستطيع أن أراها تموت أمام عيني ولا أحرك ساكنًا!!!! " رد ذلك الرجل صائحًا وهو ممسكٌ بقميص مالك..

- " ألا ترى أنك قد تخطيت حدودك قليلًا يا رجل؟!! " رد مالك بصوت غليظ فحاول ذلك الرجل أن يتمالك نفسه ويهدأ...

= " أنا آسف معك حق لقد انفعلت قليلًا... اعذرني على هذا وأرجو أن تنسى كل ما قلته لك الآن.. وأرجوك لا تخبر أحدًا أن لدي ابنة يجب ألا يعلم أحد بهذا الشأن بالأخص أرجوك " رد الرجل وهو يمسح دموعه.

- " حسنًا لا تقلق لن أخبر أحدًا بشيء "

= " قبل أن أذهب أريد أن أحذرك أيها السيد مما قد فعلته فأنصحك بأن تغادر الآن حالًا أو تختبئ في مكان ما بسرعة لو قررت البقاء هنـ.... " رد ذلك الرجل واتسعت عيناه لما رآه خلف مالك فقد وجد عددًا كبيرًا من الجنود يبحثون عنه ومعهم أحد الحراس الذين كانوا مع كانت واتجه جميع هؤلاء نحوهم... حمل ذلك الرجل رنيم وهرب بها أما بالنسبة لمالك فقد فات الأوان...

استطاع أولئك الجنود أن يمسكوا مالك وأبرحوه ضربًا ووضعوا طوقًا

حول رقبته وقيدوا يديه بالسلاسل ثم أجبروه على السير معهم نحو قصر ثيدوس لينال عقابه على ما قد فعل والذي بالطبع سيكون الموت.

دخل مالك القصر والذي بدا متقنًا للغاية من كل النواحي وكان في جدرانه وأعمدته كثير من الزخارف التي بدت من الذهب والفضة وكانت كثيرة بشكل مبالغ فيه فحتى الأرض لم تخلُ من بعض الترصيع بالذهب وكانت مقابض الأبواب من الأحجار الكريمة فذهل مالك من ذلك القصر ومقدار الترف والثراء الفاحش الظاهر عليه... ومرَّ به هؤلاء الجنود على غرفة التعذيب فرأى مالك بعضًا من الرجال والنساء يعذبون في الداخل.. جثى مالك على ركبتيه من هول ما يراه فاتحًا فاه.. صامتًا لبرهة.. ثم أطلق صرخةً قوية، فضحك الجنود على وجه مالك ورد فعله ذاك وهم يقولون أن هذا سيكون مصيره ثم سحبوه وهو لا تفارق وجهه تلك النظرة التي توحي بهول فزعه مما رآه من الرعب والمعاناة الشديدة تلك...

رأى مالك في غرفة التعذيب بعضًا من الرجال والنساء بالداخل وكانوا جميعًا عراة يتعرضون لأشد أنواع الألم بصرخات لا تتوقف لشدة فظاعة ما يمرون به... كان من بينهم رجل يجلس على كرسي يحتوي على المسامير في كل بقعة منه ويصل عددها إلى ما يقارب ألفي مسمار.. كان مثبتًا على هذا الكرسي بعدد من الأربطة والأحزمة فتخترق المسامير كامل جسده حتى الذراعين وأخمص القدمين والخصيتين ووُضعت أثقال فوق جسمه لتضغط عليه نحو الأسفل.. ثم رأى مالك أحد الجلادين يثبت عند عنق ذلك الرجل شوكة مزدوجة الطرفين في كل طرف سنَّان حادان طويلان مربوط بها حزامٌ جلدي عند منتصفها وكان الطرف الأول يثبت تحت الذقن أما الطرف الثاني

فيغرز تحت الرقبة ويثبت أعلى القفص الصدري ثم يربط الحزام الجلدي حول الرقبة بإحكام.. بعد هذا تركه ذلك الجلاد ليعاني بعدما انتهى من وضعها ثم قام بمسح يديه وكذلك قدميه اللتين لطختا بدماء ذلك الرجل التي تسيل على الأرض بلا توقف...

كانت هناك امرأة تم تثبيت جسدها في قطعة كبيرة من الخشب بغرز مسمارين كبيرين في كل من ذراعيها ورجليها وأمسك ببطنها جلادان كل واحد منهما يحمل أداة تشبه الكماشة.. كان فكيها عبارةٌ عن طرفين مدببين حادين للغاية على شكل مقوس بدا شكل الفكين معا كدائرة عندما ينطبقان معًا.. قام هذان الجلادان بغرز تلك الأداة في ثدييها وأحكموا إغلاقها ثم أخذا يشدَّانها بقوة فشهد مالك لحظة اقتلاع ثديي تلك المرأة والدم الذي يسيل منها وبروز عظام صدرها.. ثم نزع الجلادان المسامير من أطراف تلك المرأة ووضعاها على شيء يشبه السرير وكان يبدو واقفًا بشكل مائل للأعلى.. يحوي ثلاث بكرات ولوحين خشبيين وُضع كل واحد منهما بينَ تلك البكرات وربطت أطراف تلك المرأة بحبال قوية كانت متصلة بتلك البكرات.. ثم قام أحد الجلادين بإدارة البكرات بشكل متعاكس فأدى ذلك لشد جسم تلك المرأة وتمديده لدرجة فظيعة حتى تقطعت أوصالها وتمزقت...

رأى مالك رجلًا مقيد اليدين يمتطي قطعة حديدية كبيرة مثبتة على أرجل حديدية وكان مقطعها على شكل مثلث يتجه أحد رؤوسه للأعلى وطولها يقارب المتر أو أكثر وقد بدت تلك القطعة حادةً جدًا وقاطعةً للغاية... كانت هناك أثقال مربوطة بقدمي ذلك الرجل لتشده إلى الأسفل وكان

ذلك الرجل لا ينفك عن الصراخ والأنين من شدة ألمه بعد أن تعمقت تلك القطعة الحديدية في جسمه مع انهمار ذلك السيل من الدماء من جسده... قد رأى مالك أيضًا مشاهدًا فظيعةً أخرى غير تلك جعلته يصاب بالمرض لرؤيتها وكاد يتقيأ ويفرغ ما في بطنه لولا أن سحبه الحراس في هذه اللحظة..

وصل مالك لغرفة ثيدوس التي كان يجلس فيها على عرشه وحوله عديدٌ من الجواري الحسناوات الشبه عاريات يتغزلن بذلك الرجل القذر، وأولئك الجواري كُنَّ من أهل القرية وقد انتقاهن ثيدوس ليكن خاصته اللاتي يمرح بهن وحده... حالما رأى ثيدوس مالك المقيد ابتسم ثم وقف وتقدم إليه ببطء حتى وصل إليه ببطنه السمين ثم قال:

- " أنت هو الصعلوك الحقير الذي تعدي على ابني إذا... أول أحمق رأيته تجرأ على ذلك هو أنت.. ولذلك سأحرص على أن أعذبك بنفسي جيدًا!!... لكني لست مثل باقي الجلادين لن أعذبك بأداة واحدة أو أداتين بل سأجعلك تتجرع الألم من كل أداة حتى أستمتع برؤية ألمك وسماع صراخك بشتى الطرق!!... لن أعذبك الآن فأنا لم أشبع رغباتي من الرجال منذ مدة فسأعاشرك حتى أخمد شهوتي أولًا!!!... وصدقني سأحرص على أن أمتعك جيدًا!!! "، واقترب ذلك الرجل من مالك كثيرًا ومد يده نحو مؤخرته فرفع مالك رأسه وقام بنطح رأس ذلك الوغد ثيدوس به وأسقطه أرضًا.. غضب ثيدوس كثيرًا وأمر بضرب ذلك الوغد مالك حالًا فقام مالك بلف قيود يديه حول رقبة أحد الجنود ورماه عليهم فسقط اثنان منهم، وقام جندي بطعن مالك بسيفه فاخترقه وخرج السيف من ظهره فصرخ مالك بقوة... اقترب مالك من ذلك الحندي الذي طعنه واحتضنه.. فقام ذلك الجندي

بدفعه بعيدًا عنه ووقع مالك على الأرض وتقدم الجنود نحوه بسيوفهم ولم يعلم مالك ماذا يفعل الآن.. تفقد المكان حوله فوجد شرفة تطل على الخارج وقد كانت مفتوحةً فجرى مالك نحوها وقرر أن يقذف نفسه منها فاستغرب ثيدوس والجنود مما فعله ذلك المخبول بعد أن رمى نفسه نحو هلاكه ورأوه من الشرفة صريعًا لا يتحرك في بركة من الدماء بذلك السيف المغروز في جسده...

" يا رجلُ كم أتمنى أن أشعر بالألم كإنسان عادي فذلك سيكون مؤلمًا بشدة!!!! " قال مالك ذلك لنفسه قبل أن يقفز... ثم ارتطم جسد مالك بالأرض وأطلق صرخةً قويةً عندما تحطمت العديد من عظامه.. قد سمع صرخته جميع من في القصر والناس الذين كانوا بالقرب منه وكان من بين هؤلاء (داينز) الذي أراد تفقد حال مالك بتنصته بالقرب من شرفة ثيدوس بينما كان يعمل لوقتٍ إضافيّ.. ذلك كان الرجل الذي طلب مساعدة مالك في عصر اليوم ورفض مالك ذلك.. قد رأى داينز شيئًا ما يسقط من شرفة القصر فأحس أنه مالك وتأكد بعدما سمع صراخه فأسرع نحوه ووجده ملقًا على الأرض.. اقترب من مالك وظنَّ أنه قد لقي حتفه لكنه فزع عندما رآه رافعًا يده يشير نحو شيء ما وهو يقول " المفتاح ... أحضر المفتاح " وأُغمى عليه بعدها.

ما زال مالك حيًا فأسرع داينز بجلب مفتاح أصفاده الذي استطاع مالك الحصول عليه من ذلك الجندي الذي طعنه بسيفه عندما اقترب منه مالك واحتضنه فحصل عليه قبل أن يدفعه، وحمل داينز مالك بعيدًا عن ذلك المكان وذهب به إلى بيته الذي أخذ رنيم إليه من قبل ووضع مالك على

سريره وظل مالك مغماً عليه بعد ما مر به في تلك الليلة حتى حل الصباح...

استيقظ مالك وجسده ما زال يؤلمه ووجد السيف الذي اخترق جسمه منزوعًا منه وملقًا في أحد أركان الغرفة كذلك قد فُكت قيوده.. حاول أن ينهض لكنه لم يستطع تحريك جسده فسأل مالك عن داينز ذلك الرجل الذي أنقذه فأخبرته ابنته أنه قد ذهب لعمله من الفجر وسيعود عصر هذا اليوم، فانتظره مالك حتى عاد وبحلول ذلك الوقت قد تعافت بعض أجزاء جسده وطلب مالك من داينز أن يجلب له حاجياته وأرشده على المكان الذي خبأها فيه فأحضرها داينز... كان بحقيبة مالك بعض الطعام فطلب منه مالك أن يتناول الطعام معه فشكره داينز كثيرًا على كرمه فقد مضى عليه أربعة أيام لم يتناول فيها الطعام وكان يؤثر فيها ابنته على نفسه لأنها كانت مريضة...

عرف داينز عن نفسه وبادره مالك بأن ذكر له اسمه أيضًا وأخبره مالك بأنه سيساعده في ما يريد وقال مالك: " أنت تريد التخلص من ذلك الوغد ثيدوس أليس كذلك؟ " فأجابه داينز بأن ذلك هو فعلًا ما يريد وحكى داينز له ما فعله ثيدوس معهم منذ اليوم الذي أتى فيه إلى هذه القرية قبل عشر سنوات وفي نهاية حديثه قال بحرقةٍ شديد وهو يبكي:

- " إذا سألت أهل القرية عمَّا فعله ثيدوس بالنساء أول ما جاء إلى هنا سيقولون لك بأنه قام باغتصابهن جميعًا هو وجنوده ولكنهم أبدًا لن يذكروا لك هذا... لقد خُير النساء بين أن يعذبن حتى الموت وبين أن يتم اغتصابهن فتجرأت إحداهن واختارت أن تعذب وتموت على أن يُنتهك عرضُها... رأى جميع النساء كيف عُذبت تلك المرأة ومقدار الألم الذي مرت به فأُصبن بالرعب والفزع وهلعن وأشفقن على أنفسهن من فظاعة ذلك العذاب

وفضلن جميعًا أن يُغتصبن على ذلك... تلك المرأة كانت زوجتي أنا... قد أبى النساء أن يخبرنني أين اختفت وماذا حل بها في البداية ثم كذبن حيال الأمر وأخبرنني أن الجنود قد اجتمعوا على اغتصابها لوقاحتها وماتت جراء ذلك في النهاية.. ولم أعلم بحقيقة الأمر إلا بعد مدة من أحد الجنود الذي شهد تعذيبها بحق... قد شعرت بالفخر الشديد بزوجتي حالما عرفت الحقيقة كذلك شعرت بحزن كبير على تلك العفيفة التي صانت شرفها وشرفي... لم يبقَ لي بعد ذلك إلا ابنتي التي قررت أن أحميها عن هؤلاء مهما كلف الأمر... كبريائي وعزتي بنفسي قد تحطما تمامًا وفكرت عدة مرات أن أقتل نفسي لكنني لم أستطع فعل ذلك لأنه ما زال لدي شخص يجب أن أعيش من أجله لا أستطيع تركه في هذه الدنيا وحده.. فما زال لدي ابنتي.... في يوم ما قد تراكم علي الجوع والإجهاد وسقطت فاقدًا وعيي وأنا في منتصف العمل ولم يلاحظ ذلك إلا حارس واحد فقط من الذين كانوا يشرفون علينا وكان مصير من يتقاعس في عمله هو العذاب حتى الموت.. لكن ذلك الرجل كان لديه ميول نحو الرجال فخيرني بين الموت وبين أن يغتصبني... كنت لأختار الموت على ذلك ولكني تذكرت ابنتي والتي سيكشف أمرها من دوني فقد تموت أو قد يتعدى عليها أحد هؤلاء ويغتصبونها.. أدركت حينها أني يجب أن أعيش.. يجب أن أعيش لأجل ابنتي مهما كلف الثمن فتركت ذلك الحارس يفعل بي ما يشاء... والآن ابنتي مريضة!!!!.. وهم يقتلون كل مريض بحجة أنه عبء عليهم وكذلك يتم قتل كل من يحاول الخروج من هذه القرية فلا أستطيع أن أفعل لها شيئًا وأخاف أن تموت بين يدي!!!!... لقد سئمت هذا الذلَّ والهوان.. سئمت هذه العيشة أريد أن أشعر أني رجل مجددًا أريد أن أشعر أنني إنسان لا حيوان يسوقه هؤلاء كيف يشاؤون.. أريد

أن أنقذ ابنتي الوحيدة التي بقيت لي في هذا العالم فأرجوك ساعدني.. سأفعل أي شيء تريد!!!! "

قد أخفى نساء القرية ما قامت به زوجة داينز وأخبرن أهلهن أنها قد ماتت بعدما اجتمع عليها الجنود وعاشروها بقوة خشية أن يعايرهم أهلهم بما قد فعلته فلم يردن أن يتعرضن لتوبيخهم... سابقًا كان كل رجال تلك القرية يمتلكون كبرياءً وأنفة كبيرة وما سيزيد على أولئك النساء الأمر سوءًا هو كون تلك المرأة زوجة داينز نفسه.. أحد أفقر أهل القرية وأقلهم شأنًا ففضلن إخفاء الأمر... قد علم داينز حقيقة إخفائهن الأمر عنه وعن رجالهن لكنه لم يشأ أن يجلب لهن أي سوء بالرغم من شدة حرقته وغيظه لما قد قالوه عن زوجته لأهلهم.. " ما يحدث معهم الآن يكفي ".. هذا ما رآه.. فكتم الأمر في نفسه وكان ذلك هو فخره الصامت.

كان باكيًا يشعر بوخز قوي في قلبه يؤلمه بشدة لفظاعة ذكرياته.. يحكي لمالك وأضلعه تتفتت منٌ شدةً الحسرة والحزن.. تساقطت دموعه كالسيل فهو قد كتمها لعشر سنوات تجرع فيها المر أيمًّا تجرع.. قد كان يائسًا للغاية كان يعلم أن طلبه مستحيل فكيف يطلب من رجل واحد أن يهزم ثيدوس وجنوده.. لكنه طلب منه ذلك يحاول أن يتعلق بأي أملٍ كاذب فقد سئم الحياة على أي حال، وقد قرر أنه إذا ماتت ابنته من مرضها فسيلحقها هو أيضًا فلن يكون هناك ما يحثه على الحياة إن فقدها... هون عليه مالك وتعاطف معه " لا تقلق لقد عزمت أمري وبعون الله لن أخذلك لا تيأس يا رجل اعتمد على الله ثم علي وصدقني لن يخذلك الله أبدًا " قائلا له بنبرة هادئة محاولًا مالك التخفيف عنه فبعثت تلك الكلمات في نفس داينز شيئًا

من الراحة والسكون.

حدثه مالك عن كذب هذا العالم وعن الإله الحق.. حدثه عن الله وعن أنه لن يتخذ ولدًا أبدًا.. أخبره أن أبناء الإله الحمقى ما هم إلا مجرد مدعين.. حدثه عن عفو الله ولطفه.. وهو يستمع له بلهفة.. طلب منه مالك أن يرفع يديه ويدعو الله ويشكوه.. طمأنه بأن الله لا يرد دعوة مظلوم أبدًا.. لم يعلم داينز لماذا.. لكنه قد شعر بسكينة كبيرةٍ قد افتقدها كثيرًا بعدما شكى الله ودعاه.. أخذت عيناه تنهمران بالدموع.. وانتابته راحة كبيرة للغاية.

كذلك قد سعد داينز برؤية ابنته ذات الاثنى عشرة عامًا تلعب بفرحة مع رنيم التي تقاربها في العمر.. فلم تحظَ ابنته بأي أصدقاء من قبل وظلت حبيسة البيت فرؤيته لابنته تضحك وتبتسم هكذا بعثت في قلبه سعادةً كبيرةً قد نسيها منذ زمن...

- " داينز.. سأعطيك ألفي جال مما معي فاذهب واجلب بعض الطعام لابنتك فهي مريضة وتحتاج أن تأكل جيدًا "

= " لكن هذا كثير يا سيد مالك "

- " لا تقلق بهذا الشأن فسأحصل قريبًا على أكثر من ذلك "

= " كيف ذلك؟! "

- " لدي شرط مقابل مساعدتك "

= " وما هو؟ سأفعل كل ما تريد "

- " لقد رأيت كثيرًا من الكنوز في قصر ذلك الوغد ثيدوس.. ستكون

من نصيبي أنا "

= " حسنًا يا سيد مالك لك ذلك " رد داينز بالموافقة، ولكنه كان يخشى من أن يرفض أهل القرية ذلك حتى لو استطاع مالك فعلها فتمنى أن يمر كل شيء على خير متغاضيًا عن ذكر ذلك له خشية أن يرفض مالك مساعدته وظنَّ أن بإمكانه إقناعهم لو حاول ذلك.

ذهب داينز للجنود ليجلب الطعام مقابل المال الذي أعطاه إياه مالك وسأله أحد الجنود عن كيف أتى بكل هذا المال؟ فرد عليه داينز بأنه قد سرقه من غريب قد رآه في القرية في وقت العصر منذ يوم.. شك فيه الجندي قليلًا ولكن جنديًا آخر أخبره عن الرجل الذي ضرب ابن ثيدوس في ذلك اليوم الذي تحدث عنه داينز وعندما قُبض عليه لم يجدوا معه شيئًا فربما يكون داينز يقصد هذا الرجل، فرد داينز بسرعة قائلًا أنه هو وأعطاه الجنديان الطعام ثم رحل.

أخذ مالك يفكر بما عليه فعله وكان حائرًا للغاية وكلما فكر بشيءٍ ينتهي الأمر في رأسه بأنه سيفشل لا محالة... حتى أتى عصر اليوم التالي والذي تمكن فيه مالك من وضع خطة ربما قد تنجح بالرغم من احتمال فشلها الكبير لكنه لا يملك وقتًا طويلًا للتفكير فهو يريد أن يرحل عن تلك القرية في أقرب وقت... حدث داينز عن خطته وذهب داينز ليقوم بدوره فور أن أخبره مالك حتى عاد بحلول الليل وتعافى مالك تمامًا في ذلك الوقت أيضًا لكن داينز قد عاد خائب الامل...

ذهب داينز ليحصل على تأييد رجال أهل القرية وقام بدعوتهم ليشاركوه على ما ينوي فعله.. لكنهم كلهم قد رفضوا فقد كانوا خائفين للغاية وظنوا

بأن داينز فقد عقله واستمروا في إحباطه وظلُّوا يقولون له بأن الأمر سينتهي بموته هذا إن كان محظوظًا ولم يتم تعذيبه قبل ذلك وحاولوا إقناعه بأن يعدل عن هذا الأمر ويستسلم.. هكذا استمر معه الأمر من بيت لآخر من خيبة لخيبة حتى اكتفى من هؤلاء الجبناء وقرر العودة لبيته...

- " أمتأكد مما تقول يا سابير؟ " قال أحد الجنود

= " نعم أنا متأكد وقد ذكر بأنه سيبدأ الليلة "

- " وإذا كنت تكذب ماذا أفعل بك؟ "

= " أنا لا أكذب يا سيدي سترى كل شيء الليلة وأرجوك لا تحاول إخافتي فأنا أعلم ما سيكون مصيري لو خدعتك "

- " حسنًا سآخذ بما تقول وأخبر باقي الجنود ولو اتضح أنك صادقٌ في النهاية ستنال مكافئة مجزية "

= " أتطلع لتلك المكافئة يا سيدي "

كان من يتحدث هو سابير أحد الرجال الذين طلب منهم داينز مشاركته ورفضوا، وعندما غادر داينز من عنده أسرع وانطلق فورًا إلى أحد الجنود ليشي بداينز.. طامعًا بأن ينال في المقابل كمًا كبيرًا من الطعام فبذلك قد فشلت الخطة وهي لم تبدأ بعد.

- " اذهب وأشعل أحد الحقول القريبة من قصر ثيدوس ثم اطلب النجدة من حراس بوابة القصر ".. كان ذلك أمر مالك الثاني لداينز فقام داينز بذلك وذهب مسرعًا لحارسي البوابة وأبلغهم عن الحريق، فاتفقا الاثنان على بقاء أحدهم للحراسة وذهاب الآخر لتبليغ الجنود وأمرا داينز بأن يسرع بجمع

أهل القرية ليطفئوا الحريق...

بقي حارس واحد فتسلسل مالك من خلفه بسيفه وأمسك رأسه وقطع عنقه ففك رأسه عن جسمه ثم سرق مالك ملابس ذلك الرجل وارتداها بعد أن أخفى جثته... دخل القصر باحثًا عن غرفة ثيدوس، وكان كل من في القصر نائماً الآن ما عدا بعض الحراس الذين كانوا يجوبون أرجاءه فحاول مالك أن يبتعد عنهم ويتجنبهم بقدر ما يستطيع.. كان حائرًا لا يعلم كيف سيجد غرفة ذلك الرجل، وبينما هو يبحث رأى غرفةً ذات باب كبير مزخرف بالياقوت والزمرد مصنوع من الذهب كتب عليه " ثيدوس " فجزم مالك أن هذا هو الباب المنشود ودخل هذه الغرفة...

وجد مالك ثيدوس يغطُّ في نوم عميق فقام مالك بتقييده من أطرافه في سريره ليمنعه من الحركة وبعد أنْ انتهى مالك جلس القرفصاء بجانب ثيدوس على سريره وهو ممسك سيفه بيده اليمنى موجهًا إياه نحو رقبة ثيدوس... قام بهز رأسه ليوقظه وحالما استيقظ أسرع مالك ووضع يده اليسرى على فمه حتى لا يصدر صوتًا، وانتاب ثيدوس هلعٌ ورعبٌ شديد لرؤية مالك.. لرؤية ذلك الرجل الذي ألقى نفسه من الشرفة ورآه ملقًا على الأرض ميتًا غارقًا في بركة من دمائه.. أليس من المفترض أنه في الجحيم الآن؟!!.. فكيف إذًا ينظر إليه ذلك الرجل بوجهه الشاحب ونية القتل ظاهرة عليه؟!!.. ظلَّ ثيدوس يصرخ لكن يد مالك كتمت صوته ورفع مالك يده اليمنى قليلًا ليريه سيفه فلمحها ثيدوس ورأى ذلك السيف عند رقبته كذلك رأى نظرات مالك المخيفة التي توحي بالغضب وقال له مالك:

– " مرحبًا أيها الوغد!!! " فأصبح ثيدوس متوترًا للغاية وأخذ يتعرق

بشدة فأكمل مالك " اهدأ ولا تصدر أي صوت وإلا قتلتك الآن!!! "

حينها فقد ثيدوس الأمل بالنجاة وقرر عدم مقاومته وقلبه يخفق بسرعةٍ شديدة، وعندما اطمأن مالك أن ذلك الوغد لن يقوم بالصراخ رفع مالك يده عن فم ثيدوس وقال له:

– " اسمعني أيها الحقير ستقوم الآن بما آمرك به دون جدال ولا أريد أي حماقة منك أفهمت؟!!! "

= " حسنًا سأقوم بكل ما تريد فقط مرني وأنا سأنفذ ولكن لدي سؤال أيها السيد "

– " تحدث "

= " ألست أنت الرجل الذي قُبض عليه في ذلك اليوم؟!! "

– " نعم "

= " وقد قفزت من الشرفة أليس كذلك؟!! "

– " نعم لقد فعلت ذلك "

= " فكيف إذا تتحرك أمامي الآن وأنا قد رأيتك على الأرض صريعًا؟!!!!"

– " لا أعلم "

= " إذا.. هل أنت.. شبح أو عفريت؟!! " رد ثيدوس وهو يكاد يبلغ حدَّه من القلق والتوتر الذي يشعر به.

– " كلا لكن ربما "

= " ربما ماذا؟!! "

– " ربما أنا أسوأ من ذلك!!! " رد مالك وقد لامس نصل سيفه برقبة ثيدوس فارتعش من الخوف وركبتيه تتخبطان ببعضهما ثم سمع ذلك الصوت...

طرق أحد الجنود باب غرفة ثيدوس ليبلغه عن أمر الحريق وطلب الإذن بالدخول، وفور أن سمع مالك صوت الطرق وضع يده على فم ثيدوس مجددًا وقال له " سأمليك بما عليك قوله ولا تقل أي شيء آخر غيره.. أفهمت؟!! " فهز ثيدوس رأسه موافقًا.

– " كيف تجرؤ على إزعاجي أثناء نومي أيها الوغد لا تدخل علي!!! " قال ثيدوس ما أخبره به مالك.

= " لكن يا سيدي الأمر لا يحتمل ذلك.. يجب علي إبلاغك.. فماذا سنفعل إذًا بشأن ذلك الحريق؟!! " رد الجندي.

– " اجعل كل الجنود في القصر يتوجهون إلى هناك وتصرفوا بأنفسكم والآن دعني وشأني!!! "

= " حـ... حسنا يا سيدي "

انتظر مالك في غرفة ذلك الوغد حتى يتم إخلاء القصر من الجنود وكان يراقبهم من وراء ستار النافذة حتى تأكد بأنهم قد ذهبوا جميعًا بعد أن اختفوا عن أنظاره، ثم ذهب مالك ناحية ثيدوس وفك قيده واصطحبه معه لموقع ذلك الحريق.

كان الجنود مجتمعين هناك بسيوفهم وأرغموا الكثير من أهل القرية على

إطفاء ذلك الحريق وقد تعرضوا لكثيرٍ من الإصابات من ألسنة النيران أثناء ذلك.. كان الجنود يجلدونهم ليحثوهمً على الإسراع لكيلا تلتهم النار المزيد من المحاصيل، وجاء مالك ليشهد ذلك المنظر.. رأى بعض الجنود يعبثون ببعض من رجال القرية الذين يحاولون ما بوسعهم لإطفاء الحريق فإذا بجندي وغدٍ يركل واحدًا منهم ليقع في النيران.. ثم يعلوا صوت قهقهة ذلك الجندي هو ورفاقه على ذلك الرجل المسكين الذي يتلوى على الأرض والنيران تلتهمه، فإذا بيد مالك التي تحمل السيف تهتز من شدة الغضب... ثم تقدم ببطء خلف ثيدوس موجهًا سيفه نحو عنقه وقال مالك له على مسافة بعيدة نوعًا ما من الجنود " اجعلهم الآن يقومون بما آمرك به "

رأى الجنود مالك الذي أخذ سيدهم ثيدوس كرهينة وكلهم يترقبون ما سيفعله به وبعد مضي بضع لحظات سمعوا بعدها صوت سيدهم يقول:

- " أيها الجنود ألقوا بأسلحتكم كلها أرضًا وتقدموا ببطء نحوي!!! " فتعجب الجنود من أمر ثيدوس وأخذوا ينظرون لبعضهم فصاح بقوة قائلا " افعلوا ذلك أيها الحمقى وإلا سيقوم بقتلي!!!! "

قام الجنود بذلك واقتربوا من مالك حينها طرح مالك ثيدوس أرضا وداس عليه وصاح قائلًا: " إنها فرصتكم الآن أيها الرجال هيا أسرعوا واحملوا أسلحة الجنود التي أمامكم واقتلوهم الآن!!!... أسرعوا أيها الأوغاد فالفرصة تأتي مرة واحدة!!!! "

لم يكد يصدق أولئك الرجال ما سمعوه... على الرغم من أنهم رفضوا جميعًا مساعدة داينز إلا أن ذلك ساعد في انتشار الخبر ومعرفتهم بما يرغب مالك بفعله كما أراد فقد توقع رفضهم من البداية لكنهم الآن رأوا بوادر

نجاح وفرصة محققة لنجاتهم فلم يتمالكوا أنفسهم بتلك النظرات السخيفة التي ألقوها لبعضهم ولن تدرك أنت أبدًا مقدار الإحساس الذي شعروا به في تلك اللحظة، فقد شعروا بإحساس رائع لا يوصف وبلذة كبيرة فثاروا واهتاجوا وانقضوا على تلك الأسلحة والتقطوها كلها وهجموا على أولئك الجنود وأخذوا يقتلونهم دون رحمة وشعروا بنشوةٍ كبيرةٍ وهم يذبحونهم.. قد ظنوا أن ذلك اليوم لن يأتي أبدًا لكنه قد أتى لذا سيقتلونهم سيقتلونهم جميعًا فقط سيقتلونهم هذا كل ما في بالهم.. الآن فقد حانت اللحظة التي سينتقمون فيها لأنفسهم وعرضهم وسيقتلونهم!!!!.. كلهم!!!!!.

– " اشهد على ذلك... أريد حقيرًا مثلك أن يرى نهاية أتباعه أريدك أن أعذبك وأعذب نفسك الحقيرة وذلك بجعلك ترى مصيرك أمام عينك.. لكنه لن يكون مثلهم تمامًا صدقني سأحرص على أن يكون أسوأ.. فأنا أحب تعذيب ضحاياي كذلك لا أعذبهم بأداة أو أداتين بل سأجعلك تتجرع الألم من كل أداة حتى أستمتع برؤية ألمك وسماع صراخك بشتى الطرق... ألن يعجبك هذا؟!!! " قال مالك لثيدوس الذي تخشب وتيبس في مكانه من شدة الخوف عندما أعاد مالك كلماته التي قالها سابقًا إليه وأخذ يصرخ ويصرخ بصوت عالٍ وظلَّ على هذا الحال ومالك يضغط بقدمه بقوة على ظهره، وأخذ ثيدوس يترجى مالك بأن يرحمه لكنه استمر بإذلاله ولم يتوقف ثيدوس عن الترجي حتى سمع ذلك الصوت القوي...

سمع ثيدوس صوت إطلاق النار وعندما استدار رأى جسد مالك يسقط على الأرض بعد أن تلقى كل تلك الطلقات وسمع ابنه وهو يقول " ما الأمر يا أبي؟!!.. أنا لم أرك بمثل هذه الحالة من قبل!!! ".. أعانه ابنه (كانت)

على الوقوف فوجد ثيدوس ذلك الحثالة مالك ملقًا على الأرض لا يتحرك.. قد جلب ابنه (كانت) معه مائة وخمسين جندي آخرين منهم مائة يحملون السيوف والخمسون الباقون يحملون البنادق، وقد أمر من يحملون البنادق بإطلاق النار على أولئك القرويين الذي تجرؤوا على الوقوف في وجههم...

كان (كانت) يراقب ما يحدث من بعيدٍ منتظرًا هذه اللحظة ليظهر فيها كالبطل الذي سينقذ الوضع أمام والده وقد خطط لذلك بعد أن أخبره الجندي بما قاله له سابير عن أن داينز يخطط لفعل شيء ما الليلة، فجمع كانت أولئك الجنود وأمرهم بالتكتم عن ذلك الأمر وألا يخبروا والده إطلاقًا.. " لقد سئمت منك يا أبي الحقير!!... دائمًا ما تعاملني بأنني أبله ومعتوه سأريك الآن كيف سأتصرف عندما تكاد تفقد حياتك!!!... لقد تماديت في السخرية مني والاستهزاء بي بعدما تعدى علي ذلك الوغد في ذلك اليوم وقد جعلتني حانقًا منك للغاية... سأجعلك تعلم يا أبي الوغد ما بوسع ابنك فعله!!! ".. كان ذلك ما يفكر به (كانت) عندما رأى والده يتعرض للإذلال من قبل مالك أمامه...

– " أين كنت طوال هذا الوقت أيها الأحمق؟!!.. لقد كان ذلك الوغد على وشك أن يقتلني وأنت كنت تتسكع في مكان ما أليس كذلك؟!!! " صاح ثيدوس في وجه كانت بعد أن نهض من على الأرض.

= " ألا يمكنك أن تشكرني على الأقل لأنني أنقذتك!!... لقد سئمت منك ومن كلامك!!! " رد كانت وهو يشعر بالغيظ.

– " أنا أشكر الحمقى أمثالك؟!!.. هذا في أحلامك أيها الأبله!!.. ليتك لم تولد ولم تكن ابني كنت سأرتاح كثيرًا "

- " إذا شاهد ما سأفعله الآن وستعلم أنني لم أكن أتسكع كما تقول!!! "

ساد الرعب بين رجال القرية بعد أن رأوا مالك يسقط أمامهم صريعًا على الأرض وفزعوا عندما أتى أولئك الجنود وأطلقوا عليهم النار فأخذوا يركضون مذعورين يحاولون الهرب.. لكن محاولتهم باءت بالفشل وقُتل العديد منهم وشعروا بالندم على محاولتهم تلك على الوقوف بوجه ثيدوس.. تمنوا لو لم يفعلوا ذلك وأخذوا يقولون بأن هذه نهايتهم وبأنهم لا يريدون الموت وقد يفعلون أي شيء للبقاء على قيد الحياة.. لكن كل ندمهم كان هباءً فلم يتوقف الجنود عن قتلهم بعدما انقلب الأمر عليهم...

بعد أن أنهى (كانت) حديثه مع والده أخذ يسأل عن داينز ويأمره بالكشف عن نفسه وكان داينز مختبئًا يسمع نداءه لكنه شعر بخوف شديد وتملكه الجبن فأبى أن يخرج.. أخذ (كانت) يستمر في النداء عليه وداينز متجمدٌ في مكانه لا يتحرك... بعد أن ملَّ (كانت) من النداء عليه قال " أمت أم ماذا يا داينز؟!!.. هل أنت خائف؟!!.. لا تقلق سأساعدك على تجاوز خوفك فلدي الشيء الذي سيحفزك!! "، وأشار (كانت) لبعض جنوده ففهموا الأمر وأظهروا ابنة داينز (روزان) ورنيم المقيدتين، وقد ظهر عليهما أنهما تعرضتا لضرب أفقدهما وعيهما فكانتا كلتاهما مغمتان لا تتحركان.

***

بعدما علم (كانت) بما قاله سابير أمر بعضًا من جنوده باقتحام بيت داينز والتفتيش فيه فلربما قد يجدون شيئًا فيه يجعلهم يتبينون ما الذي ينوي داينز على فعله، وحينما اقتحموا البيت وجدوا روزان ورنيم وقرروا القبض عليهما فحاولتا مقاومتهم لكنهما كانتا ضعيفتين للغاية.. انزعج أحد الجنود منهما

فقام بضربهما حتى سقطا على الأرض فقلق كثيرًا لأن كانت سيوبخه إذا ماتتا بسببه، وعندما تفقدهما وجدهما ما زالتا حيتين فاطمأن لذلك وأخذهما الجنود.. وعندما عادوا فرح (كانت) كثيرًا برؤية هاتين الطفلتين فستكونان جيدتين للغاية في دور الرهينة.

***

" لم يعد عقلي يتحمل ذلك الألم الشديد... أنا بالكاد أحافظ على وعيي ورؤيتي أصبحت ضبابية للغاية ... ما هذه الأصوات العالية؟!!.. يبدو أنها تصدر من تلك العصي التي يحملها أولئك الجنود... هناك وميض يخرج منها أتلك هي التي أطلقوا علي النار بها؟!!... هل كل ما يحدث معي حقيقة فعلا؟!!.. أنا نفسي لم أعد أصدق ما يحدث معي.. لم أعد أصدق هذه الحماقة.. ربما يكون كل هذا كابوسًا لا أكثر وقد أستيقظ منه في أي لحظة الآن... لكن!!.. ما الذي يفعله هذان الجنديان الأحمقان؟!!.. إن القرويين في الخلف فلمن إذًا يوجهان عصيهما تلك؟!!! ".. رأى مالك الطفلتين ملقاتين على الأرض لا تتحركان وهذان الجنديان كانا يوجهان بندقيتيهما نحوهما، فحاول مالك أن يجمع كل ما لديه من قوة وأخذ يزحف نحو (كانت) وأمسك برجله وقال:

- " اتركهما وشأنهما أيها الوغد!!! "

= " ماذا أما زلت حيا؟!!.. أمرك عجيب يا هذا!!.. للأسف لقد أوقعت نفسك في الجحيم!!!.. ولهذا سأعذبك حتى تستسيغ طعم الموت وتشتهيه!!! " رد عليه كانت

قام (كانت) بركل مالك بقوة ثم أخرج خنجرًا وقطع إحدى أذنيه..

أخذ يمزق ظهره ثم غرز الخنجر في عينه اليسرى.. كان مالك يتألم بشدة.. بشدة للغاية.. يعلو صوته بالصراخ.. كان صراخه يؤذي نفس داينز كثيرًا.. كذلك رؤية داينز لابنته ورنيم مقيدتين وهما على وشك الموت فقط بإشارة من (كانت) قد آلمته كثيرًا، فانشطر قلبه من شدة الحزن وكره نفسه الجبانة كثيرًا وأخذ يبكي ومالك يعلو صوته بالصراخ وحينما همَّ (كانت) بقطع رجل مالك قال:

- " يبدو أنك لا تود الخروج يا داينز الوغد أمامك فقط بعض ثوان فحالما أنتهي من قطع رجل هذا الأحمق الذي أمامي سأعطي الأمر بقتل الطفلتين ".. بعد سماع هذه الكلمات قد بلغ الأمر بداينز حدَّه وقرر الخروج بلا مبالة لما يحدث معه ولنفسه الجبانة تلك...

= " توقف يا كانت!!!! " صاح داينز عاليًا بعدما انتهى (كانت) من كلامه وأظهر نفسه أمامه وقلبه تتسارع دقاته من الخوف الشديد

- " أحسنت بإظهار نفسك يا داينز أيها الوغد الضئيل!!.. لكن لا تنادي سيدك باسمه المجرد أيها الحثالة!!!.. هيا تقدم نحوي!!! " رد (كانت)

تقدم داينز وهو يشعر بتوتر شديد وكل الأنظار موجهة نحوه.. يمشي ببطء يعلم مصيره المؤلم.. فمرت تلك اللحظات بصعوبة على داينز حتى وصل ووقف أمام (كانت).. بدا متوترًا وخائفًا فابتسم له (كانت) ابتسامةً سخيفة وهوى بهراوةٍ على بطنه بقوة.. تلك العصا الحديدية التي بطرفها كرة كبيرة مسننة.. ضرب (كانت) داينز بها فسقط داينز على الأرض يتوجع ممسكًا ببطنه صارخًا بشدة... أمر (كانت) جنوده بالتوقف عن الهجوم وأن ينضموا بجانبه ليشاهد الكل ما سيفعله خاصةً أولئك القرويون الحمقى..

أخذ يضرب داينز بهراوته بجنون كذلك لم يرحم مالك من ضرباته وهما يصرخان بصوت عال ورجال القرية ينظرون إليهم في ذعر وفزع.. ثم أمرهما (كانت) بأن ينبحا كالكلاب ويلعقا قدميه وحينها سيقتلُهما بدُون عذاب، فأبى كلاهما وأمر (كانت) بإحضار تلك الجمار المشتعلة التي قد أمر أحد جنوده بتحضيرها وصبَّها عليهما فأخذا يصرخان بشدة ويتخلل صراخهما ذلك الألم الكبير الذي يشعران به... رأى ثيدوس مالك يتألم ويصرخ بشدة فعلم أن مالك ذاك كان يخدعه.. إذًا ربما قد حالفه الحظ ونجى بأعجوبة.. كان ثيدوس حانقًا بشدة على ذلك الوغد الذي أهانه فأخذ الهراوة وشرع بضرب مالك بقوة قائلا: " يبدو أنك لست وحشا كما كنت تدعي أيها الوغد أنت مجرد صعلوك حثالة لا تستحق العيش!!!! ".. فعلا صراخ مالك بشدة وكذلك صراخ داينز الذي أخذ (كانت) يركله، وقطع ذلك الصراخ سماع داينز ومالك لصوتي روزان ورنيم تبكيان عليهما بعد أن أفاقتا تطلبان بيأس أن يشفقا على مالك وداينز ويتركوهما...

رأى داينز ابنته وأخذ يبكي وهو يراها تحاول الاستنجاد بأحد لينقذه.. قد عاش ذليلًا لمدة طويلة لكنها كانت حبيسةً البيت ولم تعلم أبدًا مقدار الذل والهوان الذي كان يتعرض له والدها كل يوم.. كان لا يريد أبدًا أن تراه ابنته ذليلًا هكذا يتم ضربه من قبل ذلك الوغد (كانت)، فشعر بالأسف عليها وعلى نفسه كما شعر بحسرةٍ شديد.. لكن رؤية داينز لابنته الحبيبة قد خففت ألمه قليلًا وبعثت في نفسه أمرًا واحدًا فابتسم ابتسامة خفيفة وعزم قراره وقال:

- " أنا لن أموت ذليلا أبدًا!!!... سأموت رجلًا!!!... أتسمعني يا

(كانت) الوغد؟!!!! " صاح داينز بقوة

= " هاااه!!!.. ما الذي تقوله أيها الحثالة الأدنى من روث البهائم؟!!!!.. أنا السيد العظيم (كانت) أيها العاهر!!!! " رد (كانت) يبادله الصياح.

وقف داينز وقال بصوت غليظ وهو ينظر لابنته: - " لقد نلت كفايتي من العذاب والذل حتى أني شككت في كوني رجلًا بعد كل ما تعرضت له.. شعرت بأني حيوان بلا قيمة... لقد كانت أمك هي المرأة التي أحببت والتي كنت فخورا بها كثيرًا... أنا أريد أن أكون إنسانًا مجددًا!!! أريد أن أكون الأب الذي تفتخرين به يا ابنتي!!!! " قالها وهو بالكاد يقف يتقدم ببطء شديد نحو كانت الذي لا يتوقف عن ضربه...

= " ما الذي جعلك تقف أيها الوضيع؟!!!... يجب أن تدرك أن مكانك بين الروث والتراب!!!! " رد كانت وهو يضرب داينز بعنف...

رفع داينز يديه وأمسك رقبة (كانت) بقوة وأخذ يخنقه يريد قتله و(كانت) يستمر بضربه.. قام ثيدوس بترك مالك ووجه ضرباته بالهراوة بجنون نحو ظهر داينز، وظلَّ داينز واقفًا ممسكًا بعنقه بقوة وكلما زادت شدة الضربات عليه زادت شدة قبضته على عنق (كانت) حتى سكن ذلك الوغد ومات، وعندما رأى ثيدوس ابنه قد فقد روحه انهال على داينز بوابلٍ مجنونٍ من الضربات القوية الشديدة التي أسقطت داينز على الأرض بقوة ٍوأوقفته عن الحراك...

لكن ذلك لم يشبع ثيدوس بعد فرفع هراوته ليضرب رأس داينز ويحطمها ويشوه وجهه، وعندما كادت تلك الهراوة أن تلمسه أمسكها مالك وسدد لكمة نحو بطن ثيدوس.. لكنها كانت ضعيفةً للغاية، فابتعد عنه ثيدوس..

قد كانت رؤية مالك غير واضحة بالكاد يستطيع رفع رأسه ولم يكن ليقدر على فِعل ما قام به داينز فهو يشعر أن جسده قد أصبح ضعيفًا للغاية.. لكنه قد عزم على ألا يمر ثيدوس ليمضي في الحياة بهذه السهولة، وقد علم مالك أنه لن يستطيع أن يقف في وجه ثيدوس فلم يخطر بباله سوى شيء واحد " يجب أن آخذ تلك الهراوة منه وأحطم بها رأسه!!! "...

وقف مالك ورفع كلتا يديه وأشار بها لثيدوس ليستفزه وكأنه يقول له تعال وهات ما عندك فاشتد غيظ ثيدوس كثيرًا وتقدم كالثور الهائج نحو مالك وضرب بها بطنه فأمسك مالك الهراوة ورفس ثيدوس برجليه ملقيًا إياه على الأرض... همَّ مالك بضرب ثيدوس بها فأصابته طلقة من أحد الجنود في منتصف صدره فجثى على ركبتيه والدم يخرج من فمه وهو ينظر إلى الأرض بعينين فارغتين... ضحك عليه ثيدوس واقترب منه باطمئنانٍ ليجهز عليه وفمه يمتلئ بالسخرية من هذا الضعيف مالك ويقذفه بأبشع الشتائم... لكن عندما اقترب وأمسك مالك من شعره ضربه مالك بالهراوة على قدميه فوقع ثيدوس على وجهه، ومالك يوجه نظره بعينيه الفارغتين لروزان ورنيم بدمه الذي يسيل من فمه رافعًا الهراوة بيد واحدة وقال ببرود: " استمتع بنهايتك أيها الوغد فهناك جمهور يتابع هذه اللحظة ".. ثم هوى بآخر ما لديه من قوة بتلك الهراوة على رأس ثيدوس فتحطمت...

عمَّ الصمت والهدوء للحظات مع تعابير من الصدمة تعتري وجوه كل من الجنود وأهل القرية تجلل معه كالرعد صوت صياح مالك بصوت غليظ:

- " لقد مات الآن ثيدوس و(كانت)!!!.. ما الذي تنتظرونه إذا أيها الجبناء؟!!!.. أأنتم رجال أم حثالة بالفعل كما يقولون عنكم؟!!!! "

لكن.. أيحق لنا العيش حقًا؟!!.. هل من الممكن أن نعود بشرًا مجددًا.. لقد تطاولنا عليهم مرة.. لكنهم استطاعوا أن يذلونا مجددًا.. نحن فقط حيوانات لا يمكننا فعل شيء أمامهم.. سنموت!!! فقط سنموت!!!!

صاح مالك مجددًا: - " أنتم حثالة قذرة أدنى من الحيوانات أيها الحمقى!!!.. أنتم بالفعل تستحقون ما يحدث لكم أتعلمون لماذا؟!!! "

هو محق.. هم كذلك بالفعل.. سينتهي بهم الأمر دائمًا حثالة لأن هذا ما هم عليه بالفعل سيعيشون حثالة وسيموتون كذلك لكنهم ربما يفضلون العيش.

" لأنكم مجرد حقراء تستمرون في حياة لا تستحق العيش من أجلها!!!!.. لو كنت مكانكم لفضَّلت الموت على أن أكون أحمقًا حقيرًا مثلكم!!!! "

قالها وسقط أرضًا وحينها اتضح ما قد فقدوه في قرارتهم بعيون متسعة قد أدركت أخيرًا.. كبرياؤهم هو ما قد فقدوه.. الموت؟!!.. إنه أمرٌ ساخر أليس كذلك؟! بل لربما يكون الموت إيذانًا براحتهم أخيرًا.. قد أدركوا إنهم خاسرون بالفعل فلما لا يخسرون حياتهم أيضًا؟!!.. اشتعلت الشرارة بضراوة في قلوب أولئك الرجال.. قد تذكروا كبرياءهم المدنس.. تساءلوا أين ذهب فخرهم وعزتهم؟!!.. أشفقوا على أنفسهم وزاد حنقهم وبغضهم على حالهم.. لماذا ما زال الذل الهوان والرعب يقيدنا؟!!.. هل من الممكن أن نعود بشرًا حقًا؟!!.. هل يمكننا حتى الحلم بذلك؟!!.. هل معنى الحياة أن نتمسك بالذل والهوان من أجلها؟!!.. هل تستحق هذا فعلا؟!!.. نعم إن مالك محق.. إن الموت حقًا أفضل من هذه الحياة!!!!.. فهي حياة لا تستحق العيش من أجلها!!!!... انقضوا على الجنود كما الوحوش بعد شعورهم

الشديد بالشفقة على أنفسهم.. كذلك النساء اللاتي كُنَّ يشاهدن ما يحدث هاجمن أولئك الجنود من ورائهم بما وجدن أمامهن وقضين على أولئك الذين يحملون البنادق... فزع الجنود وقرروا الهرب بعيدًا عنهم بعدما رأوا مقدار جنونهم ذاك ورغبتهم بقتلهم بأي ثمن.. تلك الرغبة المجنونة التي تظهر في عيونهم التي بدت كعيون ذئاب تتربص بفرائسها.. قد انكب أهل القرية يهجمون على أولئك الجنود بجنون.. يقتلونهم ويلحقون بهم.. تعلو صرخاتهم وكأنهم يقولون لن نهاب شيئًا بعد الآن فمرحبا بالموت إن أتى.

قد علت صرخاتهم حتى أنها مزقت ثوب السماء!!!.. صرخوا عاليًا مطلقين عنان آلامهم!!!.. صرخوا عاليًا إيذانًا بحريتهم!!!.. صرخوا عاليًا معلنين أنهم بشر!!!.. أنهم ليسوا حيوانات يسوقونها!!!.. أن أولئك الأوغاد القذرون ليسوا أفضل منهم في شيء!!!.. إنهم يشعرون بالألم وكذلك هم.. لهذا سيجعلونهم يتجرعون الألم أيما تجرع!!!. لقد أصبحت حياة أولئك الأوغاد بين أيديهم الآن.. وهم لن يرحموهم أبدًا!!!!!!... هذه المشاعر والكلمات والأحاسيس المتضاربة كانت ما تسيطر على عقول هؤلاء في هذا الوقت.. غلهم.. حقدهم.. حنقهم.. أسفهم على أنفسهم.. قد تفجرت جميع مشاعرهم المكبوتة في كل هذه السنين في هذه اللحظة.

أسقط الجنديان اللذان يصوبان على روزان ورنيم بندقيتيهما وهرعا ليهربا بسرعة مع بقية الجنود بعدما أصابهما الرعب مما رأياه وشعرا بأنها النهاية فلا أمل لهم بالبقاء على قيد الحياة في هذا المكان... هكذا قد انتهى الأمر وهطل المطر الذي امتزج بكل الدماء التي أُريقت في هذه الليلة الفظيعة.. أخيرًا قد ساد في أهل القرية شعور بالراحة تلك السكينة التي قد افتقدوها

منذ زمن، فأخذ الرجال يحتضنون بعضهم وهم يبكون بشدة وعلا ذلك الصراخ.. صراخ الخلاص.. ذلك الصراخ الذي كاد يمزق حناجرهم الذي زلزل الأرض الذي أذن بنهاية كل آلامهم.. شعروا بفرحةٍ عارمة وكادوا لا يصدقون بأن هذا العذاب قد انتهى بعد كل ذلك الذل الذي حل بهم وكبريائهم الذي دُنس في التراب بعد كل هذه السنين التي كانت كالجحيم.. لقد انتهى.. أخيرًا قد انتهى.

حملوا داينز ومالك واقتحموا القصر وقبضوا على طبيب ثيدوس الذي لم يستطع الهرب بعد.. أجبروه على علاج هذين الرجلين اللذين استطاعا فعل ما قد عجزوا كلهم عن فعله، وحزنوا عليهم بشدة وظلوا يدعون لهم طوال هذه الليلة الممطرة أن يتعافيا قريبًا.

بعد مرور بضعة أيام...

- " أوصيك أيها الطبيب بأن تعتني بابنته جيدا فهي مريضة أيضًا.. احرص على أن تتعافى بسرعة وأرجوك أبلغه أنني حقًا.. سأفتقده كثيرًا " قال مالك ذلك للطبيب عندما شرع بالرحيل وقد استيقظ معافًا بعد يومين من تلك الليلة وعزم أن يرحل في اليوم الثالث بعد أن اطمئن على حالة داينز وأنه سيكون بخير لكن داينز ما زال طريح الفراش، وسأل مالك الطبيب عن وجهته التالية (سورام) وأخذ من الذهب ما ملأ به حقيبته وقرر الرحيل فجرًا وأهل القرية نيام لأنه لا يريدهم أن يشهدوا رحيله بعد ما احتفلوا به جميعًا في اليوم الذي استيقظ فيه فهو لا يحب الوداع وتلك الأمور...

كانت روزان مستيقظة ورأتهما يستعدان للرحيل فاحتضنت رنيم وأخذت

تبكي على ذهابها بعيدًا فربت مالك على رأسها وقالت له روزان:

– " أرجوك عد إلينا مجددًا يا عم مالك "

= " إن شاء الله سآتي يومًا ما " رد مالك وهو ينظر إليها بعطف واحتضنته روزان متمسكة به بشدة.

– " لقد وعدتني ويجب أن تفي بوعدك " قالت وهي تبكي بشدة.

– " نعم سأفعل "

ثم غادر مالك ورنيم وابتعدا عن القرية وروزان تشاهدهما وهما يرحلان وهي تمسك بيد الطبيب تحاول أن تمسك دموعها لكنها لم تستطع كتمانها فظلت تبكي بشدة.

استيقظ داينز بعد عدة أيام فزعًا ووجد الطبيب أمامه فأخذ يسأل الطبيب ولا يتوقف عن الكلام وهو يشعر بالذعر، فأخبره الطبيب بما حدث واستدعى أهل القرية ليحتفلوا باستيقاظه.. أخبره الطبيب أن ابنته تتحسن كل يوم وستُشفى قريبًا واستقبله أهل القرية بالابتسام فرحين بشدة وأكثروا من جلب الهدايا والطعام له ثم سأل داينز عن مالك بلهفة فرد عليه الطبيب قائلًا:

– " لقد كانت إصاباته بليغة للغاية وأشد خطورة منك بكثير لدرجة أنه كان لا يرجى الشفاء منها لكني لا أعلم كيف تعافا ونهض قبلك... لقد غادر قبل عدة أيام لكنه طلب مني أن أخبرك شيئًا ما... لقد أراد أن يقول لك بأنه سيفتقدك كثيرًا "

= " حقًا أنا أيضًا سأفتقده بشدة في الواقع أنا أفتقده من الآن ... لقد

جلبتم لي الكثير من الطعام وهو شهي جدًا لكنه.. لكنه ليس ألذ من ذلك الطعام الذي أكلته مع ذلك الرفيق مالك.. ليتني استطعت رؤيته قبل أن يرحل.. ليتني استطعت شكره على كل ما فعله " قال داينز ذلك وعيناه لا تتوقفان عن ذرف الدموع يحاول مسحها لكنها لا تتوقف فقد ظن أن ذلك اليوم لن يأتي أبدًا، ظن أن هذا لن يحدث إلا في الأحلام... نعم إنها قدرة الله.. قد حكى مالك له عنه وعن عطفه ورحمته وأنه أبدًا لا يرد دعوة مظلوم فحمد الله ولم يتوقف لسانه عن حمد الله بحرقة.. حمد بدموع بصراخ... قد فقد وعيه في تلك الليلة الفظيعة وعندما نهض الآن وجد كل شيء انتهى، نعم إنها قدرة الله التي تحدث عنها مالك إنها رحمته.

وصل النبيل الجديد الذي سيحل محل ثيدوس وكان اسمه (زاراك)... أخذ يسأل الناس عمَّا حدث هنا؟ وكيف انتهى أمر ثيدوس وابنه؟ وكيف اشتعل ذلك الحريق؟.. بدا أهل القرية متوترين منه وكان يومًا طويلًا على زاراك وأهل القرية، وعندما انتهى أخيرًا من استجوابهم دخل نائب زاراك عليه وسأله قائلًا بعد أن رحب به:

- " حسنًا ما الذي وصلت إليه يا سيدي زاراك؟ "

= " أشعر بأنهم جميعا يكذبون حيال شيء ما ولكنهم كلهم أجمعوا على شيء واحد.. على الرجل الذي كان السبب وراء كل ما حدث.. اسم ذلك الرجل هو مالك وهو الذي نعته الجنود الذين هربوا من هنا بالشيطان... أعتقد أن ذلك الرجل سيشكل خطرًا كبيرًا ويجب أن نبلغ عنه حالًا "

لم يتخذ النبيل زاراك نفس أسلوب ثيدوس فهو لا يريد أن يهتاج الناس عليه هو أيضًا وتكون نهايته مثله.. فضمن لأهل القرية حقوقهم وعاش أهل

القرية حياةً كريمةً قد افتقدوها منذ زمن، وكانوا يشعرون بالأسف على لوم مالك على كل ما حدث لكنهم قد طفح كيلهم بالفعل ولم يريدوا مشاكل أخرى وتمنوا أن يسامحهم على ذلك.

الفصل الحادي عشر: أحبك كما لم أفعل من قبل

قرر مالك الذهاب لسورام سيرا على الأقدام وظلَّ يفكر كثيرًا فيما يحدث معه وكيف يتعافى بتلك السرعة، وقد لاحظ بالرغم من ألمه المضاعف فإن أنه قدرته على تحمل الكثير من الألم ربما تكون كما الإنسان العادي أو ربما أقل.. فرؤيته تقل وضوحًا بسرعة.. كذلك يصاب بدوار شديد.. يضيق صدره ويختنق.. يشعر بضعف شديدٍ عندما يجرح بعمق، وعقله لا يستطيع تحمل ألمه فيغمى عليه... قام بإيذاءٍ جسده كثيرًا بعد كل هذا التفكير في طريقه لسورام ليحاول أن يعتاد على خواص جسمه الغريبة ويزيد قدرته على تحمل الألم لمدة أطول دون أن يفقد وعيه.

كانت رنيم تلك كثيرة التذمر وكانا يتجادلان كثيرًا وكانت رنيم تتسلى بمضايقة مالك وازعاجه، فكثيرًا ما كانت تفتعل المشاكل معه لأتفه الأشياء ودائمًا ما كان يتوقع مالك مقالبها السخيفة وتنزعج هي لذلك.. كما كانت لا تتوقف عن سؤال مالك عن نفسه وهو يرفض إجابتها ولا يحكي لها شيئًا.

وصل مالك لسورام وكانت مدينةً كبيرةً للغاية وبدت عليها مظاهر الترف ورأى فيها العديد من النبلاء الذين كانوا ينظرون لمالك باحتقار عندما كان يمر من أمامهم بملابسه الرثة، فلم يبالِ بهم وظلَّ يبحث عن محل للذهب والمجوهرات وبعد وقت طويل وجد محلًا كبيرا فخمًا وبدا عليه من مظهره أن ملاكه أغنياءٌ للغاية... حاول مالك الدخول إليه لكنه قد مُنع من الدخول بحجة أن هذا المحل للنبلاء فقط ولا يحق لصعلوكٍ فقير مثله

الدخول فلم يقتنع مالك بما يقوله الحراس وأصرَّ على الدخول وهو يقول لهم بأنه يريد الدخول ليرى صاحب المحل ويعقد معه صفقة.. ردوا عليه بأنه لن يتعامل أبدًا مع صعلوك مثله، ولمح أحد أصحاب المحل مالك وهو يتشاجر مع الحراس فذهب إليهم ليرى ما يحدث وأخبره الحراس بأمر مالك ورغبته في الدخول...

- " لا يمكنك الدخول هذا المكان للنبلاء فقط هيا اذهب " قال صاحب المحل لمالك

= " أنت صاحب المحل أليس كذلك؟ " رد مالك

- " نعم أنا أحد أصحابه "

= " جيد أريدك أن تستمع لي يبدو أنك رجل متفهم ولست مثل هؤلاء الحمقى "

انزعج الحراس وحاول أحدهم ضرب مالك فمنعه صاحب المحل وأشار لمالك وقال:

- " تفضل وأخبرني ماذا تريد؟ "

= " أترى هذه الحقيبة؟ إنها مملوءة بالكثير من الذهب وأريد بيعه لك ما رأيك؟ "

صدم الحراس وفوجئ صاحب المحل من كمية الذهب الكبيرة التي مع مالك فابتسم صاحب المحل وقال له:

- " يمكنني أن أستثنيك أنت أيها السيد أنا اسمي (لانتر) أيمكنك أن

تشرفني بمعرفة اسمك؟ "

= " أنا أدعى مالك "

رحب لانتر بمالك ترحيبًا حارًا وعرض عليه مبلغًا كبيرًا مقابل ما معه من ذهب وتفاوض معه مالك قليلًا فقد سأل الكثيرين عن سعر الذهب قبل وصوله لهذا المكان وكان المبلغ الذي عرضه عليه لانتر أقل من المبلغ المفترض دفعه مقابل تلك الكمية من الذهب، فرفع لانتر السعر ووافق مالك عليه وخرج مالك بمبلغ كبيرٍ من المال قدره مائتان وسبعون ألف جال.. ثم حانت الخطوة التاليةً وهيً أن يبحث عن نزلٍ ليقيم فيه ويخفي كل هذا المال.

أحسَّ لانتر ببعض الشك حيال ذلك الرجل مالك بملابسه الرثة ومنظره الذي يوحي بالفقر، واستغرب كيف يملك حثالةٌ مثله هذا القدر من الذهب؟!! فأمر أحد الحراس بأن يذهب ويبلغ عن مالك بعد أن خرج من المحل.

بينما مالك يمشي ويبحث عن نزل رأى رجالًا يسرعون نحو عربةٍ وركبوا بها وانطلقوا بأسرع ما يمكن ولحق بهم رجال آخرون يركبون أحصنتهم... قد لاحظ مالك سقوط شيءٍ من أولئك الأشخاص الذين ركبوا العربة فذهب إليه فوجده ثلاثة أكياس من مادة بيضاء، والتقط هذه الأكياس وأخذ يتحسسها فارتطمت به فتاة تلبس ملابسًا كثرت بها الرقع وشعرها كان غير مرتبًا كالفوضى ووجهها كان ملطخًا ببعض التراب لكن هذا كله لم يغشَ على جمالها.. اعتذرت منه وجرت بعيدًا عنه واستطاع مالك أن يلحظ وجهها، وكان أول ما خطر بباله " إنها تشبهها كثيرًا!!! "...

ظلَّ مالك ينظر لتلك الفتاة وهي تجري بعيدًا عنه حتى اختفت وحينما نظر إلى يديه وجد أحد تلك الأكياس قد اختفى.. لقد سرقته تلك الفتاة منه فقرر مالك أن يذهب وراءها وسحب رنيم من ذراعها وأخذ يبحث عنها لمدةٍ طويلة.. لكنه لم يجدها وتعب مالك للغاية فاستسلم وجلس على الأرض هو ورنيم ليرتاحا قليلًا ثم شرعا يسألان الناس عن نزلٍ يقيمون فيه الليلة بعد أن حل المساء...

اكتظت شوارع المدينة كثيرًا في الليل وكان الزحام خانقًا وأثناء سير مالك قام أحدٌ ما بدفعه وأسقطه أرضًا وسمع صوت صراخ رنيم.. نهض مالك بسرعة ولم يجدها وقد اختفى صراخها ولمح أحدًا يجري بين الناس ويدفعهم وهم يصيحون به بالقرب منه فاعتقد مالك أنه الشخص الذي اختطف رنيم وجرى وراءه أيضًا...

أخذ مالك يجري وراء هذا الشخص بأسرع ما يمكنه وأوقع العديد من الناس في طريقه وهم يصيحون به وهو لا يبالي فكل همه هو إمساك ذلك الشخص واستعادة رنيم، وبينما هو يجري مرت عربة فجأةً من أمامه كاد يصطدم بها لكنه توقف في آخر لحظة واحتار بعد أن فقد أثر ذلك الشخص... سمع صوت سقوط شيءٍ عند زقاق قريب فجرى إليه بسرعة وعندما وصل لمح شخصًا في نهاية الزقاق ينعطف لليمين فأسرع مالك إليه والتقط حجرًا كبيرًا من على الأرض وهو يجري وحالما رآه مالك قذف الحجر نحوه، فأصابت رجله وسقط أرضًا واستطاع مالك الإمساك به لكن رنيم لم تكن معه.. لقد كان هذا الشخص الفتاة التي سرقت من مالك الكيس الأبيض نهار اليوم وأخذت تضربه في وجهه بعد أن قبض عليها وهي ملقاةٌ

على الأرض قائلة له:

- " دعني وشأني أيها القذر!!! "

= "مهلا!!!.. ألست أنت الفتاة التي سرقت مني ذلك الكيس نهار اليوم؟!! "

- " كلا ليس أنا لقد أخطأت الشخص " ردت وهي تبدو متوترة كثيرًا.

= " لماذا كنت تجرين هربًا مني إذا؟!! "

- " الأمر ليس من شأنك وأنا لن أرد عليك "

= " توقفي عن ادعاء الغباء وتكلمي جيدًا!! "

- " ما الذي تريده مني أيها المجنون؟!!.. ابتعد عني وإلا سأصرخ وأجمع الناس عليك!!! "

اغتاظ مالك منها كثيرًا وأخرج سيفه وغرزه بقوة في الأرض بجانب رأسها وأخذ يرمقها بنظرات غاضبة وقال: = " حسنًا.. اسمعيني أيتها الكاذبة تلك الطفلة الصغيرة التي كانت معي قد اُختطفت وأنا أشعر أن لكِ يدا في الموضوع ولن أتركك حتى أجدها أو أقتلك!!! ".. بدت هذه الفتاة خائفةً للغاية وأخذ نبضها يتسارع ونفسها بدأ يضيق عليها فردت في خوف شديد

- " حـ... حـ... حسنا سأساعدك ولكن أرجوك أبعد هذا الشيء عني " فنزع مالك سيفه وتركها تنهض...

= " هذا جيد والآن هيا بنا "

- " إلى ماذا؟ "

= " إلى بيتك "

- " ماذا تقول؟!!! "

تفاجئت تلك الفتاة عندما قال مالك ذلك لكنها لم تستطع رفض طلبه فقد كانت خائفة منه كثيرًا، فذهبت معه وقادته إلى بيتها في هدوء وكان بيتها بعيدًا قليلًا عن هذا المكان وعندما وصلا وضع مالك حاجياته وجلس ثم قال لها:

= " ما اسمك أيتها الفتاة؟ "

- " أنا اسمي (سارة) وأنا لم أخطف تلك الطفلة صدقني!!! " ردت وهي متوترة كثيرًا

= " اختطفتها أو لا أنا من يحدد ذلك... أنت لصة أليس كذلك؟ لا بد أنك تعرفين بعض الأشخاص الذين قد يكون لهم علاقة بالأمر أريدك أن تدليني عليهم... لكن هذا لا يعني أنني أستثنيك فأنا ما زلت أشك بك " رد مالك وهو يشهر سيفه نحوها...

- " حسنًا حسنًا سأقوم بمساعدتك وسأبدأ معك في صباح الغد فأنت لن تستطيع فعل شيء أبدا هذه الليلة... سترهق نفسك فقط "

= " حسنًا كما تريدين.. وأنصحك أيتها اللصة بألا تتحامقي وتفكري في خداعي أبدًا "

- " لن أقوم بذلك ولكني أريد أن أسألك... أين ستقيم هذه الليلة؟! "

= " سأقيم عندك.. آمل ألا يمانع أهلك "

نظرت إلى الأرض وبدت حزينة وقالت: - " رأيهم لن يهم فأنا وحيدة.... ولكن هذا لا يعني أن تقيم معي أيها الأحمق!!!! "

= " في الواقع لا خيار لدي.. فقد استغرقنا وقتًا طويلًا حتى وصلنا إلى بيتك وقد تأخر الوقت كثيرًا " رد عليها مالك وهو يتفقد غرف بيتها ووجد غرفة فارغةً نوعًا ما فوضع بها حاجياته وقرر أن ينام فيها.

- " ما الذي تفعله أيها الغبي الوقح؟!!.. أنا لم أوافق بعد!!! "

= " ما الذي قلته للتو؟!.. أنا لم اسمعك جيدا "

- " لا تدعي الغباء لقد سمعتني لا يوجد أحد هنا إلا أنت!!! " ردت وهي تصيح بوجهه.

= " اهدأي قليلًا أيتها المزعجة ما بك؟!! "

- " حسنًا يجب أن أنال شيئًا مقابل مساعدتك وإقامتك عندي "

= " ماذا تريدين؟ "

- " هل ما زلت تحتفظ بالكيسين اللذين بهما تلك المادة البيضاء؟.. فأنا أريدها بالمقابل "

= " وما الذي حصل للكيس الذي سرقته؟! "

- " لقد فقدته قد أخذه مني بعض الأشخاص بالقوة "

صدقها مالك فقد بدت بعض الكدمات على وجهها ورد قائلًا: = " حسنًا سأعطيك ما تريدين "

ثم دخل مالك الغرفة وأعد نفسه لينام واستغرق وقتًا حتى غطَّ في النوم فقد كان قلقًا للغاية على رنيم وظلَّ يفكر فيما سيفعله غدًا، كذلك سارة لم تستطع النوم في غرفتها وظلت تفكر في مالك ذلك الرجل الغريب والذي لم يزح نظره عنها ولو للحظة.. قد بدت نظراته تلك غريبةً نوعًا ما قد بدت مثل نظرات اشتياقٍ عليها طابع من الحزن، وقد جعلتها نظراته تلك متوترةً أكثر في الحديث معهً.. احمر وجهها خجلاً عندما فكرت بذلك الغبي.. فهي قد أعجبها الأمر إلى حد ما.

***

عاد تابع لانتر بعد أن أبلغ عن مالك وأخذ لانتر يسأله عما حدث معه وعما عرفه عن مالك فقال له:

- " إن ذلك الرجل خطيرٌ للغاية يا سيدي... قد أخبرني الضباط بأنهم قد وصلتهم معلومات منذ بضعة أيام عن رجل يدعى مالك قد قتل النبيل ثيدوس وابنه بلا رحمة وسرق منه كثيرًا من الذهب.. وكمية الذهب التي سرقها تقارب تلك مع التي باعها ذلك الرجل لنا... وأيضًا قد أخبرني الضابط أنه يريد منك أن تتعاون معه وسيجازيك في النهاية على مقدار مساعدتك له "

= " إذًا لقد كان شكي في محله... لقد كان ذلك الداعر مجرمًا محتالًا كما ظننت " رد لانتر.

***

حلَّ الصباح.. استيقظت سارة وأعدت الإفطار ثم دخلت غرفة مالك

وحاولت إيقاظه لكنه لم يستيقظ وظلَّت تحاول كثيرًا حتى اسيقظ بعد أن قالت:

- " استيقظ أيها الكسول ما بك؟!!.. هيا قم الآن!!! "

= " ها قد بدأنا مجددًا... ألن تتوقفي أبدًا عن إزعاجي أبدًا؟!! " رد مالك وهو يفرك عينيه

- " مجددًا ماذا؟!!.. هذه أول مرة أوقظك فيها!! " ردت سارة وقد بدت متعجبة من رده

توقف مالك عن فرك عينيه وأخذ ينظر إلى سارة ودقق النظر فيها فخجلت قليلًا واحمر وجهها وقالت: - " ماذا بك؟!!.. توقف عن النظر إلي هكذا!!! "

= " عذرًا لم أقصد شيئًا ولا تشغلي بالك بما قلته " رد مالك وقد بدا حزينًا للغاية.

تناول مالك طعام الإفطار وقد كان قلقًا من تلك الفتاة سارة عندما دخلت عليه الغرفة وأيقظته، فهو لا يثق بها وقد خشي من أن تعبث بأشيائه فقرر أن يشتري قُفلًا ليوصد باب غرفته ليمنعها من ذلك، فهي أول شخص يحتمل أن يكون هو الفاعل.

انطلقا معًا وأخذت سارة في الطريق تسأله عن نفسه وماذا يعمل؟ وما الذي أتى به إلى هنا؟ لكنه رفض أن يخبرها بشيء عن نفسه فلم يخبرها بشيءٍ إلا اسمه فقط.. فقط " مالك " لا غير.. لكنها ظلت تسأله وتلح عليه وهو مصر على عدم إخبارها فانزعجت منه ومن بروده وعناده... ذهبا لأول

رجل وفشلا في الحصول على أي شيء مفيدٍ من ذلك الرجل ثم رحلا من عنده إلى غيره فمرا على اثنين آخرين ومن هذين لآخر.. لكن محاولاتهما قد باءت بالفشل وعادا بخيبة أملٍ كبيرة مساءً وهما منهكين ومرهقين.

– " يبدو أنك تعرفين العديدين من اللصوص والخارجين عن القانون " قال مالك

= " وهل ترى أن هذا جيد بالنسبة لك أم سيء؟ " ردت سارة

– " بالنسبة لي فهو جيد نظرًا للوضع الذي أنا فيه أما بالنسبة لك فهو سيء للغاية وأيضاً لا يليق بفتاة أن تعرف أناسًا مثل هؤلاء "

= " أنت لا تعلم ما مررت به لذا لا تحكم علي وأنت لا تعرف عني شيئًا "

– " في الواقع أنا لا أهتم لذلك فأنا المستفيد ولكني يجب أن أسدي لك نصيحة "

= " وما هي تلك النصيحة؟ "

– " ما تفعلينه خاطئ " رد مالك بذلك فقط واستغربت سارة من رده

= " هذا فقط؟!!.. أغلب من قاموا بنصحي تحدثوا معي لساعات!!! "

– " لا أحب كثرة الكلام في أمرٍ واضح "

= " أنت حقًا غريب!! " ردت سارة واضعة يدها على فمها وهي تضحك

– " اعذريني فأنا سأذهب لأنام أراكِ غدًا صباحًا "

= " حسنًا ولكن حاول أن تستيقظ بمفردك فأنا لا أريد أنا أعاني بإيقاظك مرة أخرى "

- " في الواقع أنا لا أستطيع أن أعدك بشيء كهذا إلى اللقاء " رد مالك وأغلق باب الغرفة

= " ماذا تقول؟!! "

دخل مالك الغرفة لينام ولم يمر وقت طويل وسمع ضحكات عالية تملأ البيت فخرج من الغرفة فوجد سارة تبدو سعيدةً للغاية وتضحك بشدة وعندما رأته نهضت من مكانها واتجهت نحوه ووضعت يديها على وجهه وأخذت تعبث به وهي تضحك.. أمسك مالك يدها ووجد عليها أثارًا من تلك المادة البيضاء وكانت تهلوس وتهذي بكلام غير مفهوم.. كانت كثيرة الحركة فأخذت تقاوم مالك بقوة عندما أمسك يدها وظلَّت تتجول وتتحرك في أرجاء البيت ثم بدا عليها أرقٌ شديد كذلك قد اتسعت حدقتا عينيها...

ذهب مالك لغرفتها فوجد فيها أحد الأكياس التي كانت معه بحوزتها وقد فتحته سارة وأخذت كميةً من تلك المادة البيضاء.. لا بد أنها قد أخذت ذلك الكيس عندما دخلت غرفته صباحًا عندما كانت تحاول إيقاظه فأخذ مالك ذلك الكيس ووضعه بجانب الكيس الآخر في غرفته... استمرت سارة على هذا الحال لفترة حتى سقطت مغمًا عليها على الأرض فقد تناولت كمية كبيرة نوعًا ما من تلك المادة الغريبة فحملها مالك ووضعها على سريرها.

***

استيقظت رنيم صباح اليوم الذي تلى ليلة اختطافها في مكان غريب ووجدت نفسها محاطة بالعديد من الأطفال يبدون قريبين من عمرها.. كانوا يلعبون ويلهون وفرحوا كثيرًا عندما رأوها قد استيقظت واجتمعوا حولها وسألوها عن اسمها فأخبرتهم به.. أخذوا يسألونها العديد من الأسئلة

وبدت رنيم متوترة وخائفةً للغاية منهم وأوشكت على الصراخِ والبكاء، فدخلت من باب الغرفة التي هم فيها طفلة أطول من رنيم قليلًا ترتدي قناعا جميلًا فصاح جميع الأطفال: " إنها السيدة تالا "

كانت تلك السيدة (تالا) صاحبة المكان الذي يوجد به الأطفال وبالرغم من حجمها الذي يقارب الأطفال فإن عمرها كان أكثر من ثلاثين عامًا وذلك لمرض قد أصيبت به منذ ولادتها... قد أخبرها الأطفال عن استيقاظ رنيم للتو فرحبت بها تالا وقالت لرنيم " اسمك رنيم إذا.. لديكِ اسم جميل أتمنى أن تحبي هذا المكان لا تقلقي سيخبرك الأطفال بكل شيء... الآن أريد أن يأتي إلي صغيري (فاتز) أين هو؟ "

جرى فاتز سعيدًا نحو السيدة تالا واحتضنها وودع أصدقاءه الذين كانوا فرحين له للغاية.. علمت رنيم من هؤلاء الأطفال بأنهم معظمهم قد اُختطفوا وفقدوا أهلهم وهم يريدون العودة إليهم بشدة، وأن الأطفال المُختطفين أو المفقودين أو من ليس لهم مأوى يتم جلبهم إلى هذا المكان والسيدة تالا تهتم بهم كثيرًا وتعتني بهم وتأتي كل فترة لتطمئن عليهم، وهي تهتم بإيجاد أهلهم وإرشادهم إلى هذا المكان ليعثروا عليهم، وعندما يأتي أهل أحدهم تأتي لتنادي على اسمه مثل فاتز فسعدت رنيم وفرحت كثيرًا واطمأنت بأن مالك سيأتي ليأخذها قريبا.

***

استيقظت سارة في صباح اليوم التالي وقد وجدت مالك صاحيًا باديًا عليه علامات الأرق والإرهاق وكان يشعر بنعاسٍ شديد فاستغربت سارة من ذلك وسألته قائلةً:

- " من الجيد أنك استيقظت باكرًا ولكن يبدو أنك لم تنم جيدًا أهناك أمر ما؟! "

= " كلا لا شيء لا تهتمي لذلك "

- " ولكنك تبدو تعبًا جدًا سأعد لك شيئًا ليجعلك ترتاح قليلًا "

= " كلا هذا ليس ضروريا فأنا أريد أن أسرع بالبحث عن رنيم "

تناول مالك وسارة طعام الإفطار بسرعة وقد لاحظ مالك أن شهية سارة نحو الطعام قليلة فهي لا تأكل كثيرًا، ثم ذهب كلاهما للبحث عن أي معلومات تتعلق برنيم ومن اختطفها ولكنهما كما الأمس لم يتمكنوا من العثور على أي شيء مفيد... انتاب مالك كثيرٌ من الإحباط وقد أرهق كثيرًا وكانت سارة تتحدث مع مالك وكأن شيئًا لم يكن في ليلة البارحة، وبعد عصر اليوم سأل مالك سارة قائلًا:

- " لماذا فعلت ذلك ليلة البارحة يا سارة؟ "

= " فعلت ماذا؟!! " ردت سارة وقد بدت متوترة وقلقة كثيرًا

- " أنت تعلمين عماذا أتحدث... لقد أخذت ذلك الكيس من دون علمي "

= " أنا آسفة لقد كنت بحاجة ماسةً لجرعة ولم أتمكن من منع نفسي "

- " ولكن هذا لا يعني أن تفعلي ذلك لقد كان بيننا اتفاق وأنت كسرته فلم ينتهِ الأمر بعد "

= " توقف عن عتابي بهذا الشكل فأنت ليس لك الحق بذلك.. وأيضًا

أنت لا تعرف مقدار الكآبة والحزن والألم التي أعاني منها.. لا تتحدث إلي وكأنك تعرف كل شيء!!! "

- " نعم أنا لا أعرف ولست مهتماً بذلك ولا أريد أن أعرف فأنا لدي ما يكفيني من المشاكل ولن أحتمل الاعتناء بك!!! "

= " ومن الذي طلب منك الاعتناء بي أنا أستطيع الاهتمام بنفسي لوحدي أيها الوقح المتطفل!!! "

- " ولكني لم أرَ ذلك ليلة أمس أيتها الحمقاء بعد كل ما حدث معك!!!! " صاح مالك هنا بصوت عالٍ وسمعه كل من كان حولهم، وتوجهت أنظارهم إليهم وبكت سارة في تلك اللحظة وغادرت دون أن ترد عليه...

في ليلة البارحة حمل مالك سارة بعد أن أُغمى عليها ووضعها على سريرها وبعد أن غادر بقليل سمع صوت أنين سارة وهي تتألم وكانت تمسك برأسها وتشعر بغثيانٍ شديدٍ وظلت تتقيأ كثيرًا، فجلس مالك معها وأخذ يعتني بها وكانت درجةً حرارتها مرتفعة فبلَّ بعض المناشف ووضعها على رأسها.. كانت تهذي وشعرت بألم في قلبها ومالك يحاول ما بوسعه ليساعدها حتى هدأت وسكنت.. لكن جسدها لم يتوقف عن الارتعاش وظل مالك قلقًا يراقبها طوال الليل ولم يستطع النوم أبدًا في تلك الليلة.

شاهد الناس سارة بعد عصر اليوم وهي تغادر باكية والجميع ينظرون إليها وقد جعلت نظراتهم تلك الأمر أسوأ بالنسبة لها فزاد ذلك من حزنها للغاية.. بعدما ابتعدت عن مالك قالت سيدةٌ عجوز من الذين شاهدوا ما حدث موجهةً كلامها لمالك " ما كان عليك الصراخ بوجهها هكذا أمامٍ كل هؤلاء الناس يجب عليك أن تصالحها فلا يمكنك تركها تذهب حزينةً

هكذا... أنا أنصحك بألا تذهب خالي اليدين يجب أن تجلب لها شيئا معك قد سمعت عن محل للحلوى بالقرب من هنا ما رأيك بذلك أيها الشاب؟ "

اتفق مالك مع العجوز على ما قالته فهو لا يمكنه خسارة سارة الآن فهو ما زال يحتاج إليها فيجب عليه أن يفعل ما قالته له لا بد من ذلك فهي فرصته للعثور على رنيم، فذهب مالك واشترى بعض الحلوى وعاد وهو يفكر في الطريق " يا رجل كيف أقحمت نفسي في كل هذا الإزعاج؟!!... آمل فقط ألا يسوء الوضع أكثر "

عاد مالك وطرق باب غرفة سارة لكنها لم ترد عليه وقد توقع ذلك فأخبرها أنه قد ترك لها شيئًا أمام باب غرفتها، وقد كانت تبكي على سريرها واضعةً رأسها على ركبتيها.. ذهب مالك لغرفته وبعدما سمعت مالك وهو يغلق باب غرفته على نفسه قررت بعد قليلٍ من الوقت أن تنهض وترى ما قد تركه مالك لها، فوجدت علبة الحلوى وفوقها رسالة " أنا آسف أرجوك سامحيني على وقاحتي اليوم لقد تماديت في ما قلت وسببت لك الإحراج أرجو أن تتغاضي عن الأمر..... ملحوظة لقد أردت تذوق الحلوى فأخذت قطعةً ولكن انتهى بي الأمر بأن أخذت خمس قطع إضافية سامحيني على ذلك أيضًا "

قرأت سارة تلك الرسالة ودموعها ما زالت تتساقط من عينيها ولم ترغب بالضحك لكنها لم تتمالك نفسها عندما قرأت الجزء الأخير وضحكت ضحكة خفيفة وقررت أن تتشجع وتعتذر هي أيضًا لمالك فطرقت عليه الباب وفتح مالك لها الباب وقالت له:

- " أنا آسفة أيضًا لم يكن علي قول ذلك لك هل ستسامحني؟ " ردت وهي

تشعر بالخجل

= " نعم لا عليك أنا الذي تمادى في الأمر "

– " أشكرك حقًا على هديتك لقد أحببتها كثيرًا هل تحتاج مني أي شيء؟ "

= " كلا أشكرك على ذلك " لم يخبرها مالك بكونه جائع للغاية ولكن صوت قرقرة بطنه قد فضحه فظهرت ابتسامة على وجه سارة وقالت:

– " لا تقلق لقد أعددت لك العشاء بالفعل يمكنك أن تأكل في أي وقت"

= " حسنًا.. شكرًا جزيلا لك "

ثم تركت سارة مالك وذهبت لغرفتها تبتسم وهي تفكر به، أما مالك فقد كان يشعر بقلق شديد في كل لحظة تمر عليه بدون رنيم وكان القلق يأكل رأسه من كثرة التفكير بها فما الذي حدث لها؟! وما مصيرها الآن؟!!.

مرت ثلاثة أيام أخرى بدون أن يصلوا لأي شيء وشعر مالك بيأس شديد وكان حزينًا للغاية لم يظن أنه سيفتقد تلك الطفلة بهذا الحد، وقد لاحظ مالك بعض الغرابة على سارة في هذه الأيام فقد كانت طبيعية قليلًا في اليوم الأول لكن بدا عليها القلق والإرهاق ورغبةٌ ملحة في النوم كذلك كانت كئيبة قليلًا.. وفي اليوم التالي بدأ قلقها يتزايد وكذلك شعورها بالاكتئاب وكانت متعبة كثيرًا وبدت كأنها تتألم.. وفي اليوم الثالث أخذت تتحدث سارة عن الموت وعن الشعور الذي قد ينتاب الإنسان وهو يفقد حياته وكأنها كانت تريد أن تجربه كما بدأت تشعر بقشعريرة تسري في كامل جسدها وبألم أكبر.. حتى أتى اليوم الرابع.. لم تستطع سارة أن تُكمل البحث مع مالك في هذا اليوم فتركته وحده بعد أن دلته على مكانٍ أحد آخر يمكنه

البحث عنده وغادرت قبله، وبعد أن اختفت من نظره سمع مالك صوتًا يهمس في أذنه " إنها تخدعك " فالتفت مالك ولم يتبين من هو ذلك الرجل لكثرة الناس حوله.

عادت سارة وهي تمسك برأسها تتألم بشدة وشعرت برغبة ملحة شديدة في تناول بعض من تلك المادة ووجدت باب مالك موصدًا بقفله فأخذت تضرب بيأس الباب بقوة بيدها ثم أخذت فأسًا وظلت تحاول ضرب الباب بجنون.. لكنها كانت ضعيفة فبالكاد كانت تستطيع حمل الفأس ولم تسبب أذى كبيرًا يجعل الباب يتحطم ويمكنها من الدخول، فيئست وألقت ذلك الفأس وجلست ببطء على الأرض وهي تستند على الحائط تمسك برأسها تشعر بألم شديد وجسدها يرتعش بقوة... كانت تنظر لذلك الفأس الملقى على الأرض " ماذا لو جربت ضرب نفسي؟!!.. أليس الموت رائعا؟!!.. سوف ينهي كل معاناتي.. يقولون أن الموت رحمة فلما علي أن أبقى إذًا في هذا العذاب؟!!!.. ربما يجب علي أن أجرب الأمر!!.. إن الحياة كريهة علي أي حال " فأمسكت الفأس وظلت تنظر إليه بعينين جاحظتين " لن يحزن أحد لفقداني فأنا وحيدة وليس هناك من يهتم بي في هذا العالم.. لهذا سيكون أمرًا رائعًا حقًا!!! "

عاد مالك وهو يفكر في الطريق فيما قاله له ذلك الشخص ودخل على سارة فوجدها جالسةً على الأرض وتستند بظهرها على الحائط بجانب باب غرفته والذي بدا متضررًا.. كانت تنظر إلى ذلك الفأس الذي تمسكه بنظرات مجنونة وقد كانت الدماء تتساقط من كتفها فقد ضربت نفسها بالفأس لتجرب ذلك الألم...

سألها مالك عمَّا حدث ولكنها لم ترد عليه وأخذت تطلب منه برغبة شديدة أن يعطيها من تلك المادة ولو قليلًا لكنه رفض وظلت تلح عليه بكثرة وهو أصر على الرفض، وقال " لن أعطيك منها يجب أن تتوقفي عن تعاطيها انسي الأمر!! " فهددته وأخذت تضربه وتلكمه على وجهه بقوة وهي تقول:

– " لقد ساعدتك كثيرًا على الأقل أعطني منها البعض مقابل كل ما فعلته معك حتى الآن!!! "

= " هل يعجبك حالك هذا؟!!.. هذا الشيء يجعلك تخسرين نفسك هذا الطريق الذي تسلكينه سيؤدي لنهايتك!! "

– " أنت لن تفهم أبدا!!!.. هذا الشيء الذي يجعلني أستمر بالعيش إنه يشعرني بالسعادة ويجعلني أنسي كل الألم والحزن الذي أشعر به!!! " ردت وهي تبكي وتستمر بضربه.

أمسكت سارة بالفأس وهددت مالك بأن تضربه به وتقتله لو لم يعطها ما تريد واستمر مالك بالرفض وأخذت تلوح به نحوه وهو يحاول تفادي ضرباتها، ولكنه تعثر فأصابته إحدى ضرباتها في بطنه وسقطت سارة عليه فتعمق الفأس كثيرًا وسال منه كثيرٌ من الدماء.. قامت سارة بسرعة وفزعت كثيرًا وشعرت بندم شديد على ما فعلته وأخذت تتفقد نبضه فوجدت قلبه لا ينبض وجسده بارد للغاية.. " لقد مات!!!!.. وأنا السبب!!!! "هذا ما اعتقدته، وهي تضع يدها على فمها وتصرخ بقوة وكانت تقول: " أنا آسفة حقًا أنا حمقاء للغاية لم أكن أستحق كل لطفك ما كان علي فعل ذلك... ليتك تعود إلى الحياة.. فإن لم تعد فأنا سأقتل نفسي!!.. أنا لن أستطيع تحمل هذا!!!! "

اقتحم رجلان البيت وسارة تبكي بصوتٍ عالٍ وفزعت سارة لرؤيتهما فقد كانا هما الرجلين الذين اعتديا عليها وأخذا منها الكيس بالقوة وقال أحد هذين الرجلين:

- " من الجيد أننا تبعنا ذلك الأحمق فقد وفر علينا عناء البحث عن هذه العاهرة "

= " يبدو أنك قتلته هذا جيد لن يساعدك أحد الآن... لقد أخذت تصرخين بعد أخذنا ذلك الكيس منك واجتمع الناس علينا وأنقذوك من قبضتنا في ذلك اليوم.. لكن الآن قد حان الوقت لتنالي عقابك لعبثكِ معنا " رد الرجل الآخر.

- " ولكن قبل ذلك لا يمكننا أن نبدأ عقابك دون أن ننال قليلًا من المرح لما لا نبدأ الآن أيتها العاهرة "

ظلَّت تصرخ بقوة وهما يقتربان منها وأخذت تقاومهما وتحاول إبعادهما عنها بقدميها بعد أن حاصراها في أحد أركان البيت ولكنها كانت ضعيفة للغاية واستطاع أحدهما تثبيتها من قدميها وقام الآخر بإمساك رأسها وقال: " أنا رجل لا يحب العبث والانتظار طويلًا لذا ستبدأ المتعة الحقيقية الآن "، وشرع بتمزيق ملابسها وكشف صدرها... حينها قُطعت رأس ذلك الرجل وسالت دماؤه على وجه سارة وصدرها ورأت مالك يمسك الفأس من خلفه بوجه غاضب ونظرات مخيفة وقام بركل الرجل الآخر وصاح قائلًا: " أبدا!!!.. لن أدع ذلك يتكرر أبدًا!!!! " بصوت غليظ ونظرات غاضبة موجهةً لذلك الرجل وتقدم إليه مالك وأخرج ذلك الرجل سيفه ولوح به ليضرب مالك، فأمسك مالك نصل السيف بيده وصرخ ذلك الرجل وفي

لحظاتٍ قُطع رأس ذلك الرجل أيضًا، وسارة تنظر إليه بعينين متسعتين فاتحةً فاها وهي تمسك ملابسها تحاول أن تغطي صدرها لا تصدق ما تراه... ثم التفت مالك إليها وتقدم نحوها ثم جلس أمامها.

– " لا تقلقي لقد سامحتك يا سارة أحمد الله أنك بخير " قال لها مالك ذلك بصوت هادئ وهي تنظر إليه ويعلو صوتها بالنحيب...

= " كيف ذلك؟!!! كيف؟!!! " ردت وهي تضع يدها على فمها والدموع تنهمر من عينيها

– " حسنًا.. هناك الكثير من الأشياء الغريبة والتي لا يمكن تصديقها في هذا العالم.. وأنا أحدها "

= " لماذا سامحتني؟!! كيف تسامح شخصا مثلي؟!! الكل يراني لصة عاهرة لكني لست كذلك.. لا بد أنك تراني هكذا أيضًا!!.. لماذا إذًا بعد كل ما فعلته بك؟!!! "

– " أنا لا أهتم لما تقولين.. وأيضًا آسف لتخييب ظنك فأنا لا أراكِ هكذا"

= " لا تعاملني هكذا فأنا لا أستحق هذا!!!.. لأنني أنا السبب في كل ما تمر به فأنا من اختطف رنيم!!! "

صُدم مالك مما قالته سارة وتذكر ما سمعه قبل أن يعود.. " إنها تخدعك ".. لقد كان هذا صحيحا إذًا.. لقد كان يشك بها منذ البداية.. لكن جزءًا منه كان يكذب ذلك.. ومرور الأيام جعلته يتغاضى عن الأمر.. لقد كان أحمقًا للغاية.. هذا ما ظنَّه... ظلَّ مالك ينظر في عينيها الباكية في صمت ثم جلس وأسند ظهره ورأسه على الحائط وهي تنتظر بحرقة لتسمع رده، ثم

أخذ مالك نفسًا عميقًا وقال:

- " ما الذي دفعك لفعل هذا؟ "

= " لا أستطع الهرب منها سوف تقتلني فتلك السيدة تالا هي من تتحكم بي أعلم أنك تكرهني الآن ولكن أرجوك صدقني أنا آسفة للغاية لا أعرف ماذا أقول لك " ردت بتوتر وبدا عليها الندم الشديد.

- " لديك القليل من الوقت فقط لتخبريني بما حدث معك وجعلك بهذا الحال وحينها سأقرر كيف سأتعامل معك " رد مالك بصوت غليظ وهو ينظر إليها بنظرات صارمة.

***

زياد... كان هو الرجل الذي أحبته سارة كثيرًا وقد عانى مع والدها وذاق الأمرين ليتمكن من خطبتها.. كان والدها كثير الشروط والمتطلبات ليسمح له بزواجها وقد طلب منه مبلغًا كبيرًا ليكون مهرًا لها فأخذ وقتا طويلًا حتى يجمعه... بعد مرور ما يقارب سنتين اقترب زياد أخيرًا من الانتهاء من كل ما يريده والدها واستطاع أن يجمع معظم المهر.. وأما تبقى من المهر فسيتمكن من الحصول عليه في رحلة تجارته التالية.

فرحت سارة كثيرًا بذلك وكانت سعيدةً جدًا وقد وعدها زياد بأن عرسهما سيكون ضخمًا ورائعًا وسيتذكره جميع أهل القرية... بقي يومان فقط على رحيل زياد وقد سمعت سارة ليلًا والدها يتحدث مع شخص غريب...

- " هو سيرحل بعد يومين... أريد منك أن تتخلص منه أمتأكد أنك قادرٌ

على ذلك؟ " قال والدها

= " لا تقلل من شأننا يا رجل طالما أنك تدفع سنفعل ما تريد " رد ذلك الرجل

قد قلقت سارة كثيرًا عندما سمعت هذا الحديث وبدأت تساورها بعض الشكوك حيال ذلك الكلام وخشيت أن يكون ما تشك به صحيحًا لكنها ظلت تحاول إنكار ذلك.

منذ ما يقارب أسبوع قد عرض رجل ثري على والد سارة الزواج منها مقابل مبلغ يعادل أربعة أضعاف الذي طلبه من زياد كذلك قد عرض عليه أن يشاركه في أعماله، فطمع والدها بما عرضه عليه ذلك الرجل ولم يخبره أنها مخطوبة فعلًا وأخبره بأنه سيكلمها في الأمر وسيرد عليه بعد حين... أخذ والدها يحاول إقناعها بفسخ خطوبتها من زياد والزواج من ذلك الرجل لكنها ظلت رافضة فهي لا تريد شيئًا في هذه الدنيا إلا الزواج من زياد الرجل الذي تحبه ولا ترغب أبدًا في الزواج من أحد غيره، وظل والدها عاكفًا على إقناعها وهي أصرت على الرفض حتى يئس وسئم منها ومن عنادها.

– " أرجوك ابقى.. لا ترحل.. لا تذهب في هذه الرحلة انتظر هنا قليلًا فأنا لست مرتاحةً لها " قالت سارة

= " ماذا بك يا سارة؟!.. أتخافين علي؟ هذه ليست أول مرة أرحل فيها أليس كذلك؟!.. لا تقلقي سأكون بخير "

– " الأمر ليس هكذا فقط.. أريدك أن تبقى معي اذهب في رحلة أخرى غير هذه أرجوك استمع إلي فأنا قلقة للغاية "

أصرَّ زياد على الذهاب وأخبر سارة بأنها فرصة لا تعوض ووعدها بأنه سيعود إليها سالمًا حتمًا فلم تستطع تغيير رأيه وإيقافه.

لقد مات زياد... غادر وبعد بضعة أيام أتى خبر موته ومعه جثته.. دفنه الناس وصلوا عليه الجنازة وغادروا جميعًا.. أما سارة فما زالت واقفةً تبكي كالجماد أمام قبره تأبى الرحيل.. لماذا قد حدث هذا وقد أوشكا على الزواج أخيرًا؟!!.. لماذا مات الرجل الذي تحبه؟!!.. كل ما كانت تحلم به قد تهدم في لحظات.. فقط أرادت حياة سعيدة مع زياد الذي تحبه.. لقد أرادت هذا فقط أهذا أمر صعب؟!!.. ما الذي سيشفي جرحها إذًا ويعالج قلبها المكسور وأضلاعها المحطمة؟!!.. شعرت بحرقة شديدة وضاقت عليها نفسها كادت تختنق وهي تبكي على قبره ثم حاولت أمها جذبها إليها وطلبت منها أن ترافقها أثناء عودتها للبيت بعد أن تأخر الوقت.

لم يمضِ إلا يوم واحد فقط على دفن زياد وفتح والدها معها ذلك الموضوع مجددًا وهم يتناولون الغداء وأخبرها بأن ذلك الرجل ينتظر إجابتها:

- " لقد مات زياد يا ابنتي وعليك أن تتخطي ذلك الأمر وتنظري الآن لمستقبلك يجب أن توافقي "

بدت سارة حزينة للغاية عندما سمعت ذلك من والدها وردت بنبرة كلها غيظ وحزن شديد:

= " هكذا الأمر.. إذًا لقد كان شكي صحيحًا كيف تطلب مني هذا ولم يمر إلا يوم واحد على جنازته؟!!.. لقد سمعتك!!.. لقد سمعتك وأنت تخطط مع ذلك الرجل للتخلص منه!!! "

لم يتوقع والدها بأن يسمع هذا منها ولم يكن يعلم بأنها كانت تعرف هذا الأمر فلم يرد عليها وتفادى النظر في عينيها.. أبت ابنته أن تكمل طعامها وغادرت البيت وتوجهت إلى قبر زياد وظلَّت تبكي بجانبه وأخذت والدتها تبحث عنها كذلك والدها وهو لا ينفك عن القلق وشعر بندم شديد على فعلته.. كان فقط يريد أن يتخلص من زياد ببعض المال لكنه لم يتوقع أن يصل الأمر لموته ولم يستطع أن يواجه ابنته بعدما حل به.. استطاعت أمها إيجادها في آخر النهار وكانت تبكي بشدة فاقتربت منها أمها ونظرت إليها سارة وعيناها ممتلئتان بدموع لا تتوقف وقالت لها:

- " لماذا قد فعل بي هذا؟!!.. لماذا حرمني من الشيء الوحيد الذي أردته؟!!! "

فاحتضنتها والدتها وقد تساقطت بعض الدموع من عينيها.. قد كانت تحاول بشدة أن تتمالك نفسها أمام ابنتها لكنها لم تستطع، وأخذت تخفف عنها ثم أحضرتها إلى المنزل.

لم تعد سارة تحدث أهلها وأضربت عن الطعام كانت تذهب لتجلس بجانب قبر زياد منذ أن تستيقظ في الصباح وتعود في آخر النهار لتنام وهي تشعر بالحزن... كان والداها يشعران بالأسى الشديد عليها، واستمر هذا الوضع لأربعة أيام وفي اليوم الخامس التقت سارة بالسيدة تالا التي قد مرت عليها ورأتها جالسة بجانب قبر زياد فجلست السيدة تالا بجانبها وأخذت تحدثها.. أبت سارة أن ترد عليها ولكن تالا ألحت عليها كثيرًا حتى حكت لها سارة ما قد حدث معها فأشفقت عليها السيدة تالا وشعرت بالحزن الشديد لما مرت به.. عرضت عليها أن تعطيها شيئًا ما وأخبرتها أنه سيساعدها كثيرًا

في حالتها هذه، فأخرجت كيسًا يحتوي على تلك المادة البيضاء.. استغربت سارة منها وسألتها عن ماهيتها فأخبرتها ألا تسأل كثيرًا عنها وأن كل ما تحتاج أن تعرفه هو كيف تتعاطاها.

شعرت سارة بسعادة كبيرة عندما تعاطت هذه المادة لأول مرة وأخذت تضحك بهيستيرية وهي التي قد فقدت هذا الشعور بالسعادة لمدة طويلة.. ظلَّت هكذا حتى انتهى مفعول تلك المادة وغادرت السيدة تالا... كل ما شعرت وفكرت به سارة بعد أن عادت لمنزلها في آخر هذا اليوم هو أنها تريد المزيد فقط المزيد، ومنذ ذلك اليوم والسيدة تالا تقابل سارة في نفس المكان وتعطيها من تلك المادة وفي أحد الأيام قالت السيدة تالا:

- " سوف أغادر بعد ثلاثة أيام من اليوم يا سارة أتودين الذهاب معي؟.. أعدك سأظل أعطيكي من هذه المادة كما تشائين "

= " لكني لا أستطيع أن أغادر وأترك أهلي سيكون ذلك صعبًا علي "

= " الأمر يرجع لك فكري بالأمر وسأنتظرك هنا كل يوم إلى أن يحين موعد مغادرتي حتى أسمع ردك ما رأيك؟ "

وافقت سارة وأخبرتها بأنها سترد عليها عما قريب.. عادت سارة إلى منزلها وهي تفكر بذلك الأمر وقد قررت أن تبقى هنا في بيتها.. لكن بالكاد مر عليها يومان شعرت فيهما بحاجة ماسة لتلك المادة ومرت بحالة ألم شديدة للغاية زادت في كل لحظة مرت عليها دون تعاطي تلك المادة.. أصيبت باكتئاب وحزن شديد وشعرت بوجع كبير في جسدها فذهبت مسرعة إلى السيدة تالا وقررت أن تسافر معها دون علم والديها.

ظل والداها يبحثان عنها عندما لم تعد في ذلك اليوم وكانا قلقين كثيرًا ودفعا الكثير من المال ليكلفا بعض الناس أن يبحثوا معهم ليجدوها وقد شعرا بحزن شديد.. أخذ والدها يلعن نفسه ويلعن ذلك اليوم الذي خطرت بباله تلك الفعلة ولم يتوقف عن ذم نفسه كل يوم... مضت عدة أشهر ولم ييأسا عن البحث عنها كالمجانين وكان الناس يحاولون إقناعهما أنها قد لاقت حتفها وانتهى أمرها ولكنهما لم ينصتا إليهم واستمرا بالبحث.. لكن إن لم يستطع كلام الناس وكل خيبة أمل يمران بها إيقافهما وإحباطهما فإن مرور خمس سنوات كفيلة بذلك ففقد والديها الأمل بعودتها مجددًا.

أعطت السيدة تالا سارة ذلك البيت واستمرت بإعطائها تلك المادة وكانت تقلل من الكمية التي تعطيها إياها شيئًا فشيئًا حتى أصبحت تتشرط عليها بأن تسرق لها بعض الأشياء مقابل تلك المادة ثم بدأت تأمرها بخطف الأطفال وجلبهم إليها.. لم ترفض سارة ذلك بالرغم من أنها كانت تشعر بالذنب على ما كانت تفعله مقابل تلك المادة لكنها تعايشت مع الأمر فقد أصبحت مهووسة بها ومجنونة بأمرها، ولا يمر عليها يوم جيد دون أن تتعاطى البعض منها.. لكن بالرغم من تلك السعادة الغامرة والفرحة الشديدة التي تجعلها تلك المادة تشعر بها إلا أنها كانت تأكل جسدها شيئًا فشيئًا فكانت تدمرها وتقضي عليها.

كانت سارة هي من اختطفت رنيم وصوت ذلك الارتطام بالأرض الذي سمعه مالك بالقرب من الزقاق كان صوت رنيم وهي تسقط منها... قد استخدمت سارة مخدرًا ذا مفعول قوي ليجعلها تنام.. حملت رنيم وهربت بها بسرعة وعندما وصلت لذلك الزقاق أعطت رنيم لأحد أتباع تالا قبل

وصول مالك وجرت هي في الزقاق وهرب ذلك الرجل بعيدًا.. وقد كانت سارة تستهدف مالك لتخطف منه رنيم منذ أن سرقت ذلك الكيس منه في الصباح واتفقت مع تابع تالا أن يلقاها في ذلك المكان مسبقًا.

***

- " لماذا قد حدث معي كل هذا؟! لماذا فعل أبي ذلك؟!!... ليت زياد استمع إلي ولم يذهب " قالت وهي تبكي بعد أن انتهت من قصتها وتألم مالك من عتابها لزياد فقد رأى فيها صورة آية وكأنها تعاتبه هو فأوجع ذلك قلبه كثيرًا لكنها لم تتوقف عن ذلك وزادت حرقةً على ألمه...

= " هذا يكفي توقفي الآن "

- " ما كان ليحدث كل هذا لو أنه استمع لي وفعل ما طلبته منه!!! "

= " قلت لك توقفي "

- " ماكنت لأعاني من كل هذا لقد كنت أحبه كل ما أردته هو أن يبقى معي فقط!!! "

= " توقفي!! "

- " كنا سنبقى معًا!!.. ما كان عليه أن يذهب!!! "

= " توقفي عن تقليدها أيتها الحمقاء!!!.. أنت تقلدينها في كل شيء!!!! " صاح مالك في وجهها بقوة وتفاجأت سارة من كلامه وردة فعله فأكمل مالك وهو يضع يده على رأسه يخفي عينيه يحاول منع نفسه من البكاء " أنت تشبهينها في كل شيء وكأنك هي تمامًا وكلامك ذاك يوجعني بشدة... فقط

توقفي "

- " من هي؟!! " سألت سارة متعجبة

= " الفتاة التي أحببتها أو بالأصح الفتاة التي أحبت وغدًا مثلي " رد مالك وهو ينظر إلى الأرض وقد احمر وجه سارة كثيرًا وأكمل " لقد كانت تحبني كثيرًا لكني ظللت أقنع نفسي بأنها تخدعني حتى اكتشفت في النهاية أنني كنت أحمقًا للغاية ولم أدرك أني أحبها لهذه الدرجة إلا بعد أن فقدتها.. إنني حقًا مجرد سخيف وأبله "

أخذت سارة تسأل مالك عما حدث معه وهو لا يرد عليها ومرت لحظات من الصمت كسرها مالك بأن قرر إخبارها بما حدث معه في تلك الليلة في لارن وقد غير بعض الأسماء والتفاصيل كما لم يخبرها عن بقائه لأكثر من خمسين عامًا في ذلك المكان.. سمعت سارة قصته وهي تشعر بالحزن والأسف الشديد عليه وأشفقت عليه للغاية فلم تتخيل أبدًا أنه قد مر بشيء بمثل هذه الفظاعة والحزن ولم تعلم ماذا تقول له وقد بدا متألمًا للغاية وهو يحكي لها ما حدث وقال في النهاية:

- " لا أحتاج شفقة أحد.. في الواقع أشعر بالسوء لإخبارك بما حدث معي وأتمنى لو لم أحكِ لكِ شيئًا لكن ذلك لا يهم الآن... كل ما في بالي الآن هو قتل ذلك الوغد الذي اسمه سامر... سامر بن مراد الجارح "

= " أتعني وكيل الحرب؟!!! " ردت سارة وهي تشعر بالفزع عندما سمعت ذلك الاسم

- " نعم.. إنه هو بعينه "

= " أنت تمزح صحيح لا يمكنك العبث مع رجل مثل هذا سينتهي بك الأمر ميتا فقط!!! "

- " وإن يكن أنا مستعد لذلك "

= " أنا لا أريدك أن تموت!!!! " ردت سارة وهي تصرخ في وجهه ورأى مالك عينيها الحزينتين واللتين قد جفتا من الدموع من كثرة بكائها فلم يعد بمقدورها البكاء، ولم يستطع مالك الرد عليها وحاول التهرب من ذلك الأمر فقال:

- " أنا متعب للغاية سأذهب لأنام... أراكي غدًا " فذهب مالك وأغلق على نفسه الباب وحاول النوم ولم يغب عنه مشهد سارة وهي تنظر إليه بعينيها تلك " لا أريدك أن تموت "...

" لا أصدق أنها قالت هذا... أيتها الحمقاء أنا لا أستطيع الرد على مثل هذا الكلام "

ظلَّت سارة جالسة في مكانها تشعر بالألم والندم على ما قد فعلته مع مالك وتمنت لو أن الأرض انشقت وابتلعتها، واستغرقت في التفكير حتى غلبها النوم في مكانها ذاك جالسةً على الأرض في ذلك الركن من الغرفة.

استيقظ مالك في الصباح قبلها ورآها نائمة في ذلك المكان فأعد مالك الفطور ثم ذهب وجلس بجانبها وقام بإيقاظها وحثها على أن تأكل معه.. أخذت سارة تأكل ببطء وكلها قلق وتوتر ترتقب أن تسمع أي كلمة منه وهي خائفة فقال مالك بعد بضع دقائق:

- " أعتقد أن الوقت قد حان لأخبرك بما سيحل بك " ففزعت سارة

كثيرًا ووقف الطعام في حلقها فناولها مالك كوبًا من الماء وأكمل " تلك المادة سأتخلص منها ولن أعطيك منها شيئًا ويجب أن تقسمي أنك لن تتعاطيها مجددًا.. وأيضًا يجب عليكِ أن تساعديني في استعادة رنيم من تلك السيدة تالا مهما كلف الأمر " قال لها مالك ذلك بنظرات صارمة.

= " ما الذي تعنيه بهذا؟!! " ردت وهي تبدو متعجبة بشدة.

- " أعلم أنني قاسٍ للغاية لكن عليك أن تتقبلي الأمر "

= " أنت تمزح أليس كذلك؟!!.. ألن تقتلني؟!!.. ألن تعذبني وتجبرني على فعل ما تريد؟!!! "

- " كلا "

= " أنت أحمق للغاية أتعلم ذلك؟ "

- " حسنًا.. لقد سمعت الكثيرين يقولون لي هذا... ولكنك حمقاء مثلي ولا اختلاف في ذلك... نحن فقط مجرد أحمقين قد ضلا طريقهما في هذا العالم.. وهو نفسه قد جمعهما معًا... ربما هذا العالم ليس سيئًا في النهاية " رد مالك والتفت إليها فرآها تنظر إلى عينيه بابتسامة جميلة قد ارتسمت على وجهها وبعينين سعيدتين...

أخذ مالك يسأل سارة بعد ذلك عن السيدة تالا وأخبرته أنها من أغنى أغنياء المدينة.. لا يبدو عمرها الحقيقي على جسدها الصغير لكنها تتخطى الثلاثين عامًا.. هي أحد المقربين لوكيل الحرب (تاتراس) وهو رجل خطر معروف بقوته وعدم ثقته إلا في القليل من خاصته وتالا أحدهم... تقيم السيدة تالا كل سنة حفلًا كبيرًا يجمع العديد من النبلاء من أرجاء العالم

لتوطد علاقتها بهم وتخفف المشاحنات بينها وبينهم وتبعد عنها الشكوك، وهذا الحفل سيقام الليلة وجميع من يحضرون هذا الحفل يبدو عليهم الغنى والترف.

- " حسنًا سنقتحم ذلك الحفل "

= " وكيف ستفعل ذلك؟ "

- " سندخل من الباب الأمامي.. الأمر في منتهى البساطة "

تعجبت سارة مما قاله مالك بعد أن تركها وذهب لغرفته ثم خرج منها وطلب منها أن تذهب معه للخارج وهي لا تعلم ما يدور بباله وهو يتفقد المحال التي يمران عليها.. ثم وقفا عند محل يبيع ملابسًا فاخرة للغاية ورأت فيه سارة فستانًا أعجبها كثيرًا ولاحظ مالك ذلك طلب منها أن تكمل طريقها معه حتى وصلا لمحل لتصفيف شعر النساء ودفع مالك لذلك المحل ليحسن شكل شعرها، ثم خرجا وعاد مالك وسارة لمحل الملابس ذاك مجددًا وطلب مالك من صاحبة المحل أن تجلب له ذلك الفستان التي أعجب سارة وقد كان أغلى فستان فيه:

- " ما الذي ستفعله بكل هذا؟!! ولماذا ستشتري هذا الفستان؟!! "

= " أنا أشتريه لك.. أليس هذا واضحا؟! "

- "لماذا إذا؟!! وأيضا ذلك الفستان باهظ للغاية وأنت تشعرني بالخجل لذلك "

= "اسمعي أنا وأنت سندعي أننا زوجان من النبلاء وندخل ذلك الحفل"

احمر وجه سارة وتوترت كثيرًا عندما سمعت ذلك وردت بسرعة: - " كلا أنا لن أفعل ذلك أبدا!!!.. لماذا لم تأخذ رأيي منذ البداية؟!!! "

= " رأيك لن يشكل أي اختلاف فيما سأفعله... لقد وعدتني أنك ستساعدينني وأنت مجبرة على ذلك "

- " أنت حقًا وغد!!! "

= " أشكرك.. والآن هيا دعيها تأخذ مقاسك لتعدل ذلك الفستان ليناسبك "

دفع مالك الحساب لصاحبة المحل وانتظر سارة في الخارج حالما انتهت وخرجت من المحل وقد بدت خجلة ومتضايقةً من مالك قليلًا، ثم ذهب مالك وبحثا عن محل يبيع الملابس الفاخرة للرجال واشترى مالك أغلى ثوب هناك أيضًا وعادا معًا إلى البيت.

اقترب وقت المساء ومالك قد استعد للذهاب وسارة ما زالت في غرفتها تتجهز وقد انتظرها طويلًا للغاية حتى أنه كاد يكلم نفسه، وبعد عناء وطول انتظار خرجت من غرفتها وحقًا قد بدت جميلة للغاية بذلك الفستان وكانت أول مرة يراها فيها مالك وهي ترتدي الحجاب.. كان مرتاحًا لرؤيتها هكذا تخرج سعيدة وهي تضحك وتقول له:

- " ما رأيك؟ كيف يبدو علي؟ "

= " لا أعلم "

- " ما الذي تعنيه بذلك؟ قل شيئًا مفيدًا " ردت وقد بدت منزعجة.

= " إن كنت تريدني أن أقول أنه يبدو جميلًا عليك للغاية فانسي الأمر لأنني لن أقول ذلك أبدًا "

– " ولكنك قلت ذلك للتو " ردت بهدوء وقد بدت خجلة.

= " كلا أنا لم أقل ذلك "

– " لا تكذب لقد قلت ذلك وقد سمعتك!!! " صاحت في وجهه.

= " هيا لنذهب الآن "

– " ماذا تقول؟!!.. لا تتهرب من الموضوع!!.. اعترف أولا قبل أن نذهب!!! "

استأجر مالك عربة وطلب منه أن يذهب به إلى قصر السيدة تالا حيث الحفلة ووصل مالك وسارة إلى هناك وغير مالك اسمه إلى (إبراهيم) وسارة غيرت اسمها إلى (رغد)، واستقبلهما الحارس بحفاوة عندما رآهما ولم يستطع التعرف على سارة بمظهرها الجديد ذاك فارتاحت لأنها كانت قلقة كثيرًا من ذلك...

– " أهلا بك يا سيدي لقد شرفتنا حقًا " قال الحارس وهو يبتسم.

= " أشكرك على لباقتك أيها الحارس "

– " هذه أول مرة أراك هنا فأنا أعرف جميع الحضور الذين يأتون كل عام "

= " نعم فأنا من بلد آخر أرجو ألا يكون هناك مانع في هذا "

– " كلا يا سيدي أرجوك تفضل وسأكلف أحد الخدم بأن يأخذك بجولة ويعرفك بالمكان "

= " شكرا جزيلا لك "

انزعج مالك من ذلك الخادم الذي أتى ليعرفهم بالمكان فهو لا يحتاج لذلك ويريد أن يبحث عن رنيم لكن كيف سيعلم أين الطريق الذي يؤدي إليها؟.. الأمر سهل فقط عليه أن يذهب إلى المكان الذي لا يجب على أحد الدخول إليه.. أما سارة فقد بدت مستمتعةً للغاية وأخذت تتذوق ذلك الطعام الذي لم تره من قبل في حياتها وقد كان لذيذًا للغاية وتركت مالك وظلت تتحدث كثيرًا مع السيدات الأخريات وأخذن يتمازحن كثيرًا.

- " أهذا الرجل هو زوجك يا سيدة رغد؟ " قالت إحدى السيدات

= " نعم إنه زوجي " ردت وقد بدت خجلة كثيرا.

- " إنه يبدو وسيما نوعًا ما لكن وجهه شاحب كثيرًا هل هو مريض أم ماذا؟ "

= " في الواقع إنه مريض قليلا لكننا لا نحب الحديث في ذلك الشأن "

- " إنه يشير إلينا يبدو أنه يريدك في شيء ما لما لا تذهبي وتتفقديه "

كان مالك متضايقا للغاية فهو يريد أن ينتهي الأمر بسرعة ولا يوجد وقت للتسكع.. " ما الذي تفعله تلك الحمقاء قلت لها ألا تفترق عني ولم تمر إلا بضع لحظات فقط وقد اختفت من ناظري وها هي هناك الآن تستمتع بوقتها.. أنسيتي ما نحن على وشك فعله أيتها الغبية؟!! "، كان ذلك ما يفكر به مالك وسارة تتمشى نحوه ببطء وبعد أن وقفت أمامه قالت بسذاجة وهي تبتسم:

- " ما الأمر يا مالك؟ ماذا تريد الآن؟ "

= " سأقتلك!!! " رد مالك بغيظ شديد

- " ماذا؟!! " ردت وقد بدت متفاجئة مما قاله

= " لا وقت لدينا لهذا الهراء أيتها الحمقاء وأيضًا أنا اسمي الآن إبراهيم وليس مالك.. أتريدين أن تكشفي أمرنا؟!! " صاح مالك وأخذت سارة تعتذر له عمَّا حدث وتحاول تهدئته حتى لا تلتفت الأنظار إليهما.. لكن أحدًا كان يعرف مالك قد لاحظ وجوده بالفعل.

***

- " اذهب وأبلغ الضباط بسرعة عن وجود ذلك الرجل مالك هنا وقل لهم أنني من أرسلتك "

= " حسنًا يا سيد لانتر سأفعل ما تريد ".. ثم أسرع ذلك الرجل بالذهاب ليبلغ الجنود عن وجود مالك في حفل تالا.

***

قامت سارة بتهدئة مالك ثم طلبت منه أن يخبرها بما سيفعلانه فقال مالك:

- " أترين ذلك الممر الذي يقف أمامه هذان الحارسان؟.. ذلك الممر هو وجهتنا.. لقد ذهبت لهناك بالفعل ولكن الحارسان منعاني من الدخول "

= " وكيف سندخل إذا؟ "

- " لا تقلقي لقد تصرفت بهذا الشأن... أتذكرين ذلك المسحوق الذي اشتريته من أحد المحال اللاتي تفقدناها؟ "

= " أجل وكيف سيساعدنا ذلك المسحوق؟ "

- " ذلك المسحوق يسبب وعكة وآلاما شديدة في البطن وقد وضعته في العصير الذي بالقرب من هذين الحارسين... لقد شرب الكثير من الضيوف منه حتى الآن... وفي أي لحظة سيتلوى كل من شرب على الأرض من شدة الألم وحينها سيذهب هذان الحارسان إليهم ولو لم يفعلا سنطلب منهما أن يتفقداهم وحينها ستكون فرصتنا "

حدث ذلك بالفعل وكان الكثير من النبلاء يتألمون بشدة وأسرع هذان الحارسان إليهم وتمكن مالك وسارة من دخول هذا الممر في وسط هذه الفوضى.. مشيا في هذا الممر المظلم حتى وصلا إلى نهايته وانقسم الممر إلى اليمين واليسار وقررا أن يفترقا في ذلك المكان وطلب منها مالك أن تعتني بنفسها.

سار مالك في الممر الأيسر وأخذ يتفقد غرفه ولكنه لم يجد شيئًا وتعمق فيه وبدأ يسمع صوت صراخ طفل من بعيد فأسرع مالك لذلك الصوت وأخذ ذلك الصوت يعلو شيئًا فشيئاً حتى وصل لتلك الغرفة ووقف أمام بابها.. حاول فتح بابها ولكنه كان موصدًا فقام بكسره، وعندما فتحه مالك رأى ذلك الطفل الذي يصرخ بذعر مقيدًا على الأرض وعيناه تبكيان وتوحيان برعبه الشديد وشاهد تلك القصيرة ذات الشعر الأسود ووجهها القبيح المشوه تجلس على كرسي ويقع على الطاولة التي أمامها جثة طفل صغير آخر.. كانت ممزقةً بشكل فظيع.. أحشاؤها منتشرة على الطاولة وبعضها يتدلدل منها.. تتساقط قطرات دمائه من عليها... كانت تنظر تلك القصيرة إلى مالك بعينين غاضبتين ودماء ذلك الطفل تسيل من فمها...

- " كيف دخلت إلى هنا أيها الوغد؟!.. كيف تجرؤ على مقاطعة السيدة تالا وهي تتناول طعامها؟!!.. أين ذهب أولئك الحراس الحمقى؟!! "

أهذه هي السيدة تالا؟!! أهي تأكل ذلك الطفل؟!!!.. قد شعر مالك بقرف شديد وكاد يتقيأ لشدة شعوره بالغثيان.. قامت السيدة تالا واقتربت من مالك وهو ينظر إليها باشمئزاز واحتقار شديد.

= " ما الذي تفعلينه أيتها الحقيرة؟!! كيف سولت لك نفسك فعل شيء دنيء كهذا؟!!! " صاح مالك بحنق وغيظ شديدين لكن تالا لم ترد وتقدمت نحو مالك ووجهت له لكمة في وجهه

كانت لكمتها قوية بطريقة مبالغ فيها فقد ألقت بمالك بعيدًا وارتطم بالجدار الذي خلفه وقد تفاجئ مالك بشدة من قوة لكمتها.. أخذت تالا سكينتين من على الطاولة ومشت ببطء نحوه بوجهها المشوه وقالت:

- " لا يجب على البشر الحثالة أمثالك التحدث إلى أسيادهم بهذا الشكل بل يجب عليك أن تتذلل إلي أيها البشري الوضيع حتى أسمح لك بالحديث ".. ثم أمسكت شعره وضربت رأسه وغرزت إحدى السكينتين في أسفل عنقه من الجانب الأيسر ثم أخرجتها منه لتضرب بها مجددًا وقبل أن تضرب قالت:

- " هل مت للتو أيها الحثالة؟!!.. أنا لم أعطك أمرًا بأن تموت الآن أيها الأحمق!!.. كنت أريد أن أستمتع بتعذيبك قليلًا تبًا لك!!! " قالت ذلك بجنون وهمَّت أن تسدد له العديد من الضربات فأمسك مالك بيدها وأمسك بيده الأخرى عنقها وأحكم قبضته عليها وقال بغضب ونبرة مخيفة:

= " كلا لم ينتهِ الأمر بعد أيتها الحمقاء!!! " ودفع بها على الأرض بقوة فارتطم رأسها بشدة لكنها لم تفقد وعيها وغرزت السكين في قدم مالك اليمنى واستطاعت الهروب.. حاول مالك إخراج السكين من قدمه وبدأت الدماء تسيل من قدمه حالما أخرجها كما كانت تسيل من عنقه فأسرع مالك وقطع جزئين من ملابسه ليربطهما بقدمه اليمنى وعنقه.. لم يوقف ذلك النزيف تمامًا.. لكن ذلك لا يهم الآن فيجب عليه أن يلحق بها بسرعة.. أخذ مالك تلك السكين وخبئها في ملابسه ثم انطلق.

حاول مالك الإسراع قدر المستطاع ليلحق بتلك الحقيرة فجرى إليها ولم يقطع مسافة طويلة ووجدها تقف بانتظاره.. تنظر إليه مبتسمةً وكأنما تتحداه ليتقدم إليها، فمشى مالك نحوها وبينما هو يمشي داس على حبل مخفي في الأرض لم يره بسبب إضاءة المكان الخافتة فانطلقت سهام كثيرة نحوه من كلا الجانبين.. قفز مالك ليهرب منها ولكن بعضًا منها قد أصابت ذراعيه كما قد تعرض لخدوش في صدره وظهره.. نظر مالك إلى تالا ورآها تنظر إليه باحتقار شديد ونزع أحد السهام التي في يده اليسرى وألقاه نحوها ولكنه لم يصبها، فأسرع وقام يجري نحوها.. لكنه توقف فور أن سمع صوت الاصطدام، فقد ركل مالك صخرة عن غير قصد بينما هو يجري ومرت لحظات وسمع صوت اصطدام تلك الصخرة وتحطمها.. قد أتى ذلك الصوت من الأسفل وعندما نظر مالك إلى الأرض وجد حفرة كبيرة تمتد إلى الحائطين يمينًا ويسارًا فاقترب مالك ليرى ما بها فوجدها مليئة بأشواك حديدية حادة، وكانت الطريقة الوحيدة لعبورها هو محاولة السير على حوافها من أحد الجانبين.. نزع مالك بقية السهام من ذراعيه وحاول العبور.. قد كان الأمر سهلًا على تالا لصغر حجمها أما مالك فقد كان الأمر

صعبًا للغاية بالنسبة له وكادت قدمه أن تنزلق عدة مرات واستطاع بعد عناء عبور تلك الحفرة.

اختفت تالا عن أنظار مالك بعد أن انعطفت لليمين في نهاية الممر وقد كانت ترتقب بشدة سماع صراخه بعد أن يقع في تلك الحفرة.. لاحظت أن الأمر قد أخذ وقتًا طويلًا فاغترت بنفسها وظنت أن مالك قد قرر الهرب بعيدًا عنها، وفي اللحظة التي قررت فيها العودة لتكمل وجبتها تفاجأت بأن رأت مالك يقف أمامها.. هي لم تظن أبدًا بأنه سيستطيع النجاة لكن لا يوجد وقت للتفاجؤ فقامت بسحب تلك العتلة...

أسرع مالك وجرى نحوها عندما رآها تسحب تلك العتلة وقد ظهر على الحائط الأيسر العديد من الأشواك الحديدية المسننة كما في تلك الحفرة أما الحائط الأيمن فقد كان مليئًا بالثقوب.. قد أطلقت تلك الثقوب رياحًا قوية دفعت بمالك نحو الحائط المسنن وقد أصابت الأشواك نصف جسده السفلي من الخلف.. علا صراخ مالك كثيرًا في هذه الحظة وظلَّ على هذا الحال حتى نفد الهواء من تلك الثقوب وسقط على الأرض فاقدًا للوعي...

ظنت تالا أنه قد مات في هذه اللحظة فذهبت إليه وأخذت تركله بغضب وهي تقول : " هذا هو جزاؤك لتطاولك على أسيادك أيها الماشية!!... أيها الماشية الحثالة!!! "

استعاد مالك وعيه بسرعة هذه المرة يبدو أن كل محاولاته ليعتاد على جسده التي قام بها في طريقه إلى هذه المدينة منذ أن غادر جاترن لم تفشل كليًا.. أمسك مالك بقدم تالا وسحبها وقام بضربها بالحائط فتألمت تالا بشدة وارتعدت عندما رأته يتحرك فأخذت تتراجع بعيدًا عنه وهو قد وقف

وأخذ يتقدم إليها ببطء وهي تقول:

- " نحن من نأكل البشر لذا فنحن أسيادكم!!!... إن البشر هم حكام الأرض لأنهم يستطيعون القضاء على كل مخلوق والتهامه لذا فمن يأكل البشر يكن هو سيد العالم الجديد... هل رأيت من قبل بشريًا يحزن على بقرة يأكلها أو دجاجة يذبحها... أنتم بالنسبة لنا كالماشية لذا فلتبتعد عني أيها الحقير!!! ".. لكن مالك ظلَّ يتقدم ببطء نحوها بنظرات غاضبة يعتريها حنق شديد...

اقترب منها مالك وأمسك شعرها في نهاية الممر وهمَّ بقتلها لكنها قالت وهي تبكي: " لقد أرادت أن تأكلني!!.... أمي لقد أرادت أن تلتهمني!!! "

***

مرت مدينة (أستيز) بحالة فقر شديد وكانت من الدول الغير تابعة لأبناء الإله فكان عليهم الدفع سنويًا مقابل حمايتهم وإبقائهم على قيد الحياة كما كانت ماعن، ولكنهم في ذلك العام لم يستطيعوا الدفع وحلت نهايتهم.

كانت تالا صغيرة في هذا الوقت وكانت تتعرض لكثير من الاضطهاد من الصغار وكذلك الكبار بسبب شكل وجهها وكانوا يلقبونها بالمسخ، وكان دائمًا ما يحاول الكبار إبقاء أبنائهم بعيدين عنها فقد كانوا يقولون لهم أحيانًا أشياء مثل " ابقوا بعيدًا عن تلك القبيحة وإلا ستعديكم وتصبحون مثلها ".. " إن تلك الطفلة ملعونة وهي من سببت الفقر لأرضنا ".. " إنها نذير شؤم فلم يحدث أي شيء جيد لأي أحد قد اقترب من هذه المسخ "

كانت أمها دائمًا ما تعاني في العمل وجلب قوت كل يوم فلم تكن تمضِ

وقتًا طويلًا مع تالا التي كانت ابنتها الوحيدة وقد أصبحت في تلك المعاناة منذ اليوم الذي توفي زوجها، وقد زاد كلام الناس القبيح وجرأتهم على ابنتها منذ ذلك اليوم أيضًا.. كانت تالا لا تحب أن تجلس وحيدةً في البيت أثناء غياب أمها فكانت دائمًا ماتذهب لتجلس بالقرب من البحيرة التي لا تبعد كثيرًا عن المدينة كي تبتعد عن كلام كل هؤلاء الناس وتنعم بالهدوء دون أن تتألم نفسها.

جاء ذلك اليوم الذي أتى فيه جنود أبناء الإله ليدمروا المدينة ويمحوها عن بكرة أبيها وقاموا بالقبض على كل من استطاع النجاة من هجومهم وقتلوهم، حتى بقي فقط مئة منهم تركوهم أحياءً كما طلب منهم وكيل الحرب تاتراس ووضعوهم في ذلك الميدان الدائري الذي أُغلقت كل وسائل الخروج منه وتركوهم فيه وكان من ضمن هؤلاء تالا وأمها.

تركوا لهم أسلحةً وأدوات لإشعال النيران وبعضًا من المياه ولم يقدموا لهم أي نوع من الطعام وتحملوا الجوع لما يقارب أسبوعين ثم بدأوا بعدها يشعرون بالجنونً وهيجانٍ شديد وقد فقد معظمهم عقله، وفي يوم ما اقترح أحدهم أن يختاروا بعضًا منهم ليقتلوهم ويأكلوهم حتى يحافظوا عًلى حياتهم، ويجب اختيار أضعفهم فالأقوى هو الأحق بالعيش وأهم شيء أن يستمروا بالبقاء أحياءً وينجوا من هذا المكان.. قد كان هناك معارضون كثيرون لهذه الفكرة الشنيعة فأجمع معظمهم على رفضها وعدم ذكرها مجددًا.. لكن مرور الأيام والجوع الذي يكاد يقتلهم كانا كفيلين بأن يزيد من عدد مؤيدي تلك الفكرة فانقسموا جميعًا لفريقين.. قام أولئك المؤيدون لتلك الفكرة بالغدر بالفريق الآخر، ففتحوا صندوق الأسلحة وقاموا بقتلهم جميعًا وهم نيام، وكان

أولئك القتلة يضحكون يتحرقون شوقًا لتناول الطعام فعلا الصراخ وساد الهلع والرعب وانتشرت الدماء في كل مكان.. قد كانت مذبحة دموية...

قبل أن يحدث هذا سمعت أم تالا حديث هؤلاء وعلمت ما هم مقدمون على فعله فاستطاعت تالا وأمها بطريقة ما في هذه الليلة الاختباء في برميل الماء دون أن يلحظهم أحدهم.. أخذتا تراقبان أولئك القتلة وهم يشوون كل تلك الجثث وكيف أن بعضهم لم يستطع الصبر فأكلوا اللحم نيئا.. كانتا تشاهدان ذلك ولعابهما يسيل من شدة الجوع وتشعران برغبةٍ شديدة في الأكل وأثارت رائحة اللحم وهو يُطهى جنونهما.

في اليوم التالي حدث كثيرٌ من الاختلافات بين القتلة على تقسيم الغنائم وهناك من ادعى منهم أن غيره قد أكل أكثر من الآخرين فنشبت معركة شديدة بينهم وأخذوا يقتلون بعضهم بضراوةٍ وانتهى الأمر بأن لم يبقى منهم إلا واحدٌ أخذ يلتهم بنهم بقية زملائه.. قد كان فرحًا بشدة لبقائه هو الوحيد وسط كل هذا الطعام كله.. قد أصبحت كل هذه الجثث له وحده.. لكن عندما نام في تلك الليلة خرجت أم تالا من الصندوق وهوت بصخرة كبيرة فوق رأسه وظلت تضربه حتى هشمتها تمامًا وأصبحت هي الفَرحة المجنونة في هذه اللحظة.. أخذت تضحك كثيرًا وهي تمسك شعرهاَ.. سارعت بتمزيق جثة ذلك الرجل فلم تصبر هي وابنتها والتهمتا بنهم جثته حتى العظام.

استمرت تالا وأمها على ذلك الحال.. كانت أمها تطهو الجثث كي تستطيب طعمها أما تالا قد أصبح لديها ميل بأن تأكلها نيئةً على عكس أمها وظلتا هكذا لعدة أيام حتى انتهت كل الجثث وعادتا يتضوران من

الجوع مجددًا... لم تمر عليهم إلا ثلاثة أيام فقط وهم جوعى وأخذت أم تالا ترمق ابنتها حين حلَّ الليل بنظرات غريبة مجنونة وكأنها تشتهي أكلها وتريد وضعها في تلك النار التي أشعلتها في الأرض لتطهوها، فهجمت عليها فجأة لكن ابنتها استطاعت الهرب منها فصاحت أمها قائلة بنبرة غاضبة:

- " لقد جعلتني أعاني كثيرًا أيتها المسخ!!!.. لقد أفنيت حياتي وأنا أخدمك وأقدم لك كل ما تحتاجين وقد حان الوقت الآن لتردي لي هذا الجميل!!!... هيا دعيني آكلك الآن!!!! ".. شعرت تالا بحزن شديدٍ عندما سمعت هذا الكلام من أمها خاصةً عندما نادتها بالمسخ، فالوحيدة التي كانت تعطف عليها ولم تسمع منها هذا الكلام أبدًا أصبحت تناديها بهذا الاسم أيضًا.. لم يعد هناك أحد يهتم الآن بأمرها....

أخذت تالا تتراجع للخلف وأمها تتقدم نحوها وكانت النار خلفها فاقتربت منها كثيرًا حتى لسعتها وفي تلك الحظة هجمت أمها عليها فدفعت تالا نفسها بعيدًا عن النار نحو اليمين وتعثرت أمها بصخرة وسقطت هي في النار وأخذت أمها تصرخ وتستنجد بها وهي تقول: " أنا آسفة يا ابنتي لم أقصد ما قلته أرجوك أنقذيني!!!... أنقذيني بسرعة!!!! ".. لكن تالا لم تسمع كلامها وأخذت تلك الصخرة التي تعثرت بها أمها وضربت بها رأسها حتى ماتت وقامت هي بأكل أمها.

حلَّ الصباح ولم يجد الحراس إلا تالا فقط في الميدان فأسرعوا وأخبروا وكيل الحرب تاتراس بذلك.. ذهب إليها تاتراس وربت على رأسها وهي تنظر إلى بقايا والدتها فقال لها : " لا تحزني على هؤلاء الحثالة فهم الماشية ونحن أسيادهم هم يعيشون ليكونوا حيواناتٍ لنا يمكننا العبث بهم كيفما

نشاء فلا يجب أن نظهر أي ذرة رحمة... ولا تقلقي يا صغيرتي فمن الآن فصاعدًا سأعتني بك "، ومنذ ذلك اليوم أصبحت تالا تحت رعاية وكيل الحرب تاتراس.

***

- " لقد أرادت أن تأكلني... أمي لقد أرادت أن تلتهمني " قالت وهي تبكي فتوقف مالك وتركها للحظات...

استغلت تالا توقف مالك فأسرعت وضغطت على قرميدة في الأرض بالقرب منها، وكان سقف هذه المنطقة التي هم فيها خشبيًا أشبه بالباب وفور أن ضغطت تالا على القرميدة انفتح السقف وسقط عدد كبير من الصخور عليها وعلى مالك.. قامت تالا بالاحتماء بجسد مالك ثم أخرجت السكين الآخر الذي قد خبأته وطعنته به في بطنه وقالت:

- " أتريد قتلي أيها الأحمق ألا تعلم من أنا؟!!.. ألا تعلم مدى خطورة الأشخاص الذين أتعامل معهم وما سيفعلونه بك لمجرد محاولتك هذه؟!!.. أنت تعبث مع قوى أنت لست ندًا لها أيها الحثالة!!! "

= " ألن تتوقفي عن كل هذا الهراء أيتها الثرثارة؟!!... سوف أقتلك فحسب لن يغير هراؤك هذا شيئا!! " رد مالك بصوت غليظ

- " أما زلت حيا؟!!... كيف ذلك؟!! هذا مستحيل... لا تقتلني أنت بهذا ستخسر حياتك وكل ما تملك لا تكن غبيا!!!.. لا بد أنك تعرف تاتراس وأعوانه إنه الملقب بزعيم العالم السفلي ومعظم الأعمال الغير شرعية في هذا العالم هو متورط بها... اتركني ولا تقحم نفسك معه وتجعل نهايتك

أمرًا محتومًا!!!! "

- " أووه حقا!!.. هكذا الأمر إذًا... حياتي؟!!.. إن حياتي لقد انتهت بالفعل أيتها الغبية وأنا لا أملك شيئًا لأخسره ولم أعد أهتم بشيء بتاتًا!!!... في الواقع أود أن أرى ما سيفعله ذلك الأحمق!!!! " رد مالك بصوت غليظ

أخذت تالا تلعن مالك وتصفه بالأحمق لكن مالك أخرسها نهائيا بأن جزّ عنقها وألقى رأسها بعيدًا عنه.. حينها تفاقمت عليه آلامه الشديدة في كامل جسمه لم يتحملها عقله فأغمى عليه من شدة الإرهاق والألم.

كانت سارة تتسلل في الممر الذي سلكته بهدوء ولمحت من بعيدٍ ذلك الحارس الذي يقف أمام إحدى الغرف، فتوقفت وشعرت بقلق شديد خشية أن يلاحظها وجزمت بأن هذه الغرفة التي يحرسها هي غرفة الأطفال...

لحسن حظها لم يلاحظها الحارس وترك مكانه بعد مدة ليدخل الحمام ويقضي حاجته فتقدمت بهدوء نحو تلك الغرفة واستطاعت الدخول.. وجدت عددًا كبيرًا من الأطفال يلبسون نفس الزي ويلعبون معًا واستغربت من استيقاظهم في هذا الوقت المتأخر، وعندما رأى الأطفال سارة تعجبوا منها وتساءلوا من هي؟ فأخبرتهم أنها تدعى سارة وقد أتت هنا لأخذ فتاة تُدعى رنيم:

- " ولماذا لم تأتِ السيدة تالا بنفسها مثل كل مرة؟!! " رد أحد الأطفال

= " لأنها مريضة اليوم ولن تستطيع المجيء بنفسها " ردت سارة

* " يبدو أنك تكذبين لأنها قد أتت منذ فترة وأخذت رانس وباتلور... يجب أن ننادي على الحارس "، وظلَّ الأطفال يتشاورون فيما بينهم

- " أنا فقط أبحث عن رنيم سآخذها وأرحل.. أرجوكم اهدأوا.. ليس هناك داعي لكل هذا ".. لكن الأطفال لم يهدؤوا ورفضوا تسليم رنيم لسارة وأخذوا ينادون على الحارس بأعلى أصواتهم.

حاولت سارة تهدئتهم أكثر من مرة لكنها لم تنجح حتى طفح بها الكيل وصاحت بأن مالك قد أرسلها إلى هنا، وعندما سمعت رنيم ذلك ذهبت نحو سارة على الفور وقالت لها:

- " كيف تعرفين العم مالك يا سيدتي؟ "

= " لا بد أنك رنيم يا صغيرتي... لقد عرفت مالك مؤخرًا وقد ظلَّ يبحث عنك كثيرا طيلة هذه الأيام "

- " أتعنين ذلك حقا؟!!... لقد ظللت أحاول إقناع نفسي بذلك ولكنني لم أستطع... لقد ظننت أنه قد تخلى عني وتركني هنا وقرر الرحيل بدوني لقد كنت حزينة للغاية أنا... أنا... " قالت رنيم ذلك وهي تبكي.. تضع يديها على عينيها تحاول أن تمسح دموعها لكن دموعها كانت تستمر بالانهمار من عينيها فاقتربت منها سارة وقالت لها:

- " لا تبكي الآن يا صغيرتي.. لقد أتى ليستعيدك والآن قد حان وقت الرحيل " فهزت رنيم رأسها موافقة على الذهاب معها وعندما أوشكت سارة على فتح الباب سمعت وقع خطواتٍ يأتي من الخارج...

أخذت سارة أحد كراسي الأطفال واختبئت خلف الباب وطلبت من رنيم أن تجعل الأطفال يلتزمون الهدوء واقترب ذلك الصوت أكثر وفُتح الباب بقوة وصاح الحارس قائلًا:

- " ما الأمر؟!!... ما كل هذه الجلبة أيها الأطفال؟! "

رفعت سارة الكرسي وضربت ذلك الحارس على ظهره بعد أن دخل وأسقطت منه بندقيته بعيدًا عنه فغضب الحارس بشدة وأمسك بسارة وأخذ يلكمها في وجهها حتى سال الدم من أنفها ولم تستطع سارة فعل شيء له.. كانت رنيم مذعورة لكنها تقدمت محاولةً مقاومة خوفها نحو ذلك الحارس وأمسكته من رجله تريد منعه بيأس عن أذية سارة.. وجه ذلك الحارس لسارة لكمةً أخرى فأسقطتها تلك اللكمة على الأرض بقوة، وأمسك رنيم من شعرها وقال "ماذا تفعلين أيتها الصغيرة الحمقاء!!... هيا ابتعدي عني!!! " وألقى رنيم على الأرض بعيدا عنه...

اغتاظ الأطفال بشدة لما فعله الحارس برنيم فاجتمعوا عليه وحاولوا الإمساك به ولكنهم كانوا ضعفاء للغاية ولمح الحارس سارة وهي تحاول الاقتراب من بندقيته فدفع الأطفال بعيدًا عنه ووركل بعضهم ليحصل على البندقية قبلها...

استطاعت سارة أن تمسك البندقية قبله لكنه اقترب منها بما فيه الكفاية فتمكن من إمساك البندقية من ماسورتها قبل أن تفعل سارة شيئًا بها.. أخذ الحارس يضرب سارة محاولًا جعلها تترك البندقية ولكنها كانت متمسكة بها بشدة، وفجأة قد ضغطت سارة على الزناد بغير قصد فأصابت الطلقة أسفل ذقن الحارس فسقط على الأرض صريعًا، وأصيبت سارة والأطفال بفزع ورعبٍ شديد وهم يشاهدون الدماء وهي تسيل على الأرض من ذلك الرجل.

تيبست سارة في مكانها وهي تنظر بهلع لذلك الرجل فقد كانت هذه

أول مرةٍ تقتل في حياتها وشعرت بذعرٍ وخوفٍ شديد.. ثم سمعت ذلك الصوت.. سمعت صوت حارس آخرٍ يأتى من آخر الممر يصرخ قائلًا " ما الذي يحدث؟!! "، فقامت سارة على الفور وأخذت بيد رنيم وأسرعت لتهرب من هذا المكان كذلك لحقها الأطفال الذين شعروا بخوفٍ شديد ولم يريدوا أن يبقوا في هذا المكان فتبعوها جميعًا دون تفكير...

أخذت سارة تجري بعيدًا هي ومن معها بعيدًا عن هذا المكان وكل ما كانت تفكر به هو أن تهرب فحسب ولم تدرك أنها عائدة إلى مكان الحفلة.. دخلت صالة الحفل مجددًا وتجمدت في مكانها عندما رأت ذلك.. فقد رأت عددًا كبيرًا من الجنود اقتحموا الحفل وسدوا مداخل القصر وكلهم قد صوبوا بنادقهم نحوها هي وصاح أحدهم قائلًا:

- " أتدعين أنك من النبلاء أيتها المحتالة؟!!.. يا لك من حمقاء لقد ألقيت بنفسك إلى الهلاك... أسرعي وأخبرينا أين ذلك المدعو مالك وإلا ستلقين حتفك هنا والآن!!! " ظلَّت سارة متسمرةً في مكانها من شدة الخوف لا ترد عليهم فصاح الجندي مجددًا " هيا ردي بسرعة!!! "

= " أنا... أنا... أنا لا أعرف شيئًا مما تقولونه فقط دعوني وشأني " ردت سارة وقد تملكها الرعب والقلق.

- " كفاك تحاذقا من الواضح أنك تكذبين.. لقد جلبت هذا لنفسك... تجنبوا الأطفال وأطلقوا عليها الآن!!! "

صرخت سارة بصوت عالٍ وهي تعلم أنها ستموت الآن وظلَّت تصرخ بقوة وهي تسمع صوت إطلاقَ كل هذا الرصاص لكنها قد شعرت بأحد ما قد احتضنها بقوة قبل أن تصل إليها كل تلك الطلقات واضعًا يده على رأسها

فرفعت رأسها لتتبين من هو ووجدته مالك ينظر إليها بعينين جاحظتين متسعتين وهو يقول بصوت غليظ: " لن أدع ذلك يتكرر مجددًا!!!!... هذه المرة يا آية... لن أخسرك أبدًا!!!!... أبدًا!!!!! "، قد كان مالك يشعر بألم شديد للغاية لتلقيه كل تلك الرصاصات على ظهره ولكنه تحملها لأنه رأىٰ أن ذلك الألم لا يقارن أبدًا بألمه إذا شاهد سارة تموت أمامه.. فإن كان هناك دماؤه يجب أن تُراق أحدهما فلتكن دماءه إذا...

أخذت سارة تنظر لمالك بذهول وحزن دفين.. هي تعلم أنه يتألم بشدة ولكن حضنه وكلماته تلك قد حركا مشاعرها كثيرًا فهي لم تتخيل أبدًا أنها ستلقى أحدًا يهتم بها لهذه الدرجة مثل مالك.. خاصةً بعد كل ما قد فعلته معه فهو لا يمانع أن يتلقى الرصاص بدلًا عنها ويضحي بنفسه من أجلها.. لقد كانت حزينة حقًا ومع ذلك فقد أحبت ذلك كثيرًا وتمنت لو أن هذه اللحظة تدوم للأبد.. تمنت أن يظلَّ متمسكًا بها حتى نهاية العالم.

اعتقد الجميع أن مالك ذاك ميتٌ لا محالة لقد انتهى أمره فلا يمكن أن ينجو أحد من كل هذه الطلقات أبدًا وبدأ الجنود يتقدمون نحو مالك في ثقة كبيرة.. لكنهم شعروا بصدمة كبيرة كذلك النبلاء عندما رأوا مالك يستدير وهو ينظر إليهم بغضب عارم وهو يقول لسارة: " انبطحي يا سارة واحتمي بالأطفال فهم لن يطلقوا عليهم أبدًا ".. ثم تقدم مالك نحوهم.

ظلَّت سارة تنظر إلى مالك وهو يتقدم إليهم.. لا يرتعش.. لا يرتجف.. لا تعلم لماذا يبدو وكأنه لا يخاف من شيء.. كانت معجبةً به حقًا.. تنظر إليه في ذهول، وترى نظرات أولئك الجنود والنبلاء واقعةً عليه تعتريهم الدهشة في كل لحظة تمر.. ترى مشهده وهو يتقدم نحوهم بهدوء وتزداد إعجابًا به

أكثر مع كل خطوة.

كان كثيرٌ من الجنود يشعرون بالخوف من ذلك الرجل وهو يتقدم إليهم لا يصدقون ذلك فمن المستحيل أن يتحرك شخص عادي إذا أصابه كل هذا.. إنه شيطان كما قد وُصف لهم.. إنه بالفعل شيطان لا يمكن أن يكون من بني البشر.. كان مالك يرى الخوف في وجوههم وكان يعجبه ذلك، " أشعر بضعف شديد والجوع يتملكني أنا بالكاد أستطيع الحركة... هؤلاء الحمقى لو اجتمعوا علي سينتهي أمري من الجيد أنهم يشعرون بالخوف مني ... يجب أن أحافظ على الأمر هكذا قليلاً بعد حتى أستطيع أن أصل... يجب أن أتحمل قليلًا وإلا سيقضى علي.. بقي القليل فقط " أخذ مالك يقترب منهم شيئًا فشيئًا وهم ينظرون إليه متجمدين في مكانهم.

- " ما بكم أيها الحمقى من المستحيل ألا تؤثر به كل هذه الطلقات!!!... إنه فقط يدعي الصلابة.. أطلقوا عليه مجددًا!!! " قال أحد الجنود...

ثار الجنود وأخذوا يطلقون على مالك مجددًا.. لكن مالك دفع بنفسه بعيدًا عنهم نحو تلك الطاولة التي كان يصبو إليها وقد أصابته بعض الطلقات.. استطاع مالك أن يلقي ذلك المصباح أرضًا وشب حريق في الأرض وصاح مالك قائلًا: " الآن!!!! "، فذهبت سارة مسرعة هي والأطفال مبتعدة عن هذا المكان فوجه الجنود بنادقهم نحو سارة.. لكن مالك أخرج من جيبه كيسًا يحتوي كميةً كبيرة من البارود وألقاها في النار فحدث انفجار كبير قذف بمالك بعيدًا وسبب له بعض الحروق.. فزع النبلاء لرؤية هذا الانفجار وهرعوا نحو المخرج في فزع وذعر.. أخذوا يتزاحمون على الخروج أولًا وكانوا يدفعون الجنود في حالة الهلع تلك.. حاول الجنود تنظيم الأمر

وتهدئتهم لكن لم يستمع لهم أحد في ذلك وسادت فوضى عارمة في المكان كله وانشغل الجنود عن مالك وهروبه بمحاولتهم في إخراج النبلاء سالمين من هذا الحريق.

قد همس مالك لسارة عندما كان يحتضنها بطريق يؤدي إلى باب خلفي يستطيعون من خلاله الخروج من القصر، وقد وجده مالك حينما كان يتفقد المكان فتوجهت إليه هي والأطفال بسرعة عندما صاح معطيًا إياها الإشارة، وحاول مالك أيضًا أن يتوجه هناك بأسرع ما يمكنه قبل أن يتمكن أولئك الجنود من اللحاق به.

بالرغم من أن مالك كان يحاول ما بوسعه ليصل إلى هناك إلا أنه كان بطيئًا نوعًا ما وكان يستند على الحائط لشدة الأذى الذي تعرض له.. كانت سارة ورنيم تنتظران مالك على أحر من الجمر ينتابهما قلق شديد خائفتين من ألا يعود إليهما وكاد الوقت يقتلهما فكل لحظة تمر وكأنها عذاب بالنسبة لهما...

رأيا مالك يرفع إليهما يده من بعيد وهو يبتسم إليهما فأسرعتا إليه باكيتين سعيدتين برؤيته.. محت ابتسامته تلك كل الخوف والقلق منهما وأعادت الاطمئنان إلى قلبيهما.. وأخذت سارة تعينه على المشي واستطاعوا جميعًا الخروج من القصر.

قام مالك باستئجار عربة أول ما خرج وطلب من السائق أن يذهب لمكان بالقرب من مقر الجنود وترك الأطفال هناك بعد أن طلب من أحد العامة أن يوصل الأطفال إليهم.. ثم طلب مالك من السائق أن يذهب به إلى مكان بيت سارة بعد أن أرشده إليه، وظلت رنيم تتكلم مع مالك طوال الطريق وهي تشعر بفرحةٍ شديدة لرؤيته وأخبرته أنها افتقدته كثيرًا وكم أنها

كانت حزينة لافتراقه عنها، أما سارة فقد ظلت تحاول إقناع مالك بالذهاب للطبيب حتى تطمئن على حالته لكن مالك كان رافضًا للأمر...

- " أمتأكد أنك لا تريد الذهاب إلى الطبيب فحالتك تبدو خطرة للغاية وأنا خائفة عليك كثيرًا " قالت سارة وقد بدا عليها قلق شديد.

= " كفاكِ قلقًا لقد أخبرتك أكثر من مرة أنني لا أحتاج لأي طبيب "

- " ولكني لن أهدأ حتى أتأكد من حالتك بنفسي "

= " ما رأيك أن تنتظري حتى صباح الغد ولنرى إن كنت سأموت أم لا؟!! "

- " لا تقل هذا أيها الأحمق!!.. يجب أن تقدر ما أشعر به ولو قليلًا وتتوقف عن التصرف كالأطفال أيها الغبي!!! "

= " كلا أنا لن أفعل ذلك أبدًا ولن تستطيعي تغيير رأيي "

- " أنت أحمق للغاية!!! " ردت وهي تصيح في وجهه

= " وأنت مزعجة للغاية!!! " رد مالك وهو يصيح بوجهها هو الآخر

ثم تكلمت رنيم مع سارة وأخذت تطمئنها بأنه سيكون بخير وحكت له عن إصابات خطيرة قد تعرض لها واستطاع النجاة منها بدون طبيب وأكد مالك على كلامها فهدأ روعها قليلًا وسرحت سارة مع رنيم وأخذتا تتحدثان معًا طوال الطريق...

وصلوا جميعا إلى بيت سارة وحزم مالك أمتعته كذلك قد طلب من سارة فعل ذلك أيضًا فهي لم يعد بإمكانها البقاء في هذه المدينة بعد الآن، وعندما

انتهيا خرج مالك واشترى عربة بحصانها من مكانٍ قريب قد عرفه مالك عندما كان يتجول في المدينة مع سارة، وقد لاحظ مالكً أن الفوضى بدأت تنتشر في المدينة بحثًا عنه فأسرع مالك بعربته ليخرج من المدينة وهو يخبئ وجهه حرصًا على ألا يكتشفه أحد ثم سألته سارة قائلة:

- " إلى أين سنذهب الآن؟ "

= " إلى (فتار) " رد مالك

- " لكن هذه هي قريتي!! "

= " أعلم ذلك سنذهب.. إلى هناك شئت أم أبيت "

- " لكني لا أستطيع الذهاب إلى هناك.. لست مستعدة الآن.. فأنا أخشى من ألا يرغبا في رؤيتي مجددًا " ردت سارة وقد بدت حزينةً جدًا.

= " لا تقولي مثل هذا الكلام بالطبع هما يريدان رؤيتك بشدة... وأيضًا هما الشخصان الوحيدان اللذان أستطيع ان أتركك عندهما وأنا مطمئن... عليكِ فقط أن تسمعي كلامي دون جدال "

تذكرت سارة في هذه اللحظة كلمات إحدى السيدات التي تحدثت معهن في الحفلة " يبدو أنه يحبك ويهتم بأمرك كثيرًا أستطيع أن أرى ذلك من نظراته إليك " فأخذت تبتسم واحمر وجهها وهي تفكر بالأمر، وأكمل مالك قائلا: " لما توقفتي عن الكلام الآن هل هناك أمر ما؟ "

- " كـ... كـ... كلا.. ليس هناك شيء بتاتا!! " ردت وهي خجلة ومتوترة للغاية

= " حسنًا كما تريدين " رد مالك وقد كان مستغربًا وتساءل لما قد بدت سارة متوترة بهذا الشكل.

ظلُّوا يبتعدون عن المدينة طوال الليل وسارة ورنيم غطتا في النوم ومالك ما زال يقود العربة حتى طلع الصباح ووصلوا القرية قريبة اسمها (راليت)... قرر مالك أن يرتاحوا فيها فاستأجر مالك غرفتين، ونام مالك حتى أيقظته رنيم قبل العصر بقليل تشتكي أنها جائعة فقام مالك وصلى الظهر وقد لاحظ أنه لم يتعافَ تمامًا لكن كانت حركته الآن أقل إيلامًا عن ذي قبل، وتفاجئت سارة من تعافيه بهذه السرعة فارتاحت لرؤية مالك على ما يرام.

ذهب مالك ومعه سارة ورنيم لشراء الطعام وقد كانوا جائعين حقًا وبالأخص مالك الذي قد أكل الكثير، واشترى كميةً كبيرة من الطعام لتكون لهم مؤونة في رحلتهم... أراد مالك أن يشتري لنفسه بعض الملابس بدل التي لديه والتي أتلفت تمامًا واضطر أن يشتري كذلك لرنيم وسارة بعض الملابس أيضًا فأعطاهم بعض المال وافترقوا كل في طريقه واتفقوا على أن يتقابلوا عند النزل.. انتهى مالك من شراء ملابسه بسرعة وعاد قبلهما إلى النزل وظلَّ ينتظر عودة سارة ورنيم لساعات حتى بدأ يقلق عليهما " لا أعلم لما استغرقتا في شراء الملابس؟!! هذا أمر يثير الحنق فعلًا... لقد دخلت اشتريت أول ما وقعت عليه عيني وأعجبني ثم خرجت وعدت وانتهى الأمر... هل الأمر حقًا يستحق كل هذا الوقت؟!! "

عزم مالك على البحث عنهما وعندما شرع بذلك من النزل وجدهما آتيتين من بعيد وقد بدتا مستمتعتين للغاية أما مالك فقد كان مغتاظًا كثيرًا وفور أن لمحته رنيم جرت نحوه وعندما اقتربت ورأت وجهه قالت:

- " ما الأمر؟!!.. لما يبدو وجهك هكذا؟! "

= " لا شيء لقد كنت أفكر فقط في أنه سيكون من الأفضل لي أن أترككما وأذهب " رد مالك وقد ازداد غيظًا.

- " لكنك لن تقدر أبدًا على ذلك فأنا أعرفك يا عم مالك.. أنت فقط مجرد مدعي "

= " أتودين أن تجربي ذلك أيتها الصغيرة؟! "

- " نعم أود رؤيتك تحاول "

= " حسنًا سأريك أيتها الحذقة!! "...

وظلَّ مالك ورنيم يتجادلان كعادتهما وأخذت سارة تحاول تهدئتهما وهي تبتسم وكأنها مستمتعة بما يحدث معهما ثم عادوا إلى النزل معًا وباتوا تلك الليلة فيه ليقوموا بالرحيل غدًا.

انطلق مالك وسارة ورنيم صباحًا بالعربة بعد أن استعدوا جميعًا وقد تعافى مالك من معظم جروحه، ومرت عليهم عدة أيام وصلوا بعدها إلى قرية فتار لاحظ فيها مالك تلك الأعراض التي تنتاب سارة عندما تتوقف عن تعاطي تلك المادة من اكتئاب وقلق وتعب وتلك القشعريرة والألم الذي كانت تشعر به كذلك رغباتها الانتحارية تلك، فكان يتوجب عليه ورنيم أن يعتنيا بها في هذه المدة.. كذلك بدأ مالك يلاحظ أن سارة أصحبت خجلةً ومتوترة قليلًا في التعامل معه وكان يحمر وجهها كثيرًا.. لكنه ظن أن هذا من أعراض تركها لتلك المادة.

بدأ مالك يحاول أن يفهم طباع جسده واكتشف أن جسده لا يتعافى إلا

عندما يكون نائمًا فإذا ظلَّ مستيقظًا يظلّ ألم جسده وجروحه كما هو، وعندما ينام يدخل جسده في حالة التعافي تلك.. لذلك عندما ينتابه ألم شديد لا يتحمله عقله يُغمى عليه ويفقد وعيه من تلقاء نفسه فيجبره جسده على الدخول في حالة التعافي حتى يستطيع تحمل مزيدًا من الألم عندما يفيق.

وصل مالك لتلك القرية في الصباح وأخذ يسأل عن مكان والدي سارة ودله الناس على مكان بيتهما.. قد بدت سارة قلقةً كثيرًا فقد تغيرت القرية كثيرًا وكانت تخشى من رد فعل والديها عندما يرونها ولا تتوقف عن التفكير في ذلك.. ظلَّ مالك يقود العربة حتى توقف مالك بالقرب من بيت والديها وأشار مالك لسارة فنزلت وذهبت إلى البيت وأخذت تدق الباب.

- " حاضر أنا آتية حالًا أخبرني من أنت؟ " قالت أم سارة

= " إنها أنا يا أمي " ردت سارة

سمعت سارة خطوات أمها وهي تهرول نحو الباب حالما تحدثت وقامت أمها بفتح الباب بسرعة وتسمرت مكانها عندما رأت وجه ابنتها وعيناها لا تتوقفان عن ذرف الدموع.. احتضنتها أمها بقوة وهي تنادي على زوجها: " أسرع يا عمار لن تصدق ذلك لقد عادت ابنتك أخيرًا لقد عادت "

لم يصدق والدها الذي انتشر الشيب في رأسه ما سمعه.. قام وتقدم ببطء نحو الباب فلمح ابنته تنظر إليه وأخذ يبكي وهو يمشي نحوها مادًا يديه إليها وهو يقول " لقد عدت حقًا يا ابنتي... أنا لا أصدق عيني لقد تركتني ويتقطع قلبي من الندم وها أنت أمامي الآن... أشعر أن آلامي كلها قد اختفت بمجرد النظر إليكي... ربااااه لقد كبرتِ كثيرًا ".. اقترب والدها منها ووضع يديه على خديها وهو ينظر إليها بعطفٍ وحنان وعيناه لا تتوقفان

عن البكاء وابنته تبكي وتشهق أمامه ثم احتضن ابنته وقال: " أنا آسف يا ابنتي لقد ظلمتك سامحي والدك العجوز على ما قد فعل لقد كنت أحمقًا... أرجوك لا تفعلي شيئًا كهذا مجددًا فأنا لا أستطيع تحمل وجع القلب هذا مرة أخرى "

لم تستطع سارة أن تنطق بكلمة فقط ظلت تبكي ويعلو صوتها بالبكاء وهي متمسكة بوالدها مغرقةً ملابسه بدموعها.. أخذت والدتها تحثها على الدخول لتناول طعام الإفطار وكذلك والدها الذي أخذ يمسح دموعها ويخفف عنها وحينما عبرت باب بيتها سمعت صوت عربة مالك وهي تتحرك...

أخذت سارة تجري وراء عربة مالك تحاول اللحاق به وهي تنادي باسمه تطلب منه أن ينتظرها فسمعها مالك وتوقف ثم نزل من العربة واقتربت سارة منه وقالت وهي تبكي:

- " أرجوك لا تذهب!!.. لا تتركني!!! "

= " آسف يا سارة ولكن عليَّ الذهاب "

- " ولكني خائفة كثيرًا وأخشى عليك الموت في طريقك الذي تود أن تسلكه.. لما لا تبقى فقط معي؟!!! "

= " أنا لن أموت بهذه السهولة وأنت تعرفين ذلك جيدًا وأيضًا أنت لا يجدر بك قول مثل هذا الكلام أنت تصعبين عليَّ الأمر فقط.. لكنني سأذهب على أي حال " والتفت مالك ليصعد العربة فأمسكت سارة بطرف ثيابه وقالت وهي تبكي بحزن...

- " عدني... عدني بأنك ستعود إلي يومًا ما وأنك لن تموت... فأنا لن أقوى على العيش إذا حدث هذا "

= " حسنًا... لا تقلقي أنا أعدك بذلك... فأنا لا أريد الموت بعد أن رأيتك " رد عليها مالك وهو ينظر إلى عينيها الحزينتين وقد أبكتها كلماته كثيرًا فقد كان شعورها هو ذات شعوره.. لم تعد ترغب بالموت بعد الآن.. شعرت وكأن قلبها الذابل قد تفتح مجددًا.. فقد وجدت سببًا أو بالأحرى شخصًا يجعلها تشعر أنه لا بأس من الحياة لأجله.. أخيرًا قد أصبحت لديها رغبةٌ بالحياة.. لكن مالك سيغادر وهي لا تريد أن تخسره لا تريد أن تعود لأحزانها وآلامها مرةً أخرى.. تخشى ذلك بشدة.. زاد بكاؤها وهو يصعد العربة وانطلق بها مبتعدًا عنها رافعًا لها يده دون أن يلتفت للوراء مودعًا إياها وكذلك رنيم تلوح يدها إليها تصيح بأنها تتمنى رؤيتها مجددًا عما قريب، وسارة تنظر إليهما بعينين تفيضان بدموعها وقد رأت والدتها ما حدث.. فقد قلقت عندما تأخرت سارة في دخول البيت فخرجت لتفقدها بينما كان والدها يعد لها غرفتها فاقتربت منها والدتها وبكت سارة على صدرها وأمها تنظر إليها وقالت:" هذا هو الشخص الذي أعادك إذًا... يبدو أنه شاب جيد أريد منك أن تحكي لي عنه يومًا ما... هيا توقفي عن البكاء لقد وعدك بأنه سيعود أليس كذلك؟! "، ورفعت أمها رأسها وأخذت تمسح دموع ابنتها وهي تبتسم لها ثم قالت: " أريني ابتسامتك يا ابنتي فأنا لم أرها من زمن " فاحمر وجه سارة وابتسمت لأمها وعادتا معًا إلى البيت.

ظلَّ مالك يفكر في سارة لفترة منذ أن فارقها وشعر بالحزن لذلك لكن سرعان ما عادت الأمور بعدما حدثته رنيم قليلًا وتشاجرا كعادتهما، وفي

الطريق أخذ مالك يحاول الزيادة من قوته وقدرته على تحمل الألم بإيذاء نفسه مجددًا... مضى يومان على انطلاقهما من قرية سارة ووصلا إلى قرية (إيزان) فارتاح بها مالك ورنيم لليلة وسأل فيها عن أقرب طريق لأرناس وهل وصل لاجئو ماعن إلى هناك أم لا؟.

الفصل الثاني عشر: لقد جننت بالفعل!!

سأل مالك العديد من الناس وعلم منهم أن كثيرًا من لاجئي ماعن قد وصلوا لأرناس بالفعل لكن قد جرى ترحيلهم منها إلى مدينة (هانيس) والتي لا تبعد كثيرًا عن هذه القرية ففرحت رنيم لأنها قد اقتربت أخيرًا من والديها وستستطيع رؤيتهما بعد كل هذه المدة.

اتجه مالك إلى مدينة هانيس ورنيم متشوقة للغاية وهي تعد الأيام وتظل تسأل مالك دائمًا عن إذًا كانا قد وصلا بعد.. تنتظر على أحر من الجمر مقابلة والديها.

مرت بضعة أيام قليلة ووصلا إلى هانيس وأخذ مالك يسأل الناس عن اللاجئين اللذين أتوا من ماعن لكنهم كلهم أبوا الرد عليه وتكتموا على الأمر وأخذوا ينظرون لمالك بريبة وقلق.. استغرب مالك لتكرار هذا مع كل من تحدث معه كذلك قد لاحظ كثيرًا من الناس يتهامسون وهم ينظرون إليه عندما يمر بجوارهم فشعر بأن هناك أمر غريبٌ في هذه المدينة.

بينما مالك ورنيم يتنقلان في شوارع هذه المدينة بالعربة بعد أن اقترب مساء هذا اليوم رأيا عجوزًا بدت في الستينات من العمر تتعرض لضربٍ شديدٍ من إحدى السيدات حتى أسقطتها أرضًا في بركة من الوحل وهيٍ تصيح بوجهها في غضب:

- "كم مرةً علي أن أعيد لك ما يجب عليك فعله أيتها العجوز الحمقاء؟!!..

لقد سئمت منك ومن غبائك!! "

= " سامحيني يا سيدتي أعدك ألا يتكرر ذلك الأمر مجددًا "

- " كفاكِ كلامًا سخيفًا سوف أتكلم مع والدي كي تنالي العقاب الذي تستحقين "

غادرت تلك السيدة وتركت العجوز ملقاةً على الأرض وثيابها ملطخةٌ بالقذارة فذهب إليها مالك وأعانها على النهوض وشكرت مالك على مساعدته لها، وحينما رأت وجهه جيدًا سكتت وأخذت تتفحصه وتدقق النظر فيه فتعجب مالك من نظرات تلك العجوز إليه وقال مالك:

- " هل هناك أمر ما أيتها السيدة؟!.. ما بك؟!! "

= " اعذرني يا بني أنت فقط ذكرتني بشخص عزيزٍ علي لم أره منذ زمن "

- " حقًا!! ومن هو هذا الشخص؟! "

= " لقد كان عمي وكان يدعى طارق بن هشام.. كنت ألعب معه كثيرًا في صغري عندما كنت في قرية دوران "

ما الذي تقوله تلك العجوز؟!!.. أكان ما سمعه مالك صحيحا؟!!.. هذا مستحيل هذا جنون!!!، فأمسك مالك كتفي تلك العجوز وهو ينظر إليها بدهشة وكان مصدومًا مما قالته فرد عليها:

- " ما اسمك؟!! هيا بسرعة أخبريني ما اسمك؟!! "

= " أنا اسمي صفا... صفا بنت رامي..... " ردت العجوز وقد انتابها قلقٌ شديد وانعقد لسانها بعدما رأت مالك ينظر إليها بعينين جاحظتين تفيضان

بالدموع وقاطعها قائلًا:

- " صفا بنت رامي الغاري "

= " نعم هذا هو اسمي كيف عرفت أيها الشاب؟!! " ردت تلك العجوز بدهشة كبيرة

- " لأنني هو طارق... أنا طارق بن هشام القاصي أخو والدك رامي يا ابنة جنة... لقد مرَّ زمن طويل.. لم أتوقع أن أراك هنا أبدًا " رد مالك وهو ينظر لتلك العجوز بوجهها المليئ بالتجاعيد متذكرًا وجه تلك الطفلة الصغيرة التي كانت تحب أن تلعب معه دائمًا، وقد بعث ذلك في قلبه حزنًا شديد وأراد قلبه الصراخ من شدة الحسرة والحزن.. حاول أن يتحامل على نفسه لكن دموعه تساقطت بشدة وهو ينظر إليها...

= " كفاكَ عبثا معي أيها الشاب كيف تعرف كل هذا عني؟!!! "

- " لأنني أنا عمك طارق أيتها الحمقاء... أنا النجار الذي كنت تحبين العبث معه وكنا دائمًا نتناول طعام الغداء معًا وكنت تحبين سماع القصص مني... أتذكرين قصة الجبل؟ أتذكرين قصة السارق التي كنت تحبين سماعها؟... أنا هو العم طارق!!.. أنا هو يا صغيرتي صفية!!! " شعرت تلك العجوز بصدمةٍ كبيرة لقد كان يعلم العديد من الأشياء عنها بالرغم من أنها لم تذكر ماضيها لأي أحدٍ من قبل، وقد كان يشبهه تمامًا وناداها بـ(صغيرتي صفية) كما كان يفعل دائمًا.. إذا لا بد أنه هو.. لكن هذا يبدو حلمًا مستحيلا.. فكيف؟!!.. كيف؟!!!.. أمن حقها أن تصدق هذا؟!!.. ماذا لو كان وهمًا فقط؟!!!.. لكن لا ضير في هذا أليس كذلك؟!!.. لا ضير في البكاء ومحاولة تصديق هذا الوهم فقد عانت كثيرًا فلما لا تفرح بذلك الوهم

ولو قليلاً؟!!!.. أخذت تبكي هي أيضًا تبكي بحرقة شديدة وهي تحتضنه وقالت:

= " إذا أنت هو حقا!!! "

- " نعم أنا هو العم طارق يا صغيرتي صفية "

= " لقد مرَّ زمن طويل حقًا... لم أنسَ أبدًا ما حدث في ذلك اليوم يا عم طارق... منذ ذلك اليوم وأنا كنت أحاول أن أكرهك لكنني لم أستطع أبدًا فلقد كنت أحبك كثيرًا كنت أحبك حقًا... لقد عانيت كثيرًا يا عم طارق حتى أني قد سئمت العيش... لم أتوقع أبدًا بأن أراك حيًا في يوم من الأيام.... أنا... أنا... أنا..... " ردت عليه وبكاؤها يتزايد شيئًا فشيئًا وأخذت تشهق ولم تستطع أن تكمل كلامها.. أخذت تصرخ وهي تتأوه من شدة آلام قلبها وكل تلك السنين التي قد عانت فيها...

ظلت تبكي على صدره وهو يربت على رأسها وقال لها " لا بأس يا صغيرتي فأنا معك الآن... ستظلين في نظري تلك الصغيرة التي كانت تلهو وتعبث حولي مهما تغيرت يا صفية... لقد انتهت معاناتك الآن "

أسند مالك صفا وأركبها العربة وطلب منها أن ترشده إلى بيتها وأخذ مالك يتحدث معها كثيرًا ويمازحها ويحاول إضحاكها وقد بدت فرحةً للغاية.. أما مالك فكان سعيدًا ومتألمًا في نفس الوقت سعيدًا بلقاء صفا ابنة أخيه التي افتقدها ولم يرها منذ زمن طويل ومتألمًا لرؤية تلك الفتاة الصغيرة بعد أن أذبلها العمر بهذا الشكل ولتلك المعاناة البادية عليها... كان مالك يحاول أن يتحدث في أمورٌ مختلفة بعيدةٍ عن الماضي كي لا يثير عليها أوجاعها وبينما هما يتحدثان قد استغرب مالك من أمر ما عندما كان يرى الجنود الذين

يمشون في شوارع المدينة فسأل مالك صفا:

- " في كل المدن والقرى التي ذهبت إليها قد لا حظت أمرًا ما يا صفية... كل الجنود يرتدون نفس الزي مع أن تلك المدن لا تنتمي لنفس الدولة... لماذا إذًا؟!!! "

= " يبدو أن تلك المدن التي زرتها يا عم طارق تابعة لأبناء الإله... فقد أنشأ أبناء الإله مجموعةً لتقوم بتنظيم العالم تحت اسمهم وأطلقوا عليها اسم حلف السماء وأولئك الجنود هم أدنى رتبةٍ لديهم يترأسهم نواب القادة الموزعون حول العالم... يُطلق على أدنى نواب القادة في القوة (تاشين) ويليها (دايشين) وأعلى رتبة بينهم هي (سانشين).. أما القادة فهم أربعة فقط ويُقال أن قوتهم كبيرة جدًا فقد تضاهي قوة وكلاء الحرب وربما تتخطى قوة بعضهم ويطلق عليهم (رايدان)... وصاحب السلطة والقوة الكبرى في هذه المنظمة هو القائد الأعلى ويسمى (سان - رايدان)... هناك رتب أخرى لكن هذه هي المعروفة في العالم هذا فقط ما تحتاج معرفته... وحلف السماء هو المكلف بالقبض على المجرمين وحفظ الأمان في العالم لكنهم لا يستطيعون فعل شيء لجرائم وكلاء الحرب طالما أنها لا تتعارض مع أبناء الإله "

فهم مالك ما قالته له العجوز صفا يبدو بتنظيم عادي لأي دولة عادية مع اختلاف الأسماء فقط إذًا فالعالم كله حقًا تحت سلطة أبناء الإله والدول التي لا ترغب بذلك يجب أن تدفع مقابل الحماية.. هكذا هو الأمر إذًا.. لقد تغير العالم حقًا... وصلوا جميعًا لبيت العجوز صفا بعد أن انتهت من الكلام وقد كان مالك مرهقًا للغاية.. أرشدته صفا لغرفته ليرتاح فيها بعد أن عرضت عليهما المكوث في بيتها، وأغلق مالك على نفس الباب وشرع بالنوم.

بقت رنيم مع صفا لكن رنيم لم تستطع النوم وأخذت تلح على صفا لتخبرها ما حدث بينها وبين مالك ولماذا يناديها بالصغيرة فأخذت صفا تحكي عليها تلك القصة.

***

في أحد الليالي عندما كان مالك عائدًا من ورشته أو بالأحرى طارق في ذلك الحين وجد رجلًا مشردًا ممزق الملابس في حالةٍ يرثى لها يحمل شيئًا كبيرًا على ظهره ويجري هاربًا من أحدٍ ما فأمسك طارقٌ ذلك الرجل واستطاع احتجازه عنده في بيته وقيده وقام طارق باستجوابه فأبى ذلك الرجل أن يرد على طارق فصاح طارق في وجهه قائلًا:

- " أخبرني لماذا قمت بالسرقة يا هذا؟!! "

= " لأنني لص أيها الأحمق هذا هو ما أفعله ألا يمكنك استيعاب ذلك؟!! " رد الرجل وهو يصيح أيضًا

- " ألم تجد أنت شيئًا غير هذا لتقتات منه أيها الغبي؟!!! "

= " لقد سئمت منك ومن كثرة أسئلتك أيها الوغد... أنتم السبب أنتم من جعلني هكذا أيها الحمقى... أخبرني ما الذي تريد من طفل يتيم قد نبذه العالم وتعرض للذل والاضطهاد أن يصبح عندما يكبر... طبيبا؟!!!... أنتم من جعلتموني مجرمًا أيها الأوغاد!!!! " رد ذلك الرجل وهو يصيح في وجهه بشدة، وقد سمع طارق كلامه وشعر بأن ذلك الرجل يشبهه كثيرًا وأنه كان من الممكن أن يكون حاله مثل حاله وربما أسوأ لكنه فقط كان أكثر حظًا منه قليلًا وقد أشفق عليه نوعًا ما.. ثم سمع طارق صوت طرقٍ شديد على

الباب...

فتح الباب ووجد أهل القرية مجتمعين حول بيته وهم يحملون المشاعل والأسلحة وقالوا له بعد أن فتح الباب:

- " أرأيت رجلًا يا طارق يجري وهو يحمل حقيبة كبيرة على ظهره؟.. أرجوك أخبرنا " سأله أهل القرية وقد بدا عليهم الحنق وعلم أنهم يقصدون الرجل الذي قبض عليه.

= " كلا لم أرَ رجلا كهذا.. هل هناك خطب ما؟! "

- " لقد قام بسرقة الحقيبة التي بها أموال التاجر سليم وسيجن إذا لم ترجع له "

= " هذا أمر مؤسف للغاية اعذروني فأنا لا أستطيع مساعدتكم الآن "

- " لا عليك فقط أعلمنا في حال رأيت ذلك الرجل "

= " حسنًا سأفعل ذلك "

أغلق طارق الباب وتوجه إلى المطبخ وقد سمع ذلك الرجل حديثهم وأخذ يسأل طارق قائلًا:

- " لماذا قد فعلت هذا أيها الوغد؟!! لماذا لم تسلمني لهم؟!!! " لم يرد عليه طارق وجلب له بعض الطعام ووضعه أمامه.

= " تناول هذا الطعام أيها الوغد يبدو أنك جائع "

- " لا تمازحني أيها الحقير أعلم ما تريد فعله لقد سممت هذا الطعام لتقتلني وتحتفظ بالمال لنفسك أليس كذلك؟!!... هذا هو السبب الوحيد

الذي قد يجعلك تفعل هذا!!!! " صاح بوجه طارق

= " ألن تتناول طعامك إذا؟ "

– " قلت لك كفاك سخفًا!!... أخبرني أيها المغفل ما الدافع الذي قد يجعل شخصًا مثلك يعطف علي ويقدم لي الطعام؟!!! "

= " حسنًا هذا جيد.. لقد وفرت بعض الطعام لي بردك هذا.. تسألني لما قد أساعدك أيها الوغد؟!!!.. لا شيء محدد.. أنا فقط أفعل ما أريد!!! " رد طارق بصوت غليظ في نهاية كلامه

– "هذا ليس مبررا أيها الأحمق!!! فكل من أعرفهم دائما ما هجموا علي كالوحوش!!! "

= " حسنًا أعتقد أنني مختلف عمن تعرفهم أيها الأبله!!! "

– " ما بالك أيها المعتوه؟!!... ما الذي يدفعني لأصدقك وهل تريد أن تخبرني بأنك قد عانيت مثلي أيها الوغد؟!!! "

= " لا أهتم إن صدقتني أم لا أيها الأحمق فأنت من يقرر ذلك " ثم أخذ طارق رغيف خبز وتناول بعض الطعام أمامه وأكمل قائلًا " وأيضًا لا يمكنني أن أقول أنني عانيت مثلك فأنا لا أعلم ما مررت به تمامًا ولا أريد أن أعلم... لكن ألم تعلمك قسوة الحياة أيها الوغد أن تستغل الفرصة التي أمامك جيدًا؟!!.. هيا أسرع وإلا أكلت الطعام كله وحدي!!! "

نظر ذلك الرجل لطارق في ذهول بعد أن بين له أن الطعام جيد بتناوله منه بنفسه.. رأى ذلك الرجل تلك النظرات في عينيه التي منها تعلم أن ذلك الرجل قد ذاق الأمرين في حياته تلك النظرات الخاوية من الحياة.. أيضًا لقد

كان جائعًا حقًا فاعتقد أنه لا ضير من المحاولة فقد انتهى أمره بالفعل بعد أن قبض عليه فليس بمقدوره شيء الآن وقال وهو ينظر لطارق: - " إذا اتركـ لي البعض وحل وثاقي أولًا يا رجل فكيف سآكل هكذا؟!! "

حلَّ طارق وثاق إحدى يديه وأخبره ذلك الرجل بأن اسمه (رامي الغاري) وهما يتناولان الطعام وقال له طارق: " بدءًا من الغد ستعمل معي " واتفق طارق معه على ما سيقوما بفعله وإلا سيسلمه إلى أهل القرية ليفعلوا به ما يشاء.

قام طارق بإعادة تلك الحقيبة إلى التاجر سليم واشترط على أهل القرية أن يُبقوا رامي في عهدته ووعدهم بأنه سيراقبه جيدًا ولن يسبب لهم أي سوء.. قد كان أهل القرية معترضين على ذلك في البداية، ولكن طارق أخذ يلح عليهم فوافقوا لأنهم يثقون به وأخبروه بأنهم لن يترددوا في التخلص من رامي إن صدر أي شيء سيء منه فأخبرهم طارق بأن يطمئنوا.

منذ ذلك اليوم بدأ طارق ورامي بالعمل معًا وقد كانت البداية متعبةً حقًا لرامي وطارق فكانا دائمًا ما يتجادلان مع بعضهما ولم يكن رامي راضيًا بما آلت إليه الأمور فقد أراد فقط أن يهرب ومعه المال.. لكن بعد بضعة أسابيع شعر براحةٍ كبيرة في هذا المكان وألفه وبدأ يفكر في أنه لا يمانع حياة هادئة مثل هذه وقد عدل عن فكرة سرقة المال مجددًا والهروب.. سرعان ما اعتاد على العمل مع طارق وبدءا يتفاهمان وأحب كلاهما الآخر، ولكن أهل القرية كانوا يحتقرون رامي كثيرًا وكان طارق دائمًا يحاول تحسين صورته أمامهم، ومع مرور الوقت أخذ الناس يثقون به ويحبونه.. قد أعجب أهل القرية بهذين الشابين طارق ورامي اللذين دائمًا ما يكونان معًا كثير الضحك

والمزاح وأحبوا مجالستها وقضاء الوقت معها.

كان رامي يحمد الله على الدفء الذي رزقه الله به ووجده في تلك القرية مع طارق فلم يعامله أحد هكذا من قبل.. كان دائمًا ما يتعرض للضرب والإهانة والاضطهاد من قبل الناس وكان كثيرًا ما كان يلاحقه الجنود ويؤذونه.. علم فسادهم وأنهم ربما يكونون أسوأ من المجرمين نفسهم فلم يسبق له أن شعر بهذا الدفء من قبل وهذا ما جعله مميزًا بالنسبة له.

أحب رامي إحدى فتيات القرية وكان اسمها (جنة) وحكى عنها لطارق طويلًا.. أخبره بأنه يريد أن يتزوجها وأنه يحبها كثيرًا لكنه كان محرجًا من الذهاب لخطبتها وكان خائفًا من أن يتم رفضه، وكان طارق يهون عليه ويحاول أن يطمئنه وأخذ يشجعه على أن يتقدم إليها.

عزم رامي في أحد الأيام بأن يتقدم إليها بعد طول تفكير وذهب لوالدها وطلب منه يدها لكنه رفض وقال: " من المستحيل أيها الوغد أن أزوج ابنتي لك.. ربما قد أحبك بعض أهل القرية ولكني أعلم أن اللص يبقى لصًا ولا يمكن تغيير ذلك "، فشعر رامي بالغيظ الشديد من والدها وقد كان يريد بشدة أن يرد عليه ليخرسه لكنه تمالك نفسه ولم يقم بذلك أمام ابنته والتي كانت تنظر إليه وهي تقف عند باب غرفتها وقد بدت حزينة للغاية.

عاد رامي وقد بدا حزينًا وحانقًا بشدة من ذلك الرجل وما قاله ورفض إخبار طارق بما حدث معه وظلَّ حزينًا هكذا لعدة أيام يذمُّ حظه، ثم قام أخيرًا في أحد الأيام بإخبار طارق بما حدث معه بعد أن ألح عليه كثيرًا وقال له طارق:

- " الفتاة التي تحبها هي جنة ابنة عبد الملك أليس كذلك؟ "

= " نعم إنها هي لقد أخبرتك بذلك من قبل يا طارق "

– " لا تحزن يا رامي فهناك شيء أعرفه عن والدها... أعلم أنه بحاجة ماسة للمال في هذه الأيام وربما قد يوافق لو عرضت عليه مبلغًا كبيرًا لمهرها.. لا تقلق "

= " ولكن كيف سنتدبر أمر ذلك المهر؟ "

– " لا تقلق فقد عرض علي عمل كبير في هذا اليوم وسيمكننا من توفير ما تحتاجه ولا أمانع إعطاءك حصتي فلا أريد أن أراك هكذا مجددًا "

فرح رامي كثيرًا بما سمعه من طارق وذهبا معا لبيت (عبد الملك) مجددًا وحاول طارق إقناعه كثيرًا وبعد عناء استطاع طارق أن يجعله يميل إليه فوافق والد جنة على خطبة ابنته لرامي إكرامًا لطارق الذي يحترمه ويثق بأنه سيقوم بما وعده، وقام طارق بدفع جزء من المهر كما اتفقا وأخبره والدها أنه حالما يدفع رامي له بقية المهر كاملًا سيتحدد ميعاد الزواج فسعد رامي لذلك وابتسمت جنة بخجل وهي تقف خلف باب غرفتها لكنه كان قلقًا من ذلك المهر فقد كان غاليًا بحق وكان خائفًا من ألا يستطيعا تدبيره.

تمت خطبة رامي لجنة وتعرفا على بعضهما في تلك الفترة وقد أحبته كثيرًا وهو قد زاد حبه لها وأخذ طارق ورامي يعملان بجد ويرجعان منهكين آخر النهار دائمًا.. مضت عليهما ثلاثة أشهر على هذا الحال، وبدأ والد جنة ينزعج من رامي لتأخره عن ميعاد دفع بقية المهر كما وعده وحذره بأن أمامه أسبوعًا واحدًا فقط وإلا سيغير رأيه وسيلغي الاتفاق فأخذ رامي يلح عليه بأن يزيد المهلة قليلًا لكنه رفض ذلك.

كان رامي لا ينام الليل وظلَّ يعمل بجد لا يهتم لنفسه ولا لصحته فقط أمامه شيء واحد يريده وسيفعل أي شيء مقابل تحقيقه، وكان طارق يشفق عليه ويطلب منه أن يرتاح قليلاً ولكنه كان رافضًا للأمر.

بقي يومان فقط على مهلته وقد استطاع رامي وطارق الانتهاء من عملهما وبقي فقط تسليمه وسيكون معه المال الذي يحتاج.. قام رامي بإخبار جنة بذلك ففرحت كثيرًا ثم انطلق رامي للمدينة المجاورة بالعربة وأخبرها أنه سيعود صباح الغد، وعندما وصل تم الأمر بسلاسة واستطاع رامي أن يوفر ما يحتاج وكل ما بقي عليه هو العودة.

قام بعض قطاع الطرق باعتراض طريق رامي وشرعوا بضربه بشدة فسالت منه كثيرٌ من الدماء ثم قاموا بسرقة العربة بكل ما فيها وهو يصرخ عليهم حانقًا بينما هم يهربون بالعربة.. يرى فرصته الوحيدة تختفي أمام عينه فأخذ يسب ويلعن قدره وهو يشعر بغضب وحزن شديد كذلك ظلَّ يسب نفسه لعجزه عن فعل شيء.. كان يستحي رامي أن يعود لطارق ويخجل من إخباره بما حدث بعد كل الجهد والتعب الذي قد عانا منه فلم يستطع رامي الحركة من مكانه في ذلك اليوم وبات تلك الليلة في العراء.

نهض رامي في صباح الغد وقرر أن يكمل طريق العودة مشيًا وهو يشعر بحزن شديد وظل يمشي حتى العصر وفجأة قد رأى أمامه عربة فخمة وكأنها عربة أحد النبلاء وقد كانت مقلوبة وسقط منها كمٌ كبير من الذهب فسولت له نفسه أن يأخذه.. " لا بأس بذلك فقد سرقت الكثيرين من قبل.... لكني قد وعدت طارق ألا أسرق مجددًا... كلا لقد تعبت واجتهدت كثيرًا ولا أستحق ما حدث لي سأخسرها إن لم أفعلها... هذه هي فرصتي الوحيدة

يجب أن أفعل ذلك وآخذ هذا الذهب... أنا آسف يا طارق ولكني أحبها كثيرًا "

ذهبت جنة إلى طارق وهي تبكي وبدت قلقة كثيرًا وأخذت تشتكي لطارق وتقول:

– " أنا قلقةٌ حقًا يا طارق لقد مضى يومان منذ الميعاد الذي يجب أن يصل فيه ولم يعد حتى الآن.. واليوم آخر يوم لدفع المهر وقد عزم أبي على فسخ الخطوبة وألا يزوجني له أبدًا إن لم يعد... لأنه يظنُّ أن رامي ما زال لصًا ولم يتغير وأنه قد سرق المال وهرب به ولن يعود..أنا خائفةٌ حقًا ولا أريد أن أتزوج أحدًا غيره "

= " لا تقلقي أنا أيضا قلقٌ كثيرًا وخائف عليه لكني واثق بأنه سيعود... فقط امسحي دموعك وادعي الله وستحل الأمور "

أخذ رامي يبكي بحرقة أمام تلك العربة لا يعرف ماذا يفعل ويده ترتعش يرغب بشدة أن يأخذ ذلك الذهب لكن ضميره كان يؤنبه وكان ذلك يوجعه كثيرًا.. شعر بحيرة كبيرة وتلك المشاعر المختلطة المتضاربة لا تتوقف وتزيده حرقة... بعد كل هذا عزم ألا يفعلها.. عزم ألا يفعل ذلك وأخرج النبيل ومن معه من العربة وتركهم بجانبها وأكمل مسيره وهو يعلم أنه قد خسرها... كان مجرد تخيل لقائها خائبًا هكذا يؤلمه للغاية وكان حزينًا جدًا.. عاد مشيًا بعد أربعة أيام ودخل البيت فرحب به طارق وفرح برؤيته لكن رامي استقبل فرحة طارق تلك بفتور وحزنه كان باديًا عليه وأخذ يعتذر لطارق وهو يبكي يطلب منه مسامحته:

– " أنا آسف حقًا يا طارق لقد خيبت ظنك وضيعت جهدك سامحني

أرجوك... أعلم أنني قد خسرتها وانتهى الأمر وذلك يزيد من حرقتي ويمزق قلبي "

= " أنت لا تعلم شيئًا " رد طارق عليه وهو يبتسم.

- " ما الذي تعنيه بذلك؟!! "

= " أعني ما قد قلته أيها الأحمق فأنت لا تعلم أن عرسك سيكون في الأسبوع القادم.. وقد اشتريت لك ثياب العرس بالفعل آمل أن تعجبك " رد عليه طارق وهو يضحك ورامي ينظر إليه في ذهول متفاجئًا بشدة، واقترب من طارق وعانقه وأخذ يشكره وهو يبكي.. استغرب وتساءل كيف حدث ذلك؟!! فقال رامي:

- " أنا لا أعرف ماذا أقول أنا أعجز عن التعبير عن فرحتي.. ولكن كيف حدث ذلك؟!! هل وافق والدها على الزواج بدون بقية المهر؟!! "

= " كلا الأمر ليس كذلك لقد أخذه كاملًا... في الواقع لقد كنت أدخر المال وكان معي ما تحتاجه منذ البداية ولا تقلق على ذلك المال الذي قد خسرته يا صديقي فالأمر ليس مهماً فقط عودتك سالمًا تكفي "

شعر رامي بامتنان شديد ولم ينطق بكلمة واحدة فقط عانق طارق بشدة والدموع تتساقط من عينيه فلم يفعل أحد معه شيئًا مثل هذا من قبل.. لقد كاد يخسرها وطارق لم يتردد أبدًا في أن يخسر كل ما جمعه من مال لتكون معه، وأخذ يحمد الله بأن رزقه بمعرفة هذا الصديق طارق...

قد كان عرسًا رائعًا وبدت على رامي وطارق فرحة شديدة وظلَّا يرقصان معًا وأهل القرية كلهم يباركون لرامي ويهنؤونه ولم يشعر رامي بفرحةٍ كتلك

من قبل.. كذلك لم ينسَ أبدًا هذا اليوم وكيف عانى لتحقيقه وما فعله طارق لأجله.

مرت السنوات وتوالت الفرحة على رامي بأن أنجب ابنته صفا وكان سعيدًا للغاية لرؤيتها وهي تكبر وتلعب أمامه.. كانت ابنته تحب عمها طارق كثيرًا ودائما ما كانت تمر عليه، وكان طارق ورامي دائما يعملان حتى يحين موعد الغداء فيذهبان معًا إلى بيت رامي ويتناولان طعام الغداء التي أعدته زوجته وفي أحد الأيام قالت جنة زوجة رامي لطارق:

- " متى ستتزوج يا طارق؟!!... أظن أنه قد حان الوقت لتتزوج أنت أيضًا فلا يمكنك أن تبقى هكذا وأيضًا أريد أن أعرف من هي التي ستوقع بك فأنا أريدها أن تكون صديقتي مثلك أنت ورامي "

= " أجل إن معها حقُ يا طارق.. ألم تملأ عينيك إحدى فتيات القرية؟!! فهناك كثير من الجميلات اللاتي قد يعجبنك ونحن قد تحدثنا في هذا من قبل " قال رامي وهو يغمز له...

* " في الواقع أنا لست مهتما بالزواج كثيرًا.. كذلك احذر مما تقول أيها الأحمق فزوجتك ما زالت هنا " رد طارق وهو يضحك وينظر لرامي بخبث وكانت جنة تنظر لرامي بغيظ فارتعد رامي عندما رأى وجهها...

= " كلا لا تفهمي الأمر بشكل خاطئ يا عزيزتي أنا لم أقصد شيئًا حقًا " ولكن جنة لم تقتنع بما قاله وظلت تجادله كثيرًا.

كانت تلك الصغيرة صفا تحب أن تلعب مع طارق كثيرًا وتحب سماع قصصه وكانت تأتي ومعها أصدقاؤها أحيانًا ليحكي لهم بعضًا منها وهو

يعمل.. كان طارق يستغل أولئك الصغار ويجعلهم يساعدونه في حمل بعض الأشياء وجعلهم يناولونه أدواته وكانوا يجدون ذلك مثيرًا للغاية بل ويفرحون وهم يعتقدون أنهم يعملون بجد ويحكون لآبائهم كيف ساعدوا العم طارق كثيرًا.. كانوا يحبون أن يمازحوا طارق ويتفننون في محاولة إيقاعه بالمقالب ولكنهم كانوا يفشلون في معظم الأحيان.

- " أتعلم يا عم طارق؟ " قالت صفا

= " ماذا هنالك يا صفا؟ " رد طارق

- " لقد قمنا جميعًا بالتصويت لمن يملك أجمل ابتسامة في هذه القرية وقد أجمعنا عليك أنت " فضحك طارق لما سمعه وقال لها:

= " حقًا يا صفا لقد أسعدتني كثيرًا يا صغيرتي "

- " أريد أن أمتلك ابتسامة جميلةً مثلك عندما أكبر وسأساعدك في عملك"

= " أوه حقا!! ولكنك تملكين ابتسامةً جميلة بالفعل.. ستصبحين جميلة للغاية عندما تكبرين وأيضًا أنا لا أريد منك أن تساعديني.. لقد قلت لك أكثر من مرة أريدك أن تصبحي طبيبة "

- " كلا أنا لا أريد أن أصبح طبيبة أريد أن أكون نجارة مثلك "

= " يا إلهي أنت عنيدة مثل والدك تمامًا "

- " حقا؟!! ولكن أبي يقول لي أنني عنيدة مثلك أنت "

= " وأنت حمقاء مثله أيضًا "

- " ماذا قلت يا عم طارق؟ "

= " لقد قلت يا صغيرتي أنك ستكونين طبيبة رائعة "

– " كلا أنا أريد أن أكون نجارة مثلك أنت وأبي "

= " يا إلهي يبدو أنني لن أستطيع إقناعها أبدًا "

حزنت صفا كثيرًا وكل أهل القرية عندما اختفى طارق ولم يسمع أحد عنه وظلُّوا يبحثون عنه لكنهم فشلوا في إيجاده وانتاب رامي حزنٌ شديد على أخيه الذي قد فقده، وفقد شهيته للطعام كذلك صفا مثل والدها وعانت جنة في محاولة إقناع هذين الإثنين وإجبارهما على تناول الطعام لكنها لم تستطع.

***

كانت رنيم تستمع بشوق لما كانت تحكيه لها العجوز صفا وتوقفت عند هذا الجزء ولم تحكِ لها ما حدث بعد ذلك وطلبت منها أن تخلد للنوم، وقد كان هناك شخص آخر يستمع لما كانت تحكيه العجوز صفا أيضًا...

لم يستطع مالك أن ينام وكان يستمع للعجوز صفا وهو يضع ذراعه اليسرى على رأسه يغطي بها عينيه اللتين كانتا تبكيان بشدة وكان مالك يحاول أن يتمالك نفسه ويكتم صوت عويله وهو يتذكر كل ما كان بينه وبين رامي وتذكر ذلك الحديث الذي دار بينهما قبل يوم زفافه...

– " هل حكيت لك عن ماضيّ من قبل يا طارق؟ "

= " كلا أنت لم تخبرني بشيء "

– " حسنًا.. أريد أن أخبرك الآن ببعض الأشياء فاستمع إلي جيدًا... في صغري كان الأطفال المشردين مثلي يقولون أنه يمكن أن نكون إخوة إذا

امتزجت قطراتٌ من دمائنا معًا... لكن.. كنت حقًا أكره هؤلاء الأوغاد كثيرًا... كانوا دائمًا يسبونني ويلعنون والدي ويضطهدونني.. يستقوون علي لأنني كنت أضعفهم... كان هناك رجل يوفر لنا مأوى وطعام مقابل أن نعطي له ما نسرق وكلما كانت حصيلتك أكبر كان طعامك أفضل... لكن بعض أولئك الأوغاد كانوا يجلسون مرتاحين طوال النهار ثم يضربونني عندما أرجع وينهبون مني ما قد جمعت ويقدمونه له... يدعون الاجتهاد في الحصول على غنيمتي أنا ويتباهون بها بتبجح فينهال ذلك الرجل علي ضربًا عندما لا يجد شيئًا معي ويعايرني بهم ويقول لي لما لا تكون مثلهم أيها الكسول ويلقيني لأنام في الشارع... لقد كنت أكرههم حقًا ولم أرغب بأن تختلط دمائي بدماء هؤلاء الأوغاد... لقد كنت رافضًا تمامًا بأن يكونوا إخوتي وهم أيضًا لم يرغبوا بذلك قط ولم يعرضوا علي ذلك... لكن تلك المعاناة قد انتهت بعد أن افترقت عنهم وسلكت طريقي الخاص... ثم أصبحت حياتي أفضل بعد أن التقيت بك أنا ممتن لك كثيرًا فلم أتوقع أبدا أن يرزقني الله بحياة سعيدة كهذه وقد تحققت بعد أن التقيت بك " ثم التفت رامي لطارق ينظر إليه وهو يبتسم له وقال: " أخبرني يا طارق... أتود أن تكون أخي؟ "

منذ ذلك اليوم وهما يعتبران بعضهما إخوة وكان مجرد تذكر ذلك يوجع قلب مالك كثيرًا ويؤلمه بشدة وكان لا يتوقف عن البكاء في تلك الليلة والحزن قد ملأ جوفه وحطم أضلعه يضع يده على صدره ويمسكه بشدة لضيق الحزن عليه.. يتحسر.. على فقدانه لأخيه رامي.

استيقظ مالك مبكرا ووجد صفا قد استيقظت أيضًا أما رنيم فقد ظلت نائمة وقد طلب منها مالك أن تخبره ما حدث بعد أن اختفى فلم ترد عليه

وألح عليها قائلًا: " أعلم أن هذا صعب عليك لكن أرجوك أخبريني "

***

كانت القرية مضطربةً في بداية الأمر وأخذت تبحث عن طارق لكن سرعان ما يئسوا وتخلوا عن الأمر وظلَّ رامي وصفا حزينين للغاية على فقدان طارق ومضى عليهما وقت طويل وهما على هذا الحال، وعندما وصلتهم أنباء من دولة قاصيةٍ للغاية عن القائد العسكري العبقري الذي استعاد روسال بثمانمائة جندي فقط ضد ألفين وخمسمائة جندي من جاجاران والذي اسمه طارق بن هشام القاصي لم يصدق أهل القرية هذه الأخبار العظيمة.. أقاموا احتفالًا صاخبًا بهذه المناسبة دام يومين وأصبح فخرًا لهم يتحدثون عنه بملء أفواههم يعتزون بكونه أحدهم، وحمدوا الله على سلامة طارق وكان أكثرهم فرحةً رامي وصفا فكانت تلك أكبر فرحةٍ لهما على الإطلاق...

لم تدم الفرحة طويلًا بعد أن انتشر خبر موت طارق وأتى أولئك الجنود الذين أرسلوا لقرية طارق وعاثوا فيها فسادًا وأحرقوها ودمروها كلها، وبينما كل شيء يحترق رأت صفا والدها يقف أمام أحد ما وقد كان هو قائد الجنود (زهير) وقال لرامي:

- " إنه أنت يا رامي الوغد.. لقد ظللت تهرب مني لمدة طويلة ولم أتوقع أبدًا أن أجدك في هذه القرية!! "

= " ما بالك يا زهير الحقير.. ألا زلت تشعر بالخيبة على فشلك المتواصل؟!! "

- " كلا لم أعد أهتم لذلك فقد أصبحت قائدًا الآن كما ترى آمر وأنهي..

وكلمة واحدة مني هي التي ستحدد إن كنت ستعيش أم لا "

= " أخبرني قبل أن تستمر بالهراء.. أتعلم كيف مات طارق؟ "

– " أتريد أن تعرف كيف مات؟!.. وكيف لي أن أعلم يا هذا أنا لا أهتم بأمر ذلك الحثالة!!.. لكن حسنًا سأخبرك... لقد مات كالكلاب كأي كلب حقير آخر!! " رد زهير وهو يضحك فلم يتمالك رامي نفسه من شدة غيظه وهجم عليه فضربه زهير بسيفه وسقط رامي على الأرض، وجرت صفا نحو أبيها وهي تنادي عليه فأمسكها زهير من شعرها وصاح رامي في غضب:

= " اتركها أيها الوغد!!.. دعها وشأنها!!! "

– " كلا أنا لن أفعل ذلك لكن لا تقلق سأبقيها حية " رد زهير وهو يبتسم وينظر لصفا بخبث

= " ما الذي تنوي فعله بها أيها الوغد؟!!.. إنها مجرد طفلة!!! "

– " حسنًا سأدعها تعيش لتكون جارية لي وسأذلها وأعذبها وربما سأغتصبها هذا فقط لا شيء آخر " رد زهير ببرود وهو يعد تلك الأشياء أمامه وكأنها أمور عادية جدا وبدا مستغربًا لسؤال رامي ذاك.

= " لا تظن أنني سأدعك تفعل بها هذا أيها الوغد!!! " صاح رامي ونهض ليهجم على زهير.

– " بلى ستفعل " قالها وهو يبتسم وأشار لجندي خلفه فأطلق سهمًا أصاب رامي فجثى على ركبتيه ثم أجهز زهير عليه بضربة من سيفه...

أخذت صفا تصرخ بشدة وهي تتألم لرؤية أبيها يموت أمام عينيها

وحاولت الذهاب إليه لكن زهير كان محكمًا قبضته عليها وأخذ يجرها بعيدًا عنه وهي تراه يحتضر.. تصرخ بشدة وتنادي عليه وهي تمد له يدها.. حاول والدها أن يمد يده لها أيضًا لكنه لم يستطع الوصول إليها فقد مات وفقد روحه في هذه اللحظة.. علا صراخها فضربها زهير بشدة وصاح بها وهو يضع السيف عند رقبتها: " اخرسي أيتها المزعجة!!!.. لا أريد أن أسمع صراخك وبكاءك ولا حتى أنينك وإلا سأقتلك حالا!!! " فوضعت صفا يديها على فمها وعيناها تفيضان بالدموع لا تتوقفان عن البكاء.. تكتم صوتها.. تكتم ألمها لتبقي على حياتها، وقد زاد ذلك من وجع قلبها كثيرًا حتى كاد ينعصر.

مات رامي وأصبحت صفا جارية لزهير ولم يرحمها أحدٌ من أهله فقد كانت موكلة بكل أعمال المنزل من التنظيف والطهو وما إلى ذلك وكانوا كثيرًا ما يحرمونها من الطعام سواءً لغلطة ارتكبتها أو تقلبات مزاجهم " أنا لا أريدك أن تتناولي شيئًا اليوم أيتها الحقيرة وهذا هو السبب "... كان زهير لا يتوقف عن ضربها وتعذيبها كذلك زوجته.. قد كانوا يخلعون أظافرها لتسيل الدماء من أصابعها أحيانًا أو يجبرونها على الوقوف على جمار مشتعلة أو يجلدونها أو يأخذون سيخًا مشتعلاً من الحديد وويضعونه على ما يريدون من أجزاء جسدها حسب رغبتهم، فقد كانت الملامة على كل كبيرة وصغيرة في البيت وهي التي تعاقب دائمًا.

كانت امرأة زهير كثيرة الغيرة وعندما كبرت صفا كانت كثيرًا ما تراقبها وتقوم بمعاقبتها متهمة صفا بمحاولة إغراء زوجها، فلم يستطع زهير أن يضاجع صفا كما أراد لكن هناك العديد من النساء غيرها التي استطاع أن

يتمتع بهن وامرأته مشغولة بمعاقبة صفا... حتى صغارهم الذين قامت بتربيتهم قد كبروا ليتطاولوا عليها ويفعلوا بها الأفاعيل وظلَّت على هذا الحال من الذل والعذاب والكلام الجارح مثل " كيف تفعلين هذا أيتها الحمقاء؟!!.. من الواضح أن أمك العاهرة لم تربك وتعلمك جيدًا!!! ".. " لا أعلم ما الذي يجعلنا نحتفظ بقبيحة مثلك معنا حتى الآن؟!!.. يجب عليكِ أن تشكرينا أيتها المومس لإبقائك على قيد الحياة " " طعامك وشرابك وملابسك كلها من أموالي أيتها الحقيرة لذا عليك السمع والطاعة ولا أريد أن أسمع منك أي صوت فاخرسي وتوقفي عن إصدار ذلك الأنين!!! ".. عاشت هكذا مجبرة على كتم آهاتها لأنها فقط تزعجهم فحتى الشكوى قد حرموها منها فظلت تكتم كل ذلك الألم في صدرها كل هذه السنوات.

***

كانت أول مرة تشتكي فيها صفا إلى أحد فظلَّت تبكي كثيرًا وتتأوه فأخرجت كل ما كتمته دفعة واحدة وانفجرت بالبكاء.. أخذ مالك يحاول مواساتها بعد أن علم منها ما قد مرت به وهو يحاول أن يكتم وجعه لكل ما سمعه منها وهو يشعر بأنه الملام على كل ما حدث.. لقد قالت أنها كانت تحاول أن تكرهه يبدو أن من حقها ذلك بالفعل لكنها لم تستطع ذلك لأنها كانت تحبه كثيرًا.. " ربما أنا لا أستحق هذا الحب ".. هذا ما ظنه.

شعرت صفا بشيء من الراحة بعد أن شكت لمالك كل ما حدث معها وأخذ مالك يحاول تلطيف الجو وتغيير الموضوع ويحادثها في أمور مختلفة، وقد بدت صفا سعيدة وأخبرته بأنها سعيدة للغاية بلقائه والحديث معه فقد كانت تلك أمنية تظنها مستحيلة وقد حسبت أنها ربما تحلم، ومالك ينظر إليها

يرى فيها نقاء الأطفال وبراءتها كما كانت صغيرة... ظلَّا يتبادلان أطراف الحديث حتى ذكر لها مالك أمر اللاجئين من ماعن وأخبرها أن والدي رنيم منهم فردت عليه بأن أمرًا فظيعًا قد حدث لهم وأرشدته لمكانهم ونصحته بأن يذهب لهذا المكان وحده دون رنيم، فوافق مالك على ذاك وطلب من صفا أن تبقى في بيتها ولا تخرج منه لأنه سيتكفل بأمر عائلة زهير.

استيقظت رنيم عندما شرع مالك بالرحيل وسألته إلى أين سيذهب فرد عليها بأنه ذاهب ليشتري بعض الأشياء فأخذت تلح عليه بالذهاب معه، ولكنه ظلَّ يرفض وقامت صفا بمحاولة إقناعها أن تبقى لتتناول الإفطار لكنها أصرت على الذهاب مع مالك فصاح بوجهها وأمرها أن تبقى وغادر بعد أن أغلق الباب بقوة...

ذهب مالك مشيًا إلى ذلك التل الذي وصفته له صفا وقد كان بعيدًا فوصل إليه بعد ما يقارب ساعة ونصف فقد كان الطريق وعرًا ومليئًا بعقبات كثيرة، وسلك بعض الطرق الضيقة فقد كان هذا الطريق لا يصلح للعربة كما أخبرته صفا...

وصل مالك في النهاية وصعد ذلك التل وبدأ يشم رائحةً كريهة وكلما صعد أكثر زادت قوة تلك الرائحة العفنة أكثر حتى وصل أخيرًا، وقد ذهل بشدة لما رآه.. فقد وجد قمة التل مغطاة بعدد كبير من الرجال والنساء العراةٍ الموتى بعد أن غرزت أجسادهم في تلك الخوازيق.. بعضهم قد أُدخل الخازوق من أفواههم والبعض الآخر من الدبر وبعض النساء من فروجهن والألم يبدو ظاهرًا على وجوههم.. وجوه توحي بالبؤس.. توحي بمعاناتهم الشديدة وآلامهم الفظيعة كذلك انعصار قلوبهم واليأس الذي

غشي أرواحهم.. كل هذا فوق الأرض التي تلوثت بدمائهم، وبينما مالك ينظر لذلك المشهد باشمئزاز وهو يشعر بالغثيان سمع ذلك الصراخ...

قد نجحت رنيم بالتسلل والخروج وراء مالك ولم تستطع صفا الخروج واللحاق بها بسبب إصاباتها التي آلمتها من الضرب الذي تعرضت له بالأمس فأخذت صفا تنادي عليها ولكن رنيم تجاهلتها.. وصلت رنيم لذلك المكان أيضًا بعد أن تبعت مالك من بعيد وشعرت بخوف شديد حالما رأت ذلك المشهد، ثم أطلقت صرخةً كبيرة عندما رأت جثتي والديها أمامها وأخذت تبكي بحرقة فتوجه مالك بسرعة إلى ذلك الصوت بعدما سمعه.

رأى مالك رنيم جالسةً على ركبتيها وهي تبكي وقد سمعت صوت خطوات مالك وهو يقترب منها فالتفت إليه وقالت: " لقد ماتا يا عم مالك!!!... ماذا أفعل الآن؟!!... أنا خائفة... خائفة حقًا " فجلس مالك أمامها دون كلام وضمها إليه.. هي تبكي بشدة وتعض كتفه لشدة حزنها وألمها وهو يربت على كتفها ببطء تاركًا إياها تعض كتفه كما تشاء.. ثم أخذ يواسيها ويحاول مسح دموعها وهي لا تتوقف عن البكاء، وبعد أن هدأت قليلًا طلب منها النهوض ليذهبا من هذا المكان فهزت رأسها موافقة.

وقف بعض الرجال أمام بيت صفا وأخرج أحدهم ملصقًا من جيبه وأخذ ينظر إليه ثم سأل ذلك الفتى الذي كان معهم ودلَّهم على بيتها قائلًا:

- " أمتأكد أن هذا هو المكان؟ " قال (راست) قائد هؤلاء الرجال

= " نعم لقد رأيت ذلك الرجل بالأمس وتبعته حتى وصل لهذا البيت "

- " بعد أن يتم القبض عليه ستنال مكافئةً مجزيةً أيها الفتى... لقد وضعوا

مكافئة قدرها مائتي ألف جال على رأس ذلك الرجل!!... هذا مبلغ كبير كبداية لذلك الوغد... سوف يكون غنيمةً كبيرةً لنا "

كسر هؤلاء الرجال الباب وقاموا بضرب العجوز صفا لتخبرهم بمكان مالك لكنها رفضت فأخذوا يضربونها حتى تعترف لكنها أبت ذلك وادعت عدم معرفتها لذلك الرجل الذي يبحثون عنه.. غضبوا وظنوا بأن ذلك الفتى قد خدعهم وشعروا بأنهم مغفلين للغاية فضربوا صفا حتى ماتت وأخذوا يضربون ذلك الفتى أيضًا.

عاد مالك ورأى الناس مجتمعين أمام بيت صفا وسمع صراخًا يصدر منه فطلب مالك من هؤلاء الناس أن يتنحوا جانبًا ليرى ما يحدث، وحالما وقعت أعين أولئك الناس عليه أخذوا ينظرون إليه بذهول وابتعدوا عنه على الفور وهم يصيحون...

- " انظر إلى خلفك!!.. إن ذلك الرجل يقف وراءك أنا لم أخدعك كما أخبرتك!!! " قال الفتى وهو يصرخ بقوة فالتفت راست ووجد مالك ينظر إليه فتقدم راست نحوه وهو يتفقد ذلك الملصق...

= " انظروا إنه رجلنا المنشود!!!... ما كان على تلك العجوز الشمطاء أن تكذب إذًا لقد لقيت حتفها مقابل ذلك... ما رأيك أيها الوغد أتريد أن تسلم نفسك إلينا بهدوء أم أنك تريد أن نستمتع قليلا؟!! "

ترك مالك ذلك الرجل يكمل ثرثرته واتجه للبيت ورأى صفا ملقاةً على الأرض ميتةً ودماؤها تملأ المكان من حولها.. بوجهها الذي شُوه من كثرة الضرب وبالقرب منه بقية أسنانها، فنظر مالك إليها بذهول وهو يرتعش وقد اتسعت عيناه واعتراه غضب شديد...

- " ألا تعلم أنه من الوقاحة أن تتجاهلني أنا العظيم راست أيها الوغد؟!! " صاح راست وضرب مالك على رأسه بقوة فأسقطه أرضًا.

- " ماذا؟!!... لا يبدو أنك قوي لهذه الدرجة أيها الصعلوك ليتم وضع مائتي ألف جال على رأسك!!! " قال راست وهو يتقدم نحو مالك...

شرع راست بركل مالك وحينها أمسك مالك برجله وقام بقذف ذلك الرجل خارج البيت.. ثم نهض مالك واستل سيفه وتقدم نحوهم فوجد خمسة رجال بسيوفهم ينتظرونه بالخارج ونهض راست وانضم إليهم.

- " لا تظن أنه يمكنك قتل صغيرتي وتنجو بفعلتك أيها الوغد!!!! " صاح مالك

= " ماذا تقول أيها المجنون؟!!.. أتعني هذه العجوز؟!!... أهناك خطب بك أم ماذا؟!!... لا يهم ذلك فأنت رجل ميت لا محالة " رد راست وأمر بالهجوم على مالك

استطاع مالك ضرب أحد رجالهم وتفادى ضربة واحد آخر ثم أصابه بسيفه لكن أحدهم أصاب مالك من الخلف وأسقطه أرضًا فقام مالك وضربه بالسيف ونجح بفتح بطنه وانفجرت دماؤه وملأت وجه مالك، وقد بدا الناس الذين يشاهدون بترقب ما يحدث وهم يعتريهم الخوف.. إذًا هذا هو الشيطان الذي انتشرت ملصقاته مؤخرًا.. هذا هو الوغد الذي تجرأ على إغضاب أبناء الإله.

استغرب مالك عندما رأى وجه راست الذي بدا هادئًا بشكل غريب وفجأة ابتسم وقال:

- " أهنئك أيها المارد الأسود لقد اتضح أنك أضعف مما تصورت.. سوف تنال موتًا رائعا!! " قال راست وهو ينظر لمالك بخبث وطقطق أصابعه فاجتمع حول مالك خمسة عشر رجل وقاموا جميعًا بإصاباته بسيوفهم وأثخنوه بالجراح.. سقط على الأرض واصطدم رأسه بقوة بالحائط الذي خلفه ولم يعد قادرًا على تحريك أي جزءٍ من جسده.. ذهب أحد رجال راست نحو مالك ورفع رأسه ووضع سيفه عند عنقه ثم تقدم راست نحوه متباهيًا وهو يمشي كالمنتصر.

- "مجرد صعلوك آخر هذا ما أنت عليه... أتعلم ما يجب على الحثالة أمثالك فعله؟!!... يجب أن تصمتوا ولا تتعالوا علينا نحن أيها المجرمون الحثالة الذين تعيشون في القذارة فأنتم أدنى من البشر يجب أن ترضوا بذلك وإلا سنقوم باصطيادكم أيها الحشرات!!... سنقوم بإذلالكم وتعذيبكم واغتصابكم وتدميركم فهذا هو حقنا نحن وما يجب عليكم هو الصمت فأنتم لا تملكون حياتكم بل نحن من يملكها لأنكم تجرأتم على خرق قوانين هذا العالم أليس كذلك؟!!! ".. قال راست ذلك وهو يضحك وقد أيده الناس الذين يشاهدون ما يحدث وأخذوا يحثونه على قتل ذلك المجرم مالك وأنهم لا يرغبون برؤيته حيًا.

كان وجه مالك مغطًا بدماءٍ أخذت تسيل نحو فمه شيئًا فشيئًا حتى سقطت بعضها داخل فمه.. لكنَّ الغريب في الأمر هو أنه قد استساغ طعمها كثيرًا بل وأراد المزيد.. شعر برغبة عارمة بالقتل، وأصابه هوس برؤية الدماء وهي تتساقط أمامه... أخذ ينظر لراست بنظرات مجنونة وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وأمسك برقبة الرجل الذي وضع سيفه عند عنقه

وقام بسحقها بيده وأخذ مالك يضحك كالمجنون.. ثم قتل أربعة آخرين من الرجال الذين حوله، فغضب بقية الرجال وهجم عليه خمسة آخرون منهم وضربوه كلهم بسيفوهم مرة واحدة وظنوا أن أمره قد انتهى.. لكنه أخذ يضحك وقام بمهاجمتهم جميعًا وقتلهم، ثم تقدم نحو بقية رجال راست وهو يبتسم ويوجد خمسة سيوف مغروزة في جسده لكنه كان يتحرك نحوهم بسرعة بالرغم من ذلك.. حاولوا الهرب منه لكنهم لم يستطيعوا وقام بقتلهم كلهم، ولم يبقى سوى راست الذي قد حاول الهرب أيضًا لكن مالك استطاع أن يضرب قدمه فتعثر على الأرض، وقال راست " أرجوك سامحني أنا آسف لم أعنِ ما قلت.. أنت هو العظيم أنت من يستحق أن نخدمه.. أرجوك سامحني!!.. أرجوك!!! ".. لكن مالك أخذ يبتسم وينظر إليه بتلك النظرات المجنونة وهو ممسك برأسه، وراست ذاك لا يتوقف عن الكلام والتوسل إليه ثم قام مالك بوضع السيف في فمه وقال له: " اخرس!!!! "، ودفع سيفه فاخترق رأس راست ومات.. لكن مالك أخذ يطعن جسده الميت وهو يضحك بصوت عال بجنون مبالغ فيه...

أخذ الناس ينظرون برعب لهذا الشيطان الذي يقتل من أمامه دون رحمة ويبدو على وجهه أنه مستمتع للغاية.. بذلك قد عمت الفوضى بعد أن قضى مالك على راست وظلَّ يضرب في هذا الوغد كالمجنون وكل الناس قد هرعوا خائفين من هذا المكان يحاولون الابتعاد عنه بأسرع ما يمكن، ورنيم كذلك تنظر لمالك وهي تشعر برعب شديد وقد تجمدت في مكانها وقامت بالصراخ على مالك " توووووقف!!!!! "، فنظر إليها مالك بنظرات غريبة قد أثارت خوفها...

في تلك اللحظة وصل رجل يمتطي حصانه ومعه خمسون جندي منهم ثلاثون سيافًا والباقون يحملون البنادق وعندما وصل لمالك ترجل عن حصانه وألقى سيجارته على الأرض وقال:

- " لقد أرسلني حلف السماء إلى هنا.. نحن الذين نقيم العدل في هذه الأرض.. أنا نائب القائد من رتبة دايشين (كازين).. أنا الذي سيقبض عليك أيها الوغد وأنزل بك حكم السماء... لقد حانت نهايتك أيها الشيطان!!.. هيا تعال إلي!!!" بعد أن قال الدايشين كازين ذلك انتعشت نفوس الناس وعلت أصواتهم وهتافاتهم له عندما وصل...

نظر مالك إلي الدايشين كازين بابتسامته المخيفة المريبة تلك وهجم عليه فجأة لكن كازين استطاع أن يمسك رأس مالك وأمسك يده التي يحمل بها السيف وقام بكسرها.. ثم أخرج سيفه وضرب به مالك في بطنه وأسقطه على الأرض لكن مالك لم يستسلم ووقف يضحك مرة أخرى، ومع ذلك قد أمسك ذلك الرجل كازين مالك وحمله ثم قام بقذفه ناحية الحائط فاصطدم رأسه به وخرَّ مالك صريعا.

لقد كان ذلك الرجل مجرد نائب قائد من رتبة دايشين فقط لكنه كان سريعًا وقويًا جدًا وردود أفعاله جيدة للغاية.. قد علت أصوات الناس وهتافهم وتفاخرهم بنائب القائد كازين وتباهيهم بحلف السماء وقوته لكنهم توقفوا عن ذلك وقلقوا عندما رأوا جسد مالك لا يتوقف عن الارتعاش وظل يتلوى على الأرض بطريقة هيستيرية وغريبة.

وجد مالك نفسه يجلس على أريكة في غرفة مظلمة وتقع أمامه شرفة مغلقة وبدت رائحة الغرفة التي هو فيها غريبةً للغاية.. ثم شعر بوخز في

رجليه، وعندما نظر أسفله وجد جرذًا عملاقًا بحجم إنسان قد أكل رجليه حتى وصل إلى ركبتيه فارتعب مالك كثيرًا وأخذ يتنفس بسرعة، وفي لحظة وجد ذلك الجرذ قد اختفى ورجليه سليمتين وقد أثار ذلك قلقه كثيرًا وظلَّ يجلس على نفس الأريكة في نفس الغرفة لبضع دقائق.. ثم سمع صوتًا غريبًا أتى من باب يقع خلفه...

انتاب مالك بعض الفضول ليرى ما خلف ذلك الباب فقام ومشى ببطء ناحيته.. بدأ ذلك الصوت يعلو كلما اقترب منه وعندما وقف أمام ذلك الباب أخذ نفسًا عميقًا وفتحه.. حينها تسمر مالك في مكانه من شدة الخوف، ودار في باله " لطالما كنت أكرههم كثيرًا بنظراتهم السخيفة وابتسامتهم المريبة تلك.. أولئك المهرجون كانوا دائمًا ما يصيبونني بالغثيان.. الآن لقد عرفت لماذا تكون دائمًا أنوفهم وما حول أفواههم ملونة باللون الأحمر.. ذلك بسبب تلوثها بالدماء لتناولهم بنهم وشراهة تلك الجثث التي أمامهم"..

لقد رأى مهرجًا يأكل بطريقة شنيعة جثة أمامه، وكان ذلك الصوت الغريب صوت مضغه الناتج عن طريقة أكله المقرفة فكان يمزق قطعة كبيرة من اللحم ويمسكها بيديه ويتناولها كالحيوان.. يسيل لعابه ويسقط اللحم من فمه.. يغمر أنفه القذر في قطعة اللحم تلك... بعد أن فتح مالك الباب بقليل التفت إليه ذلك المهرج بابتسامته المخيفة وعينيه البيضاوتين الفارغتين اللتين بدون حدقتين، فأسرع مالك وأغلق الباب في تلك اللحظة لكنه عندما استدار وجد ذلك المهرج يقف خلفه وقد كان طويلًا بحق فأمسك مالك من عنقه ورفعه بيد واحدة وقام باختراق بطنه بيده الأخرى وأخرج أحشاءه.. صرخ مالك بشدة وأخذ ذلك المهرج يلتهم أحشاءه أمام عينيه فشعر مالك

بالغثيان وأغمى عليه.

كان مالك مرتعدًا وخائفًا للغاية وبعد قليل أحس بيد تربت على رأسه بحنان فقام مالك بفتح عينيه ببطء فوجد ذلك المهرج ينظر إليه بابتسامته المريبة التي أثارت خوفه.. قد اختفى جسد مالك ولم يبقى منه إلا رأسه، وقد وضعها ذلك المهرج على ركبتيه وهو يجلس على الأريكة فعلا صراخ مالك وبادله ذلك المهرج بالضحك.. ثم أخرج سكينًا وغرزها في عين مالك اليمنى وأخرجها ببطء ليزيد من ألمه.. ثم غرزها في عينه اليسرى وأحكم ذلك المهرج قبضتيه على رأس مالك وهشمها ثم تناولها.

على نفس الأريكة في نفس الغرفة.. قد استيقظ وبدأ يشعر بخوف وقلق شديدين.. عمَّ الصمت والهدوء لفترة، ثم أحس مالك بعد ذلك بألم شديد في بطنه ولم يكن ألمًا عاديًا بل أحس أن بطنه تتمزق من الداخل فأمسك بطنه بقوة ولكن سرعان ما انفتحت بطنه وخرجت منها أعداد كبيرة من حشرة أم أربعةٍ وأربعين أخذت تلتهم جسده.. بدأت تخرج من فمه وبعضها قد خرج من فتحة شرجه وظلَّت تأكل جسده وهو يشعر بألم شديد.. بعد لحظات قد اختفت الأريكة والأرض تحته وأخذ يسقط بسرعة كبيرة وتلك الحشرات ما زالت تخرج من جسده وتتغذى عليه وكانت كلما أكلت أكثر زاد حجمها كذلك.. ظلَّ هكذا لفترة حتى اصطدم جسده بأرض صلبة وتناثرت دماؤه في كل مكان وأكملت تلك الحشرات تناوله بهدوء بعد أن دخل بعضها رأسه من خلال فتحات أنفه وعينيه وأذنيه، فأكلته حتى لم يبقَ منه شيء.

على نفس الأريكة.. في نفس الغرفة، وأمامه نفس الشرفة.. قد فتح مالك عينيه فأخذ يصرخ بشدة وهو يمسك رأسه يشعر برعب وهلع شديد ثم

أحس يدًا قد لمست كتفه وحينها اختفى المكان من حوله وأحس نفسه في فراغ كبير، وبعد لحظات أحس بألم شديد في كامل جسده فوجد نفسه عاريًا مقيدًا، ورأى ذلك المهرج ينظر إليه مجددًا بابتسامته الغريبة تلك ووجهه المفزع الذي يثير غثيانه.. قد كان ذلك المهرج يحمل سكينًا ورأى مالك يصرخ بشدة وهو ينظر إليه برعب وفزع.. أمسك المهرج رأس مالك وقام بفتح فمه رغمًا عنه ثم قطع لسانه وابتلعه وأخذ يمضغه أمامه وهو يبصق في وجهه.. ثم أخذ ذلك المهرج يسلخ جلد مالك ببطء وهو يسمع صرخات ألم مالك ولا يتوقف عن الضحك.. بعد أن انتهى من سلخ جلد مالك كله جلب كمية كبيرة من الملح وقام بدعكها بلحم مالك ليزيد من ألمه فأحس مالك بأن جسده يحترق بشدة.. ثم قام المهرج بقطع رأس مالك ووضعها على طاولة بجانبه ليجعله يراه وهو يأكل لحمه..ضاحكًا بطريقة مجنونة.. يراقبه مالك وهو يأكل بوحشية لحم جسده.. كان يشعر بألم ورعب لا يوصف.. فقط بقي القليل ولن يتحمل عقله فظاعة أي شيء آخر... بعد أن انتهى المهرج أخيرًا أخذ رأس مالك وهو يبتسم وبدأ بقطع قطعة صغيرة بسكينه من لحم وجهه ويأكلها أمامه بنظراته المريبة تلك بعينيه الفارغتين اللتين كانتا تثيران رعب مالك كثيرًا.. ثم قام المهرج بعد ذلك برمي رأس مالك في النار وقام بدهسها وهو يضحك ويضحك ولا يتوقف عن ذلك.

على نفس الأريكة.. لكن هذه المرة لم يكن في نفس الغرفة.. قد وجد مالك نفسه في مكان رائحته كريهة وعفنة للغاية وهو يرى مشهدًا قد ذهلت له عيناه واتسعتا.. كان مشهدًا مثيرًا للقرف والاشمئزاز وبدأ يشعر برعب شديد وكثير من الغثيان وأخذ يرتعش في مكانه بشدة، فقد وجد نفسه حول أشخاص تبدو أشكالهم كالوحوش.. أجسادهم تقارب أجساد البشر..

مناظرهم قبيحة.. معظمهم يملك قرونًا.. اختلفت أشكالهم عن بعضهم في بعض الأشياء.. هناك منهم من يملك أربعة أيد.. آخرون نصف جسدهم السفلي كالحصان.. بعضهم كان يمشي على أطرافه الأربعة كالحيوانات.. وآخرون كانوا يمتلكون أجنحة وذيولًا.. كانوا يرقصون بطريقة غريبة على نغمات موسيقى صاخبة قد زادت من قلق مالك ورعبه وقد ارتسمت على وجوههم نفس الابتسامة الغريبة التي كانت على وجه المهرج.. كانت الأرض من تحته عبارة عن جثث بشر يبدو على وجوههم الرعب الشديد، وفجأة قد توقفت الموسيقى وتوقفوا جميعًا عن الرقص، وبعد لحظات ملأ المكان صوت نغمات مختلفة من الموسيقى.. قد بدت أكثر ريبة وغرابة، وحينها اتجهت نظرات كل تلك الوحوش نحو مالك بابتسامتهم تلك وأخذوا جميعًا يتقدمون إليه وهو يعلو صوته بالصراخ لا يجد مهربًا منهم.. قاموا بتمزيق لحمه ونهشه بمخالبهم وأخذوا يتناولونه بشراهة وقام أحدهم بتحطيم مؤخرة رأس مالك ونزع مخه من رأسه وقام بأكله، وقد انتهت تلك الوحوش منه في لحظات والتهموه حتى العظام.

هذه المرة قد وجد مالك نفسه يطفو على بحر من الدماء وعدد كبير من الجرذان تقف عليه تلتهم جسده ولكن سرعان ما اهتاج البحر وسقطت كل تلك الجرذان من عليه، فوجد نفسه في تلك اللحظة يجلس على نفس الأريكة مجددًا.. في نفس الغرفة، وذلك الجرذ العملاق الذي بحجم البشر كان ينظر إليه بهدوء وهو يسمع صوت ساعة تدق ويعلو صوتها أكثر فأكثر، وأحس مالك بشيء بجانبه فوجد المهرج يجلس بجانبه وعندما وقعت عينا مالك عليه انقبض قلبه وفزع بشدة وأخذ المهرج يضحك كالعادة... بعد أن توقف صوت دقات الساعة قام المهرج بالوقوف والنظر إلى الجرذ ثم أمسك

قدم مالك اليمنى وقام الجرذ بإطباق فكيه على قدم مالك اليسرى.. ثم أخذا يسحبانه في اتجاهين متضادين بقوة حتى تمزق جسده وانشطر إلى نصفين وقام كل واحد منهما بتناول نصفه الذي مزقه.

على نفس الأريكة.. في نفس الغرفة.. قد وجد مالك دميةً صغيرة على شكل فتاة تجلس على رجليه.. التفتت تنظر إليه بنفس ابتسامة المهرج بهدوء بوجهها المخيف والذي قد اُقتلع منه أحد عينيها وعينها الأخرى تتدلدل من جحرها.. لم يستطع الصراخ هذه المرة فقد وجد فمه مخيطًا وكان لا يستطيع تحريك جسده، وفجأة قد اختفت الدمية من عليه ورأى أناسًا عمالقة يراقبونه وهم يضحكون وكان جسده يقوم بالحركة من تلقاء نفسه.. قد لاحظ خيوطًا مثبتةً في جسده ثم رأى تلك الدمية تتقدم إليه ببطء بابتسامتها الغريبة وقد أصبح حجمها مقاربًا لحجمه وهي تقول بصوت مخيف هادئ بنبرة مريبة مجنونة: " لا مكان للحمقى في هذا العالم!!... في هذا العالم إما أن تتلاعب بغيرك أو سيتم التلاعب بك!!! "، وفجأة تحرك جسد مالك بطريقةٍ غريبةٍ من تلقاء نفسه فقام بالانحناء للخلف وتحطم عموده الفقري وأصبح رأسه بالقرب من قدمه والتوت يداه بطريقة غريبة وتحطمتا أيضًا.. أخذ جسد مالك يتشكل على شكل كرة وهو يحاول الصراخ لكنه لا يستطيع بسبب فمه المخيط حتى قد تهشم جسده كله وانفجر رأسه.

" هذا جنون!!.. هذا جنون!!!.. هذا جنون!!!!.. هذا جنون!!!!!... سأفقد عقلي تمامًا لما لا أموت وأرتاح من كل هذا الرعب والعذاب؟!!!... لو حدث شيء مثل هذا مجددًا فسأجن حتما سأجن!!!! " هذا ما فكر به مالك قبل أن يفتح عينيه.

على نفس الأريكة.. في نفس الغرفة.. قد وجد مالك نفس المهرج ينظر إليه بتلك الابتسامة المريبة.. كان مالك خائفًا للغاية في تلك اللحظة لكنه قد علم ما سيحدث سيموت بطريقةٍ شنيعةٍ مجددًا مثل كل مرة.. حينها ارتسمت على وجه مالك نفس ابتسامة المهرج وظهروا كلهم أمامه أولئك الوحوش الغريبة وتلك الحشرات وذلك الجرذ العملاق وبقية الفئران كذلك تلك الدمية وقال مالك وهو يبتسم مثلهم " إذًا كيف سأموت هذه المرة؟!!! " فتقدم المهرج وأخرج سكينه وقام بطعن مالك في قلبه.

ظلَّ الناس ينظرون لجسد مالك الذي يتلوى على الأرض بجنون بعد أن هزمه نائب القائد كازين وهم يشعرون برعب شديد وصاح كازين لجنوده الذين يحملون البنادق " أطلقوا!! " لكن مالك لم يتوقف عن الحركة وأمر مجددًا " أطلقوا!! "، وما زال جسد مالك يتحرك والهلع يزداد بين الناس فصاح بغضب " أطلقوا!!.... أطلقوا!.... أطلقوا!!!.... أطلقوا!!!.. أطلقوا!!!!.... " فتوالت الطلقات كالمطر على جسد مالك ولكنه لم يتوقف عن الحركة أبدًا حتى بدأ كازين نفسه يشعر بالخوف والقلق، وبعد لحظات وبدون أي مقدمات قد توقف جسد مالك مرة واحدةً عن الحركة.. حينها قام كازين بإخفاء خوفه وادعى الصلابة وكأن شيئًا لم يكن وقال لجنوده: " اجلبوا الطبيب ليتفقد إن كان حيًا أم لا وقوموا بالتخلص منه لو مات ".. ثم غادر كازين وترك عشرًا من جنوده السيافين.

أخذ الطبيب وقته حتى جاء ولم يغادر الناس مكانهم وظلُّوا يراقبون ما يحدث وعندما تفحصه الطبيب أعلن أن مالك قد مات وشعر الناس براحة كبيرة وأخذوا يتحدثون بأن ذلك المجرم الوغد قد نال ما يستحق..

كانوا يتباهون بالدايشين كازين وقوته وأن ذلك الحثالة لا يساوي شيئًا أمامه، ورنيم تراقب الأمر متجمدةً في مكانها وهي تشعر بأنها قد خسرت الدنيا بأكملها فلم يبقَ لها أحد الآن... ثم قام الطبيب بجمع أدواته وهمَّ بالرحيل وحينها تحرك مالك بسرعة فجأة وجلس على الأرض ممسكًا قلبه وقد ارتسمت على وجهه نفس ابتسامة المهرج المريبة وكانت هذه هي نفس اللحظة التي طُعن قلبه فيها.

عاد مالك وساد الرعب والهلع بين الناس وهربوا كلهم وهم يتخبطون ببعضهم بعد أن رأوا مالك بوجهه الشاحب المخيف وابتسامته المجنونة تلك.. لم يصدق الطبيب ما يراه فترك أشياءه وجرى مسرعًا حتى الجنود الذين قد تركهم كازين قد هرعوا بعيدًا عن هذا المكان وكانت رنيم هي الوحيدة التي فرحت برؤية مالك ينهض.. كانت تبكي في مكانها بينما يقوم مالك بنزع السيوف الخمس التي كانت مغروزة في جسده من قبل أتباع راست وجرت رنيم مسرعةً نحوه تحتضنه بشدة وهي لا تتوقف عن البكاء فقال لها مالك وهو يربت على رأسها بنبرة هادئة: " لا تقلقي يا رنيم لقد انتهى الأمر أخيرًا... أنا معك الآن... لقد كان يومًا صعبًا حقًا... هيا لنذهب الآن "

قام مالك بحمل جثة صفا ووضعها في عربته واتجه للمقابر ليقوم بدفنها وصلى الجنازة عليها وهو يبكي عليها بشدة وقبل أن يذهب وقف لمرة أخيرة بالقرب من قبرها متذكرًا ما قد قالته له صباح اليوم قبل أن تموت " لقد أخبرتني أنني أبدو حزينًا للغاية وأن ابتسامتي التي أحببتها قد أصبحت فاترة ولم تعد كما كانت وتشعرين بأنني لم أعد كالسابق... نعم لقد تغيرت يا

صفا أنا لم أعد العم طارق الذي عرفته "، ثم صمت لبرهة وهو ينظر لقبرها بحسرة مع دموع تترقرق في عينيه وأكمل: " لا يمكنني أن أعود كما كنت في السابق وأبتسم كما في الماضي... لقد علمتني الحياة القسوة لأكثر من خمسين عامًا.. وأنا لا يمكنني نسيان ما علمتني إياه في يوم وليلة " ثم أمسكت رنيم بيد مالك فنظر إليها.. عانقته فوضع يده على رأسها وربت عليها، وباتا هذه الليلة في الخلاء.. ظلَّ مالك يسجد لله باكيًا طوال الليل ورنيم تراقبه وهي تشعر بالأسى عليه فلم تره حزينًا هكذا من قبل.

انتشرت أخبار مالك وما حدث معه ومعها انتشر الرعب في كل أرجاء المدينة ولم يصدق كازين ما قد سمعه وجنوده يقسمون له بذلك.. بعدها انتشرت أخبار اغتيال أحفاد زهير من الرجال على يد مالك وقد كان عددهم ثلاثة فقد نجح مالك بالتسلل واغتيال هؤلاء الثلاثة ومنحهم موتًا سريعًا في ظل الاضطراب والفوضى التي قد حدثت في المدينة.. ثم انطلق مالك ورنيم بعد أن انتهيا للمدينة التالية.

بعد عدة أيام قد اجتمع القادة الأعلون لكل حلف في إحدى الليالي.. القائد الأعلى لحلف السماء وكذلك القائد الأعلى لحلف الإله الذي يتكون من سبعة هم الأقوى في هذا العالم والمختصون بحفظ سلامة أبناء الإله فقط، والقائد الأعلى لحلف العقاب الذي يختص بتعذيب وسجن وإلحاق العقاب المناسب لأولئك المجرمين الذين يتم القبض عليهم.. كذلك القائد الأعلى لحلف القضاء الذي لم يكن يُعرف عنه العديد من الأشياء وكان يختص بعديد من المهام التي يتم إبقاؤها في الخفاء وكل المعلومات عنه كانت سطحية، فجلُّ ما عرف عنه أنه يهتم بمراقبة ما يحدث في كل حلفٍ والتحقيق في أي

أمر غريب يحدث فيه كذلك كانوا يختصون بتزييف الأخبار ونشرها في العالم في محاولة تحسين صورة أبناء الإله وقاموا بالتكتم على أي خبر لا يصب في مصلحتهم وقد يضر بأي من الأحلاف الأخرى لتظل صورتهم قوية أمام العالم، وقد كان يضم العديد من الأقوياء الذين أبقوا هويتهم خفية.. كذلك قد حضر هذا الاجتماع أيضًا وكلاء الحرب الستة.

أخذوا يتناقشون بخصوص الخطر الذي يهدد العالم من كبار المجرمين من القراصنة وزعماء العصابات وقطاع الطرق والدول المعادية القليلة التي لم ترضخ حتى الآن، وقد تحدثوا أيضًا عن المجرمين الذي اشتهروا مؤخرًا وبالطبع قاموا بذكر مالك في حديثهم.

- " لقد سمعت أنكم قد فشلتم في القبض على ذلك المجرم الذي يشبهه الناس بالشيطان أنتم حقًا لا يعتمد عليكم يا حلف السماء " قال تاسير القائد الأعلى لحلف العقاب.

= " لا أريد أن أسمع هذا الكلام من الحمقى الذين لا يفعلون شيئًا سوى استلام المجرمون وهم مرتاحون ... دعنا من ذلك الآن فنحن نعتقد أن ذلك الرجل سيشكل خطرًا قريبا في المستقبل نظرًا للكلام المريب الذي تم تداوله عنه وأيضًا وفقًا للتقرير الغريب الذي وصلني من الدايشين كازين... لقد وافقنا بالفعل على رفع قيمة المكافئة على رأسه من مائتي ألف إلى أربعمائة وخمسين ألف جال آمل ألا يسبب ذلك ضجة كبيرة " رد جايتس القائد الأعلى لحلف السماء.

❋ " إن الضجة قد حدثت مسبقًا واسم ذلك الرجل أصبح يتردد كثيرًا على ألسن الناس وكل ما سيفعله هذا الإعلان هو إشعال هذه الضجة أكثر..

ما فعله ذلك الرجل ليس بهين فقد قام بقتل النبيل ثيدوس وأحرق المحصول قرية جاترن وقد أغضب ذلك أبناء الإله كثيرًا... وقد قام أيضًا بقتل السيدة تالا إحدى أتباع وكيل الحرب تاتراس المقربين والتي كان يُعتمد عليها كثيرًا وتسبب في خسارة كبيرة له وقد ألصقنا به تهمة اختطاف الأطفال وأشعنا بأنه قد قتل كل الأطفال الذين لم نعثر عليهم... كذلك قام باغتيال ثلاثة نبلاء من مدينة هانيس وبعضٍ من صائدي الجوائز " قال سورونت القائد الأعلى لحلف القضاء

= " بخصوص آخر جريمةٍ قد ارتكبها قد توصلنا بعد أن حققنا بها أن جميع هؤلاء النبلاء الثلاثة ينتمون لنفس العائلة وقد وجدنا ورقةً تركها عند كل جثة... عندما جمعنا ما كتب بها بنفس الترتيب الذي قتل به هؤلاء وجدنا أن ما كتبه هو (لقد عدت إليك من أنقاض لارن أيها الوغد)... نحن لا نعلم ما قد عناه بذلك لكننا نعلم أنها رسالة لشخص ما ولا نعرف ما هي هويته بعد... لقد انتشر اسم ذلك المجرم وكان الخوف ولقب الشيطان ملازمين له واكتسب شهرة كبيرة بسبب ما يحكيه الناس عنه من أمور غريبة وبسبب جرائمه التي ارتكبها مؤخرًا والتي لا يفصل بينها مدة طويلة وأصبح الناس يلقبونه الآن بالمارد الأسود مالك... أرجو أن نهتم بأمر ذلك الرجل بأسرع وقت " رد جايتس، وسامر كان الوحيد الذي انزعج من ذلك من بين كل الحاضرين عندما سمع رسالة مالك لكن لم يرد أن يعلم أحد بأنه يعرف مالك وأنه كانت هناك علاقة بينهما من قبل فجلس بهدوء يحاول بشدة أن يكتم غيظه.

قد انزعج أناس آخرون من مالك منهم كبار المجرمين في هذا العالم

كذلك المجرمون الذين في بداياتهم بسبب الشهرة الكبيرة التي قد نالها مؤخرًا والارتفاع الملحوظ في مكافئته، فجعلهم ذلك يشعرون بإهانة كبيرة ورغبة شديدة في التخلص منه وقتله.. قتل ذلك الوغد الذي لفت الأنظار إليه، فشعروا بحقد كبير عليه.. على المارد الأسود مالك.

" لقد عاد هذا الأحمق إلى الحياة إذا... لا يهم ذلك فهو من جلب نهايته لنفسه... لقد بعث لي رسالة يهددني بها ألا يعلم هذا المعتوه من أنا الآن؟!!... سأجعلك تتجرع الألم بحق على هذا الأمر!!.. سأجعلك تندم على العبث معي!! " جال ذلك بخاطر سامر عندما خرج من الاجتماع شارد الذهن يفكر بحنق بأمر مالك... لكنه توقف في نهاية الرواق الذي به عندما سمع فجأة صوتيّ وكيلي الحرب بارفاك وتاتراس...

– " ما رأيك يا تاتراس؟ " قال العجوز بارفاك أحد وكلاء الحرب

= " في ماذا؟ يا وكيل الحرب بارفاك "

– " يبدو أن ذلك المارد الأسود يمتلك ذلك الشيء ألا تظن هذا؟... وهذا الشيء هو ما جعل القادة يبدون اهتمامًا كبيرًا بأمر ذلك الرجل أليس كذلك؟!! "

= " نعم.. أنا أشك بذلك أيضًا.. لم أظن أنه ما زال هناك حمقى لهذه الدرجة في هذا العالم ليجرؤوا على امتلاك ذلك الشيء "

– " معك حق فكل من رغب به وحصل عليه قد أصابه الجنون ويُقال أنه لعنة تجلب البؤس لصاحبها أينما كان... لكن هناك شيء آخر أتساءل عنه يا تاتراس "

= " ما هو يا بارفاك؟ "

– " كيف ستنتقم من مالك ذاك على قتل تابعتك تالا؟!.. ولما لم تقم بذلك حتى الآن؟!! "

أخرج تاتراس سيجارة وأشعلها ثم قال:

= " أنا رجل أعمال يا بارفاك لا أنجز الأمور بهذه الطريقة بل أرى ما أحتاجه وأتصرف حيال ذلك... لقد خسرت تالا وأنا في حاجة ماسة لأحد يحل مكانها... لهذا أنا أفكر في أن أجبر مالك ذاك على العمل لدي "

– " وكيف ستقوم بذلك إذا؟!! "

= " الأمر سهل سأقوم بالقبض على شخص يحبه وأتخذه رهينة "

– " وهل عثرت على ذلك الشخص؟! "

= " نعم... إنها فتاة تدعى سارة كانت تابعةً لتالا سابقًا.. سوف أعذبها قليلًا وسأحتجزها عندي ثم سأجبره على العمل لدي... هذا بالطبع بعد أن ألحق به العقاب الذي يستحق.. صدقني سأريه جحيمًا يجعله لا يتجرأ على مخالفتي والتمرد علي أبدا!! "...

حالما سمع سامر اسم سارة ارتسمت على وجهه ابتسامة مكر وخبث شديدين ودار في باله " اسمها سارة إذا... هذا رائع للغاية... ستكون هي بداية معاناتك أيها الوغد "